



الالتفات نحوياً في القراءات القرآنية

د. شوكت عليّ عبد الرحمن درويش



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الالتفات نحوياً

في القراءات القرآنية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(٢٠٠٨/٤/١٠٩١)

٢٢٥,٣

درويش، شوكت علي
الالتفات نحوياً في القراءات القرآنية / شوكت علي
درويش / ـ عمان: المؤلف، ٢٠٠٨
() ص.
ر.أ.: (٢٠٠٨ / ٤ / ١٠٩١)
الواصفات: / القراءات القرآنية // نحو القرآن //
بلاغة القرآن // العلوم القرآنية /

• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الدُّكْتُور

شوكت علي عبد الرحمن درويش

الالتفات نحوياً

في القراءات القرآنية

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

رَفْعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنها الجنة الفردوس
www.moswarat.com

كلمة لا بد منها

أمّا بعد؛ التقيت بعض الإخوان، وتدارسنا سورة يونس، فلما وصلنا الآية الكريمة: ﴿ كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ فِيهِمْ ﴾ [يونس ١٠ : ٢٢] قال أحدهم: لم قال - ربُّ العزّة - هذا، فانتقل من الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: هذا من فنون القول، وُجد في كلام العرب، والقرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين، وهذا باب يطلق عليه البلاغيون (الانتفات)، وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التّكلم، ولا بدّ له من فائدة، وقد حصرها البلاغيون في أنها:

١- حسن نظرية لنشاط السامع.

٢- إيقاظ للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد.

٣- قد تختص مواقعه بفوائد.^(١)

وكنت قد أشرت في كتابي "الرخصة النحويّة" إلى شيء من ذلك^(٢)، وكذلك في كتابي "العلامة الإعرابيّة بين ورش وحفص"^(٣) وكانت الرغبة تتازعني بأن أبحث الانتفات نحويّاً، حسب معاني النحو، وأثرها في المعنى، وجمعت ما تمكنت من جمعة من كتب البلاغة، ودرست ما قاله البلاغيون عن الانتفات، ولاحظت أنهم كرّروا العبارات نفسها، والتي قبستها من الكشّاف أنفاً، فزادت رغبتني وقويت، في دراسته دراسة نحويّة، وحسب علمي لم يدرسه أحد قبلي درساً نحويّاً، ولم يبحثه بهذه المنهجية باحث، وقد أثار قول العلّامة عبد

(١) الكشّاف ٥٦/١. نظرية: طرّى إليه: أقبل.

(٢) الرخصة النحويّة ٢٥٦ مثلاً؛ وغيرها.

(٣) العلامة الإعرابيّة بين ورش وحفص ٣٧٦ مثلاً، وغيرها.

القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" السبيل أمامي حيث يقول: "وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه".^(١)

وإنني أفهم من قول عبد القاهر: أن الأصل في فهم معنى الجملة أو العبارة أو النص؛ هو تحكيم علم النحو بأصوله التي اتفقت عليها المدارس النحوية، والقواعد التي أقرتها مدرسة ما من المدارس النحوية، وخالفها فيها مدرسة أخرى، كما نرى في المسائل الخلافية بين المدرستين الأساسيتين مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، وبهذه المعرفة تمييز الصواب من الخطأ، وما يجوز وما لا يجوز، وكذلك لا بد من معرفة خصائص كل باب نحوي، وقيمه الخلافية، فإن أحسنت ذلك وفهمته وأتقنته؛ فقد أصبت وفهمت وأجدت.

وحيث يقول: "هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو؛ قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا نرى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساده، أو وُصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه".^(٢)

وإنني أفهم من قول العلامة عبد القاهر: "أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له...". "أن المتكلم قد يخرج إلى

(١) دلائل الإعجاز ٦٤.

(٢) دلائل الإعجاز ٦٥. والرخصة النحوية ١٨٢.

ما يُخالف أصلاً أو قاعدة، مع النَّظر إلى أنَّ هذا الخروج لم يخالف الأصل أو القاعدة؛ إلا لفائدة أو حكمة ارتأها، وأحبُّ أن يشدَّ نظر السَّامع وانتباهه أو القارئ وتركيزه ودراسته؛ إلى أمر يريده، وحكمة ينشدها، ولا يتأتى له ذلك إلا ضمن معاني النَّحو وأحكامه، فالخروج على الأصل أو القاعدة يبعث على التَّساؤل، والتَّساؤل يقود إلى التَّحاور، والتَّحاور يفضي إلى الفهم، والفهم يُسلم إلى التَّفنن في القول بوعي وإدراك؛ وبهذا يُصان المعنى، وينتفي اللُّبس.

فكان لزاماً عليَّ أن أدرس الالتفات دراسة واعية، فاستعنت بكتب علوم القرآن الكريم، وكتب التَّفسير، وكتب إعراب القرآن الكريم، وكتب القراءات، وكتب النَّحو والمسائل، وكتب معاني النَّحو، وكتب البلاغة، قديمها وحديثها، وغيرها مما يخدم البحث.

وعزمت، وتوكلت على الله، فجمعت ما وجدته في القرآن الكريم من الالتفات في رواية حفص عن عاصم^(١)، ثم عاودت الدَّراسة مرة أخرى فدرست الآيات في روايات ورش عن نافع^(٢)، وقالون عن نافع^(٣)، والدُّوريَّ عن أبي عمرو^(٤)، واستعنت بكتب التَّخرجات، وخرَّجت ما في القراءات القرآنية من التَّفات، ثم أخذت في دراستها، بعد أن قسمتها على قسمة سيبويه حيث "الأصل في الكلام البداية بالمتكلم، ثم بالمخاطب، ثم بالغيبة"^(٥).

(١) مصحف المدينة المنورة؛ مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.

(٢) المصحف الشَّريف الحسنِي المسبَّع؛ الرِّباط - المغرب؛ عام ١٤٧٧هـ.

(٣) مصحف الجماهيرية؛ جمعية الدَّعوة الإسلاميَّة العالميَّة، طرابلس - الجماهيرية العربيَّة الليبية الشعبيَّة الاشتراكيَّة العظمى.

(٤) مصحف إفريقيا؛ دار مصحف إفريقيا؛ الخرطوم - السُّودان.

(٥) الكتاب ٢ / ٣٦٤، وإعراب القرآن المنسوب للزَّجاج ق ٣ / ٩٢٣.

وكان منهجي في تناول البحث أن قدّمت بدراسة عن الالتفات عند المعجميين، والبلاغيين، وختمتها بملاحظات حول أقوالهم في الالتفات، ولمّ سادرسها (الظاهرة) نحويًا، ثم أتبعتها بما تحرص عليه اللّغة؛ من أن أمن اللبس أعلى ما تحرص عليه استعمالاً، وأثمن ما يتطلبه اللّغويون تحليلاً، ومن ثم يصبح الوصول إليه غاية لا يدعو الأمر بعدها إلى البحث عن مزيد من القرائن.

وإنّ غاية الإنسان من النّظر في نصّ هو فهمه، وهذا يتطلب منه النّظر في العلاقات المنطوقة أو المكتوبة، ولهذا رأيتني أتحدث عن المستويات اللّغوية: من المستوى الصّوتيّ، إلى المستوى الصّرفيّ بإيجاز، إلى المستوى النّحويّ، وأبرزت أنّ العلاقة بين المباني المكونة للتركيب لها الدور الأهمّ في تأدية المعنى، وأنّ هذه العلاقات علاقات مقلية وعلاقات مقامية، تنظّم العلائق فيه القرائن المعنوية، والقرائن اللفظية، وقد أوضحتها بإيجاز، وبينت أثرها في فهم المعنى، ولمّ تمّ العدول عن المطابقة والاتّساق، والتي فهمتها من كلام العلامة عبد القاهر - كما أسلفت -: "أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزِيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له...".

وكان منهجي في البحث حسب الخطوات التّالية:

- ١- كتابة الآية الكريمة كما وردت في رواية حفص عن عاصم.
- ٢- أتبعتها بالقراءات في ذلك الحرف، ومن قرأ به.
- ٣- تناولت بالدراسة ما فيها من النقات بلاغياً.
- ٤- ذكرت فائدة الالتفات بلاغياً.
- ٥- تناولت ما فيها من عدول (النقات) نحويًا.
- ٦- ذكرت فائدة العدول نحويًا.

٧- أوردت بعض الفوائد النحويّة، وبخاصة عند أصحاب علوم القرآن والتفسير.

٨- ختمتها بخلاصة للبحث.

٩- أتبعتها بأربع كشافات: أحدهما: العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه، والآيات والسور التي ورد فيها.

والثاني: الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم.

والثالث: الشواهد القرآنيّة.

والرابع: المصادر والمراجع.

أرجو أن أكون قد وفقت في البحث والتناول، وأرجو الله أن ينفع به.

العبد الفقير إلى الله

د. شوكت عليّ عبد الرحمن درويش

السبت ١ محرم ١٤٢٨هـ

٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٧م

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

الالتفات

الفصل الأول

الالتفات لغة واصطلاحاً.

الفصل الثاني

أقوال العلماء في الالتفات

ملاحظات على أقوال العلماء

رفع
عبد الرحمن العجزي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الالتفات

الالتفات لغة واصطلاحاً:

"لَفَّتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ صَرْفَهُ، وَالتَّفَتَ التَّفَاتًا، وَالتَّلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ.

وَتَلَفَّتْ إِلَى الشَّيْءِ وَالتَّفَتَتْ إِلَيْهِ: صَرْفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ. وَلَفَّتَهُ يَلْفِتُهُ لَفَاتًا: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ جِهَتِهِ. وَلَفَّتَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَلْفِتُهُ لَفَاتًا: صَرْفَهُ. وَالتَّلَفْتُ: لِيُ الشَّيْءِ عَنِ جِهَتِهِ كَمَا تَقْبِضُ عَلَى عُنُقِ إِنْسَانٍ فَتَلْفِتُهُ. وَلَفَّتُ فَلَانًا عَنِ رَأْيِهِ أَي: صَرْفْتُهُ عَنْهُ، وَمِنْهُ الِاتِّفَاتُ. وَلَفَّتَ الشَّيْءُ، وَفَتَلَهُ إِذَا لَوَاهُ: وَهَذَا مَقْلُوبٌ. يُقَالُ: فَلَانٌ يَلْفِتُ الْكَلَامَ لَفَاتًا. أَي: يُرْسِلُهُ وَلَا يُبَالِي كَيْفَ جَاءَ".^(١)

"وَمِنَ الْمَجَازِ: لَفَّتَهُ عَنِ رَأْيِهِ: صَرْفْتُهُ. وَفَلَانٌ يَلْفِتُ الْكَلَامَ لَفَاتًا: يُرْسِلُهُ عَلَى عَوَاهِنِهِ لَا يُبَالِي كَيْفَ جَاءَ".^(٢)

"لَفَّتَ - (التَّلَفْتُ) اللَّيُّ وَبَابُهُ ضَرْبٌ. وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
"إِنْ مِنْ أَقْرَابِ النَّاسِ لِلْقُرْآنِ مُنَافِقًا لَا يَدْعُ مِنْهُ وَأَوْ لَا أَلْفًا يَلْفِتُهُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَلَفَّتُ
الْبَقْرَةُ الْخَلَى * بِلِسَانِهَا". وَ(لَفَّتَ) وَجْهَهُ عَنْهُ: صَرْفَهُ. وَ(لَفَّتَهُ) عَنِ رَأْيِهِ: صَرْفَهُ،
وَبَابُهُ ضَرْبٌ. وَ(التَّفَتَ التَّفَاتًا). وَ(التَّلَفْتُ) أَكْثَرَ مِنْهُ".^(٣)

"التَّفَتَ: بِوَجْهِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَ(لَفَّتَهُ) (لَفَاتًا) مِنْ بَابِ ضَرْبٍ: صَرْفَهُ إِلَى ذَاتِ

(١) لسان العرب ٢ / ٨٤؛ مادة لفت.

(٢) أساس البلاغة ٤١١؛ مادة لفت.

• الخَلَى: الواحدة "خَلَاة" الجمع أخلاء: العشب.

(٣) مختار الصحاح ٦٠٠؛ مادة لَفَّتَ.

اليَمِينِ أَوْ الشَّمَالِ، ومنه يقال: (لَفَّتَهُ) عن رأيه (لَفْنَا) إِذَا صَرَفْتَهُ عَنْهُ...".^(١)

"لفت: يقال: لَفَّتَهُ عن كذا: صَرَفَهُ عَنْهُ، قال - تعالى-: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا

لِتَلْفِتَنَا ﴾ [يونس ١٠ : ٧٨] أي: تَصْرِفْنَا، ومنه: التفت فلان: إذا عدل عن قبلة بوجهه، وامرأة لفتت: تلفت من زوجها إلى ولدها من غيره. واللفيئة: ما يغلظ من العَصِيدَةِ."^(٢)

"الانتفات: المخاطبة - Apostrophe: الانتقال الفجائي أثناء الكلام إلى

مخاطبة شخص أو شيء حاضر أو غائب: ويطلق الآن عادة على مخاطبة شخص غائب، أو معنى مجسد، مثال ذلك في العربية قول المتنبي:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ

والانتفات في علم المعاني العربي انتقال كل من النكلم أو الخطاب أو

الغيبية إلى الآخر في التعبير كقول امرئ القيس:

نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ يَرَقُدِ تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ

فانتقل فيه من الغيبية في (يرقد) إلى الخطاب في (ليلك).^(٣)

(١) المصباح المنير ٢ / ٥٥٥؛ مادة لَفَّتَ.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن / ٧٤٣.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة - والأدب/ ٣٥ مادة الانتفات. والرواية كما وردت

في شرح ديوان امرئ القيس؛ لأبي جعفر النحاس، قرأه ووضع فهرسه وعلّق عليه د. عمر الفجّاوي، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية،

رقم ٢٤، سنة ٢٠٠٢م، صفحة ١٦٠

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ يَرَقُدِ

لفت الشيء، يلفته لفتاً: لواه على غير وجهه، وصرفه إلى ذات اليمين وذات الشمال. ولفت فلاناً عن الشيء: صرفه. وَتَفَّتْ التَّفَاتُ إِلَى الشَّيْءِ: صرف وجهه إليه. وَيُقَالُ: التفت بوجهه يَمَنَةً وَيَسْرَةً: مال به. والتفت عنه: أَعْرَضَ. ويقال: لفتُ فلاناً عن رأيه؛ أي: صرفته عنه، ومنه الالتفات. (١)

وقال ابن الأثير (ت: ٦٣٧): "وحقيقته (أي: الالتفات) مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا...". (٢)

والالتفات اصطلاحاً: التعبير عن معنى بطريق من الطُرق الثلاثة التي هي: التَّكَلُّمُ والخطاب والغيبة؛ بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطُرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع. (٣)

أقوال العلماء في الالتفات

وقد حدَّ الزَّمَخْشَرِيُّ الالتفات بأنه قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التَّكَلُّمِ، كقوله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ فِيهِمْ ﴾ [يونس: ١٠: ٢٢] وقوله -تعالى-: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ ﴾ [فاطر: ٣٥: ٩].

وقد أوضح الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨) أنَّ الالتفات من الأساليب التي جاءت على سَنَنِ الْعَرَبِ في كلامهم، فأورد ثلاثة أبيات لامرئ القيس؛ قال: إِنَّ فِيهَا

(١) المعجم الوسيط؛ ٢ / ٨٣٨؛ مادة: لَفَتَ، والمنجد ٧٢٧، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ٢٩٤.

(٢) المثل السائر ٢ / ٣.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ٢٩٤.

ثلاث التفاتات^(١)؛ قال امرؤ القيس:

تَطَاوَلَ لَيْلِكَ بِالْأَتْمُدِّ وَتَامَ الْخَلِيَّ وَلَمْ تَرَقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلِيلَةَ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاعَتِي وَخَبْرَتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(١) - قال أبو حيان: "ودعوى الزمخشري في أبيات امرئ القيس الثلاثة أن فيه ثلاثة التفاتات غير صحيح، بل هما التفاتان، الأول: خروج من الخطاب المفتوح به في قوله: تطاول... إلى الغيبة في قوله: وبات وباتت...".

والثاني: خروج من هذه الغيبة إلى التكلّم في قوله: وذلك من نبا...".

البحر المحيط ١ / ٢٤. والنهر المادّ (بهامشه) ١ / ٢٤، والدرّ اللقيط (بهامشه) ١ / ٢٤.

- وقال الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير الإسكندري: "يعني أنه ابتداء بالخطاب، ثم التفت إلى الغيبة، ثم إلى التكلّم، وعلى هذا فهما التفاتان لا غير، وإنما أراد الزمخشري - والله أعلم - أنه أتى بثلاثة أساليب: خطاب الحاضر، وغائب، ولفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو: تجعل الأخير ملتفتاً للتفاتين عن الثاني وعن الأول؛ فيكون ثلاثاً.

كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١ / ٥٦؛ بهامش الكشاف.

وقد ورد في نهاية الأرب، وحسن التوسل: "يخاطب في البيت الأول، وانصرف إلى الأخبار في البيت الثاني، وانصرف إلى التكلّم في البيت الثالث على الترتيب".

* نهاية الأرب في فنون الأدب، صفحة ١١٨، وحسن التوسل إلى صناعة التوسل، ص ٢٢٦.

وإنني أرى أنه التفت من الخطاب في (تطاول ليلك) إلى الغيبة في (وبات وباتت) ثم التفت من الغيبة في (وبات وباتت) إلى التكلّم في قوله: (وذلك في نبا جاعني) والاتفات الثالث من الخطاب في (تطاول ليلك) إلى التكلّم في (وذلك من نبا جاعني).

- تطاول ليلك: كناية عن السهر، وهو خطاب لنفسه، والأصل: ليلي. والأتمد: اسم موضع، والخلي: الخلو من الهموم. والعائر: قذى العين، وقيل: الرمد. والأول أولى؛ ليكون أشقّ للجمع بينهما، أو: يحصل الترقّي أيضاً. النبا: قال الراغب: خبر، وفائدة عظيمة يحصل به علم، أو: غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبا حتى يتضمّن ما ذكر، فهو أخصّ من مطلق الخبر. شرح شواهد المغني ٧٣٢.

ثم قال: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام، وتصرفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك:

- أحسن تطرية لنشاط السَّمع،
- وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد،
- وقد تختص مواقعها بفوائد^(١).

وقال السيوطي (ت: ٩١١): "ومن سنن العرب أن تخاطب الشاهد، ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب، أو تخاطب الغائب ثم تحوّل إلى الشاهد، وهو الالتفات^(٢). وأن تخاطب المخاطب، ثم يرجع الخطاب لغيره، نحو: ﴿فَالَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الخطاب للنبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم قال للكفار: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يدل على ذلك قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١١: ١٤].

وأن يبتدأ بشيء ثم يخبر عن غيره، نحو: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَكْرِهْنَهُ﴾ [البقرة ٢: ٢٣٤] فخبّر عن الأزواج وترك الذين^(٣).

وذكره أبو عبيدة (ت: ٢١٠) في كتابه مجاز القرآن، فقال: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشاهد، قال: ﴿الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾

(١) الكشاف ١ / ٥٦.

(٢) كقول النابغة:

أفوت وطال عليها سالف الأمد

يا دار مية بالغياء فالسند

فخاطب، ثم قال: أفوت.

(٣) المزهري ١ / ٣٣٤.

[البقرة ٢: ١ ، ٢] مجازه: الم هذا القرآن.

ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب؛ قال الله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَبْنَ بِمِمْ ﴾ [يونس ١٠ : ٢٢] أي: بكم.

ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خاطب الشاهد؛ قال: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۗ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۗ ﴾ [القيامة ٧٥ : ٣٣-٣٤].^(١)

قال - تعالى -: ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة ٩ : ١] ثم خاطب شاهداً، فقال: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [التوبة ٩ : ٢]. سيروا، وأقبلوا، وأدبروا. والعرب تفعل هذا.

قال عنتره:

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ^(٢)

قال -تعالى-: ﴿ الرَّءِيبُ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس ١٠ : ١].

ومجاز "آيات" مجاز أعلام الكتاب، وعجائبه، وآياته أيضاً؛ فواصله، والعرب يخاطبون بلفظ الغائب وهم يعنون الشاهد، وفي آية أخرى: ﴿ الْمَرَّ ﴾ [الم ١].

(١) مجاز القرآن ١ / ١١.

(٢) مجاز القرآن ١ / ٢٥٢.

الْكِتَابُ﴾ [البقرة ٢: ١-٢] مجازة هذا القرآن. ثم أورد بيت عنتره. (١)

وقال: "والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد، فترجع إلى الشاهد وتخاطبه. ثم ذكر بيت عنتره. (٢)

ولعلَّ الأصمعيَّ (ت: ٢١٦) أوَّل من سماه التفاتاً، فقد سأل اسحق بن إبراهيم الموصلي: أتعرف التفاتات جرير؟ قال: وما هي؟ فأنشده:

أَتَنَسَى إِذْ تَوَدَّ عُنِي سُلَيْمَى
بِفِرْعَ بَشَامَةَ سَقَى الْبِشَامُ

ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعا له. (٣)

وأدخله ابن قتيبة (ت: ٢٧٩) في باب "مخالفة ظاهر اللفظ معناه" وقال: ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله -عزاً وجلّ-: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ مِنْهُمْ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقَرِحُوا بِهَا ﴾ [يونس ١٠: ٢٢]. (٤)

وقال المبرد (ت: ٢٨٥): والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله -جلّ وعزّ-: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ مِنْهُمْ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ ﴾ [يونس ١٠: ٢٢]، كانت المخاطبة

(١) نفسه ٢٧٣.

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٣٩.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ٢٩٥. نقلاً عن العمدة ٢ / ٤٦. وفيه:

تودعنا... بعود بشامة. والبشام كما في اللسان ١٤ / ٣١٦ "شجر طيب السريح والطعم يستاك به".

(٤) المرجع نفسه ١ / ٢٩٥-٢٩٦.

للأُمَّة، ثم انصرفت إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إخباراً عنهم.

وقال ابن المعتزّ (ت: ٢٩٦) في تعريف الالتفات: "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر".^(١) (٢)

وقال الصنعانيّ (ت: ١٢٦٦هـ): "وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلم أخذاً في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ثم يعود إليه فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة وزيادة حسنة".^(٣)

يقول الدكتور أحمد مطلوب: "وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً بعد أن بدأت البلاغة تستقرّ، وقد عرفه الرّازيُّ بقوله: "إنّه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس" وادخله السّكّكيُّ في علم المعاني، وقال: "إنّ هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر؛ بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمّى هذا النقل التفتاتاً عند علماء المعاني. والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السّامع، وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار إصغائه" وهذا ما ذكره الزّمخشريُّ من قبل.^(٤)

(١) البديع / ٥٨.

(٢) يقول الدكتور أحمد مطلوب: والالتفات أول محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتزّ بعد فنون البديع الخمسة وهي: الاستعارة، والتّجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. المرجع نفسه ١ / ٢٩٦.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٢٩٧.

(٤) الكشاف / ٥٦/١.

وقال السَّكَاكِيُّ (ت: ٦٢٦): إِنَّهُ قَدْ يَنْتَقِلُ بِالصِّيغَةِ مِنَ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ،^(١) وَذَكَرَهُ مَرَّةً ثَلَاثَةَ فِي الْبَدِيعِ^(٢)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاِلْتِفَاتَ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْمَعَانِي مَرَّةً، وَمِنْ عِلْمِ الْبَدِيعِ مَرَّةً أُخْرَى.

ويقول أبو حَيَّانَ (ت: ٧٤٥): "وقد عقد أرباب علم البديع باباً للالتفات في كلامهم ومن أجلهم كلاماً فيه ابن الأثير الجزري - رحمه الله تعالى -"^(٣).

وقال ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) في الالتفات: "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر. أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ...".

ثم قال: ويسمى أيضاً "شجاعة العربية"، وإنما سمّي بذلك؛ لأنَّ الشَّجَاعَةَ هي الإقدام، وذلك أَنَّ الرَّجُلَ الشُّجَاعَ يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورّده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام.

وهو - عند ابن الأثير - ينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

اعلم أنَّ عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سُئِلُوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة، قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب

(١) مفتاح العلوم ١١٨.

(٢) مفتاح العلوم ٢٠٠.

(٣) البحر المحيط ١/٢٤.

كلامها، وهذا القول هو عَكَاز العميان، كما يقال، ونحن إنما نسأل عن السَّبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله.

وقد نقد ما ذهب إليه الزَّمخشريّ (ت: ٥٣٨) من أنّ الانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السَّمع وإيقاظ للإصغاء إليه، وقال: "والَّذي عندي في ذلك أنّ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة أَقْتَضَتْه، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنّها لا تَحُدُّ بحدِّ، ولا تُضَبِّط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها".

"وكان الزَّمخشريّ (ت: ٥٣٨) قد أشار إلى مثل ذلك بعبارة موجزة فقال: "وقد تختص مواقعها بفوائد^(١): أي: إنه رأى أنّ الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ليس للتطرية والإيقاظ والتنبيه وحدها"^(٢).

ثم قال ابن الأثير (ت: ٦٣٧): وسأوضح ذلك في ضرب من الأمثلة الآتي ذكرها.

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، فكقوله -تعالى- في سورة الفاتحة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة ١: ٢ - ٧] هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، فقد رجع من الغيبة في أول الكلام، إلى الخطاب في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

(١) الكشّاف ١ / ٥٦.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ٢٩٩.

ومما ينخرط في هذا السلك الرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس، كقوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت ٤١: ١١ و ١٢]، وهذا رجوع من الغيبة إلى خطاب النفس، فإنه قال: ﴿ وَزَيْنَا ﴾ بعد قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴾ وقوله ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ ﴾ ﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾.

- ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً، الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الجماعة؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس ٣٦: ٢٢].

- وعلى هذا الأسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد؛ كقوله -تعالى-: ﴿ حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان ٤٤: ١ - ٦].

- وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة، فكقوله -تعالى-: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَم بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۚ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ لَئِن لَّا أُجِيبْتَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس ١٠: ٢٢].

القسم الثاني:- في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر. فمما جاء منه قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٩] إن نَقُولُ إِلَّا آعْرَتَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود ١١ : ٥٣-٥٤] فإنه إنما قال: "أشهد الله وآشهدوا" ولم يقل: وأشهدكم.

- وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، توكيداً لما أجري عليه فعل الأمر، كقول -تعالى-: "قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" [الأعراف ٧ : ٢٩]، وكان تقدير الكلام: أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي.

فالأول: الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر ٣٥ : ٩].

وأما الضرب الثاني الذي هو مستقبل - فكقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج ٢٢ : ٢٥].

وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل؛ فهو عكس ما تقدم ذكره، فكقوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي

الْأَرْضِ ﴿ [النمل: ٢٧: ٨٧].

ومما يجري هذا المجرى الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل، وإنما يفعل ذلك لتضمته معنى الفعل الماضي؛ فمن ذلك قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١١: ١٠٣] (١)

وقد حدّه الرّازيُّ (ت: ٦٠٦) فقال: "الالتفات: قيل إنه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس".

فالأول: قوله -تعالى-: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفتاح: ١: ٤ و ٥]. والثاني: قوله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَينَ بِهِم ﴾ [يونس: ١٠: ٢٢].

وقيل: هو تعقيب الكلام بجملة تامّة ملاقيه إيّاه في المعنى ليكون تنميماً له على جهة المثل أو غيره، كقوله -تعالى-: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ١٧: ٨١] وقوله: ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا ۖ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [التوبة: ٩: ١٢٧]. (٢)

وقد عدّه السيوطيُّ (ت: ٩١١) من ألقاب علوم البديع. (٣) قال: ومنها الالتفات، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلّم أو الخطاب أو

(١) المثل السائر ٢ / ٣ - ١٦.

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) معترك الأقران ١ / ٣٧٤.

الغيبية إلى آخر منها بعد التعبير بالأوّل؛ هذا هو المشهور.

وقال السّكّاكِيُّ (ت: ٦٢٦): إمّا ذلك أو التّعبير بأحدهما فيما حقه التّعبير

بغيره.

وله فوائد، منها: تطرية الكلام، وصيانة السّمع عن الضّجر والملل، لما جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسّامة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فائدته العامّة. ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله^(١).

وقد حدّه الجرجانيُّ (ت: ٨١٦) بقوله: "هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التّكلم، أو على العكس"^(٢).

وقد أورده الشّيخ ناصيف اليازجيّ اللّبنانيّ (ت: ١٨٧١م) تحت عنوان "العدول عن مقتضى الظّاهر" فقال: "من خلاف مقتضى الظّاهر الالتفات. وهو الانتقال من كل من التّكلم والخطاب والغيبة إلى صاحبه على غير ما يقتضيه سياق الكلام افتتاناً في الحديث وحملًا للسّامع على فضل إصغاء إليه؛ فيكون:

١- من التّكلم إلى الخطاب؛ نحو: ﴿ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ
﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴾ [الصّافات ٣٧ : ٢١].
فمقتضى الظّاهر أن يقال: كنّا به نكذب. أو إلى الغيبة نحو: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ
الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزّمر ٣٩ : ٥٣].
(ومقتضى الظّاهر: "رحمتي").

٢- من الخطاب إلى التّكلم؛ نحو: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

(١) معترك الأقران ١ / ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) التّعريفات / ٣٤.

عَ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١١﴾ [هود ١١: ٩٠]. (مقتضى الظاهر: "إنَّ رَبَّكُمْ رَحِيمٌ وَدُودٌ"). أو إلى الغيبة؛ نحو: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَبِّبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ ﴿٣﴾ [آل عمران ٣: ٩]. (مقتضى الظاهر: "إنك لا تخلف الميعاد").

٣- من الغيبة إلى التَّكَلُّمِ؛ نحو: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ [الفرقان ٢٥: ٤٨]. (مقتضى الظاهر: "وأنزلنا من السماء ماء"). أو إلى الخطاب؛ نحو: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [البقرة ٢: ٨٣]. (أي: "لا يعبدون إلا الله").^(١)

وقد أورد أحمد الهاشمي (ت: ٩٧٨م) الالتفات فقال: "الالتفات: وهو الانتقال من كل من التَّكَلُّمِ أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات تفنناً في الحديث وتلويحاً للخطاب حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملأ له على زيادة الإصغاء، فإن لكل جديد لذة، ولبعض مواقع لطائف ملاك إدراكها الذوق السليم.

واعلم أنَّ صور العُدُولِ إلى الالتفات ستَّة:

- ١- عُدُولِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَمَا لِي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ [يس ٣٦: ٢٢]. والقياس: "وإليه أرجع".
- ٢- عُدُولِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ، كقوله -تعالى-: ﴿ يَعْجَبِدِي الَّذِينَ

(١) مجموع الأدب / ٨٣.

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴿ [الزُّمَر ٣٩ : ٥٣].

٣- عدول من الخطاب إلى التَّكَلُّم؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا

رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿ [هود ١١ : ٩٠]، ولو جاء الكلام متطابقاً (متسقاً) لقال: إِنَّ رَبَّكُمْ رَحِيمٌ وَدُودٌ.

٤- عدول من الخطاب إلى الغيبة؛ كقوله -تعالى-: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ

النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿ [آل عمران ٣ : ٩].

٥- عدول من الغيبة إلى التَّكَلُّم؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿ [الفرقان ٢٥ : ٤٨]. والقياس: "وأنزل".

٦- عدول من الغيبة إلى الخطاب، كقوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿ [البقرة ٢ : ٨٣].^(١)

وقد أورد السيوطي (ت: ٩١١) التنبيهات التالية:

الأول: شرط الالتفات أن يكون الضمير في المُنْتَقَل إليه عائداً في نفس

الأمر إلى المُنْتَقَل عنه، وإلا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي؛ التفات.

الثاني: شرطه أيضاً أن يكون في جملتين.

الثالث: ذكر التَّوْحِي في الأقصى القريب، وابن الأثير^(٢) وغيرهما نوعاً

غريباً من الالتفات؛ وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه، كقوله:

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع؛ ط ١٢، صفحة ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) المثل السائر ٢ / ٥.

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة ١: ٧] بعد ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ [الفاتحة ١: ٧]؛
فإنَّ المعنى: غير الذين غضبت عليهم.

الرابع: قال ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤)^(١): جاء في القرآن من الالتفات
قسم غريب جداً لم أظفر في الشعر بمثله، وهو أن يقدم المنكلم في كلامه
مذكورين مرتين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى
الإخبار عن الثاني، ثم يعود^(٢) إلى الإخبار عن الأول؛ كقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [العاديات ١٠٠: ٦ و ٧]؛
انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه -تعالى-، ثم قال منصرفاً
عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن نفسه^(٣) ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾
[العاديات ١٠٠: ٨].

قال: وهذا يحسن أن يسمي التفات الضمائر.

الخامس: يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو
الجمع إلى الخطاب الآخر ذكره التَّنُوخِيُّ وابن الأثير^(٤)؛ وهو ستة أقسام أيضاً:

- مثاله من الواحد إلى الاثنين: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس ١٠: ٧٨].

- وإلى الجمع: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق ٦٥: ١].

(١) بدیع القرآن / ٤٥ .

(٢) في بدیع القرآن: ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول.

(٣) في الإتيان والبدیع: عن الإنسان.

(٤) المثل السائر ٦/٢-٩.

- ومن الاثنين إلى الواحد: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٢٠: ٤٩].
- ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه: ٢٠: ١١٧].
- وإلى الجمع: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [يونس: ١٠: ٨٧].
- ومن الجمع إلى الواحد: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠: ٨٧].
- وإلى الاثنين: ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الرحمن: ٥٥: ٣٣ و ٣٤].

السادس: ويقرب منه أيضاً - الالتفات من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى الآخر.

- مثاله من الماضي إلى المضارع: ﴿ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ فَتْشِيرًا سَحَابًا ﴾ [فاطر: ٣٥: ٩]، ﴿ حَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾ [الحج: ٢٢: ٣١]. ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٢: ٢٥].
- وإلى الأمر: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٧: ٢٩]، ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا ﴾ [الحج: ٢٢: ٣٠].
- ومن المضارع إلى الماضي: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ ﴾ [النمل: ٢٧: ٨٧]، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ ﴾

[الكهف ١٨ : ٤٧].

- وإلى الأمر: ﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ ﴾ [هود ١١ : ٥٤].
- ومن الأمر إلى الماضي: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ^ط وَعَهْدَنَا ﴾ [البقرة ٢ : ١٢٥].

- وإلى المضارع: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواوهَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ ^ط تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام ٦ : ٧٢].^(١)

فهذا القرآن الكريم يقدم لنا في مئات الآيات أسلوب استعمال ضمير الغياب في مكان ضمير التكلّم فيما يقول الله عن ذاته العليّة، ولكن لا نجد لذلك من غرض بلاغي سوى لفت الأذهان إلى ما تعبر الآيات عنه من المعاني، وهذا ما سمّاه البلاغيون بالالتفات. أي: تحويل الضمائر عن استمرار نسقها المألوف.

ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١٢﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون ٢٣ : ١١١-١١٢] ثم: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ ^ط الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون ٢٣ : ١١٥-١١٦].

ويغلب في سورة النمل استعمال ضمير الغياب وصيغه الفعلية دالة على الله - سبحانه - بل إن استعمال صيغ التكلّم الدالة عليه - سبحانه - فيها قليل جدًا بالقياس إليها.^(٢)

(١) معتك الأقران ١ / ٣٨٢ - ٣٨٥.

(٢) الضمائر في اللّغة العربيّة / ٢٠٩.

لنا على ما سلف من قول ملاحظات:

- ١- إن جُلّ البلاغيين عدّوا الالتفات من علم البديع.
- ٢- عدّه السكّاكيّ من علم المعاني، وهو في رأبي أقرب إلى حقيقة الالتفات.

٣- أدخله ابن قتيبة في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ولم يوضح المقصود بـ "معناه"، أهو المعنى الصرّفيّ، أو المعنى النحويّ، أو المعنى السياقيّ؟ علماً بأنّ عبارة "مخالفة ظاهر اللفظ معناه" توحى بأنّ المعنى المقصود هو المعنى الصرّفيّ كما أفهمه^(١)، ويعني بالضرورة العدول عما يقتضيه سياق الكلام وأتساقه.

٤- ونرى عند الصنّعانيّ عدم وضوح المعنى، حيث يقول: وقيل: الالتفات هو أن يكون المتكلّم آخذاً في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ثم يعود إليه فيتمّه.

أرى أنّ العدول كلمة فضفاضة، هل هو عدول عن اتّساق المفردات الصرّفيّة (أي: المعاني الصرّفيّة)، أو هو عدول من مستوى نحويّ (معنى نحويّ) إلى معنى آخر؟ ثم يقول: "فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الكلام، ونلاحظ أنّ الالتفات كما جاء في تنبيهات السيوطيّ أن يكون في جملتين والكلام لا يعتبر جملة إلاّ إذا أفاد معنى، والعطف يربط جملة بجملة. ثم يقول: "ثم يعود إليه فيتمّه" هل يتمّ المعنى الذي عدل عنه؟ فإن كان ذلك فإنّ ما عدل إليه يكون جملة تفسيرية، أو جملة معترضة وهذا ما لا يساير الالتفات.

(١) وهو كما أسلفنا القول: هدية الصرّف إلى النحو.

٥- أما السَّكَاكِيَّ فكان أبين قولاً حيث قال: "هو تعقيب الكلام بجملة تامّة ملاقية إيّاه في المعنى؛ ليكون تنميماً له على جهة المثل أو غيره".

وهذا واضح أنّ المعنى هنا هو المعنى السِّيَاقِيَّ (أو: المعنى بمعنى التفسير والشرح).

٦- وقد تبع اليازجيُّ والهاشميُّ ابن قتيبة في إدخال الالتفات في باب العدول عن مقتضى الظاهر، وقد عدّاه من علم البديع.

٧- من هنا أرى أنّ الالتفات عدول نحويّ عدل فيه قائله عن المطابقة التي سنينها في القرائن النحويّة والمعنى.

٨- إنّ كلّ مَنْ حدّ الالتفات قال: إنه انتقال من غيبة إلى... . وفي هذا دليل على ما ذهبنا إليه من أنّ الالتفات عدول نحويّ قصد به صاحبه مقصداً ما.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني المستوى النحوي

الفصل الأول

المعنى وأنواعه

الفصل الثاني

النظام النحوي

الفصل الثالث

القرائن المعنوية

الفصل الرابع

القرائن اللفظية

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إنَّ أَمْنَ اللَّبْسِ هُوَ أَغْلَى مَا تَحْرُصُ عَلَيْهِ اللُّغَةُ اسْتِعْمَالاً وَأَثْمَنَ مَا يَتَطَلَّبُهُ اللُّغَوِيُّونَ تَحْلِيلًا، وَمَنْ ثَمَّ يَصْبِحُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ غَايَةً لَا يَدْعُو الْأَمْرَ بَعْدَهَا إِلَى الْبَحْثِ عَنْ مَزِيدٍ مِنَ الْقِرَائِنِ. (١)

وإنَّ غَايَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّظَرِ فِي نَصٍّ هُوَ فَهْمُ النَّصِّ، وَإِنَّ سَبِيلَهُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعَلَاqَاتِ الْمَنْطُوقَةِ أَوْ الْمَكْتُوبَةِ، وَإِنَّ الْعَلَاqَةَ بَيْنَ الْمَبْنِيِّ الْمَكُونَةِ لِلتَّرْكِيبِ لَهَا الدَّورَ الْأَهَمُّ فِي تَأْذِيَةِ الْمَعْنَى، وَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَاqَاتِ يُمْكِنُ أَنْ نَقْسِمَهَا عَلَى عِلَاqَاتٍ مَقَالِيَّةٍ وَعِلَاqَاتٍ مَقَامِيَّةٍ، فَالْعِلَاqَاتِ الْمَقَالِيَّةُ تَعْتَمِدُ الْمَقَالَ الَّذِي تَنْظُمُ الْعَلَاqُ فِيهِ (الْقِرَائِنِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْقِرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ) وَلَوْضُوحِ الْقِرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ فَإِنَّ مِنَ السَّهْلِ عَلَى الْمَعْرَبِ أَنْ يَلْحَظَهَا دَاخِلَ النَّصِّ، وَإِنْ التَّبَسَّتْ عَلَيْهِ وَهِيَ مَفْرَدَاتٌ. (٢)

وَأَمَّا الْقِرَائِنِ الْمَعْنَوِيَّةُ فَهِيَ الْعِلَاqَاتِ الَّتِي تَقُومُ بَيْنَ الْأَبْوَابِ فِي السِّيَاقِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى الْوِظِيْفِيَّ الصَّرْفِيَّ وَالنَّحْوِيَّ، وَإِنَّ اتِّصَاحَ الْعِلَاqَةَ بَيْنَ بَابٍ وَبَابٍ فِي السِّيَاقِ لِيَعْتَبَرَ بِذَاتِهِ قَرِينَةً عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الْعِلَاqَاتِ الْوَاضِحَةُ خَيْرَ دَلِيلٍ مِنْ أَدَلَّةِ الْفَهْمِ بِالنَّسْبَةِ لِلسَّمْعِ، وَمِنْ أَدَلَّةِ التَّحْلِيلِ بِالنَّسْبَةِ لِلْمَعْرَبِ. (٣)

وَالْمَعْنَى الَّذِي يَحْمَلُهُ النَّصُّ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ:

- مِنْهَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةُ؛ أَي: مَا وَضَعَ اللَّفْظُ بِإِزَائِهِ أُصَالَةً، وَهُوَ مَا يَنْكَفِلُ بِهِ (عِلْمُ الْمَعْجَمِ). وَالْمَعْجَمُ قَائِمَةٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَا يَجْمَعُهَا نِظَامٌ مَعِينٌ، وَقَدْ يَجْمَعُهَا عِلَاqَةُ اسْتِنْقَاقِيَّةٌ مَعْيَنَةٌ؛ هِيَ اشْتِرَاكُهَا فِي أُصُولِ الْمَادَّةِ، وَمَعْنَى الْكَلِمَةِ فِي الْمَعْجَمِ مُتَعَدِّدٌ وَمُحْتَمَلٌ، وَلَكِنَّ مَعْنَى اللَّفْظِ فِي السِّيَاقِ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، وَالْكَلِمَةُ

(١) الرُّخْصَةُ النَّحْوِيَّةُ / ١٦٧.

(٢) الرُّخْصَةُ النَّحْوِيَّةُ / ١٨٦.

(٣) اللِّسَانُ الْعَرَبِيَّ . مَجْلَدٌ دُورِيَّةٌ لِلأَبْحَاثِ اللَّغَوِيَّةِ وَنَشَاطِ التَّرْجَمَةِ وَالتَّعْرِيْبِ، يَصْدُرُهَا مَكْتَبُ تَنْسِيقِ التَّعْرِيْبِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، بِالرِّبَاطِ (الْمَمْلَكَةُ الْمَغْرِيبِيَّةُ)، الْمَجْلَدُ الْحَادِي عَشَرَ، الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، عَامٌ ١٣٩٤ - عَامٌ ١٩٧٤، ص ٦١. بَحْثٌ لِلدُّكْتُورِ تَمَّامِ حَسَّانِ.

المعجمية صامتة في ذاكرة المجتمع، أو بين جلدتي المعجم.
ومنها المعنى الاستعمالي؛ الذي تجاوزت اللغة فيه ذلك المعنى الأصلي، فاستعملت اللفظ في غيره؛ على سبيل المجاز أو الكناية، وهذا ما يتكفل به (علم البيان)؛ "وأوضح ما في علم البيان من مباحث هو الدلالات الاستعمالية للكلمة. والمعروف أنّ الواضع يضع الكلمة أولاً للمعنى الحقيقي العرفي وليس للمعنى المجازي الفني، ولكنّ كلمات اللغة دائماً في كل مجتمع أقلّ بكثير جداً من تجارب هذا المجتمع، فلو أنّ المجتمع اكتفى باستخدام الكلمات في معانيها الحقيقية لأصبحت تجاربه التي تعبر اللغة عنها محدودة ولضاع معظم تجارب المجتمع في متاهات النسيان؛ لأنّ الكلمة عقال المعنى، والمعنى الشارد بلا عقل لا بدّ له أن يضلّ ويختفي ويضيع إلى الأبد، وكذلك كان لا بدّ من حلّ لهذه المشكلة في اتجاهين:

أ- محاولة إثراء اللغة بإيجاد كلمات للمعاني التي لم يعبر عنها ولم توضع لها كلمات من قبل.

ب- محاولة الانحراف بالمعنى العرفي للكلمة إلى معان أخرى فنية بيانية تسمى المعاني المجازية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل.

"غير أنّ هذه المعاني الفنية المجازية يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجازي الفني، فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل الناس إلى اعتبار دلالتها على المعنى المجازي الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة ومن ثم يصبح معنى الكلمة متعدداً وترصد لها هذه المعاني المتعددة في المعجم فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدّد لها واحداً من هذه المعاني".^(١)

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٣٢٠.

- ومنها المعنى الوظيفي، وهو : ما تؤديه الكلمة - بما لها من معنى حقيقي، أو استعمالّي - في أثناء تركيبها مع غيرها من (وظيفة) من أجلها استخدمت في هذا التركيب، هي كونها (حدثاً صادراً عن ذات) أو (فاعلاً) صدر عنه الحدث، أو (مفعولاً) وقع عليه الحدث، أو (تميزاً) لمبهم قبلها، أو (استثناءً) من حكم سابق، أو (شرطاً) لحكم لاحق، أو غير ذلك من معانٍ وظيفيّة لا تفهم إلاّ عند التّركيب، والعلم الذي يتكفّل بهذه المعاني التي سمّيت بالمعاني النّحويّة هو (علم النّحو).^(١)

والنّحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أيّ نوع إلاّ ما يقدمه له الصّرف من المباني^(٢)، والصّرف يستعين بالأصوات أيضاً، ثمّ يقدّم العناصر الصّوتيّة إلى النّحو باعتبارها عناصر صرفيّة.^(٣)

وللغة العربيّة الفصحى أنظمة لغويّة هي: النظام الصّوتي، والنّظام الصّرفي، والنّظام النّحوي، ولكل نظام مبانيه ومعانيه.

وما يهتمنا هنا هو النّظام النّحوي.

(١) البحث النّحويّ عند الأصوليين ٨ - ٩.

(٢) كل الصّيغ التي للأسماء بأنواعها، والصّفات، والأفعال؛ تندرج تحت مباني النّقسيم، وتكون فروعاً على هذه الأقسام، وتشبهها في ذلك صور الضّمائر، والإشارات والموصولات، والظّروف، والخوالف، والأدوات. واللّغة تعتمد عند اتفاق المباني إلى إيجاد أنواع المقابلات بينها، فيكون إيجاد المقابلات بواسطة مباني التّصريف، فتسند الأفعال إسنادات مختلفة بحسب النّكلم، والخطاب، والغيبة، وبحسب الإفراد، والتّثنية، والجمع، والتّعريف والتّكثير، فتكون معاني التّصريف على هذا مجالاً للقيم الخلافيّة تفترق الصّيغ على أساسها، فالتّكلم والخطاب والغيبة تولّد القيم الخلافيّة بين الضّمائر والأفعال، فنكون أساس اختلاف صور هذه وإسناد تلك.

(٣) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ١٧٨.

النَّظَامُ النَّحْوِيُّ

النَّحْوُ: هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربيَّة من الإعراب والبناء وغيرهما.

وقيل: علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفساده^(١).

وقيل: "علم بأصول يعرف بها أحوال أو آخر الكلم في التركيب. والتركيب: إما بنسبة إسناديَّة؛ فجملة، أو: غير إسناديَّة؛ ففقيدي، أو: بلا نسبة؛ فمزجي"^(٢).

وينبني هذا النَّظَامُ عَلَى الْأَسْسِ الْآتِيَةِ:

- ١- طائفة من المعاني النَّحْوِيَّة العامَّة؛ كالخبر والإنشاء، والإثبات والنفي والتأكيد...
- ٢- مجموعة من المعاني النَّحْوِيَّة الخاصَّة؛ أو معاني الأبواب المفردة؛ كالفاعليَّة، والمفعوليَّة والحاليَّة...
- ٣- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصَّة، وتكون قرائن معنويَّة عليها حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها؛ كعلاقة الإسناد، والتخصيص والنسبة والتبعية.
- ٤- ما يقدمه علما الصَّرْف والصَّوْتِيَّات لعلم النَّحْو من المباني الصَّالِحَة للتَّعبير عن معاني الأبواب، وتلك الصَّالِحَة للتَّعبير عن العلاقات؛ فليس للنَّحْو من المباني إلَّا ما يقدِّمه له الصَّرْف.
- ٥- القيم الخلافيَّة أو المقابلات بين أحد أفراد كلِّ عنصر مما سبق، وبين بقيَّة أفرادها؛ كأن نرى الخبر في مقابل الإنشاء، أو المدح في مقابل الذم، أو

(١) التَّعْرِيفَات ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) الموفِّي في النَّحْو الكوفِّي ١٠.

المنقّدم رتبة في مقابل المتأخّر، أو الاسم المرفوع في مقابل الاسم المنصوب، أو المتعدّي في مقابل اللّازم، وهلمّ جرّاً.

هذه المقابلات "القيم الخلاقية" ضرورية لفهم المعنى و "أمن اللبس"، ولا يمكن أن نتصور أداء اللّغة لوظيفتها بدونها، وهي أهمّ بكثير من العلاقات الرابطة؛ وأنّ هذه العلاقات تعبّر عن تشابه، و"خوف اللبس" يأتي عند التشابه. (١)

وإنني أرى أنّ العلامة الإعرابية يتفرد بها النظام النحويّ عن باقي الأنظمة؛ لأنّها تميز المرفوعات من المنصوبات، ومن المجرورات، وهي معاني الأبواب النحوية الخاصة، وهي في الأصل ما يقدمه علم الصّوتيات للنحو؛ لأنّ الحركات (_ ، _ ، _) الفتحة، والضّمة، والكسرة، وعدمها (_) السكون، وهي أبعاض الحروف (ا، و، ي) الألف، والواو، والياء؛ كما يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي، والعلامة الإعرابية لا تظهر إلّا في أواخر الكلم في التّركيب، وهي تتضافر مع قرائن أخرى لتعيين الباب النحويّ.

"يقول ابن مالك مثلاً:

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي الْمَاضِي إِذَا كَانَ لِأُنْثَى كَأَبْتٍ هِنْدُ الْأَذَى

وهذا الكلام يفهم على وجهين: أحدهما: صرفيّ، والآخر: نحويّ، ويمكن لنا أن نضع خطة الفهم الصّرفيّ على النحو الآتي:

المعنى	المبنى	العلامة
التأنيث	التاء على إطلاقها	التاء في أبت.

فالتأنيث معنى صرفيّ من معاني التصريف.

(١) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ٣٦ - ٣٧، ١٧٨ - ١٨٩. والرّخصة النحويّة ١٦٩ - ١٧٠.

ولكننا نستطيع أن نفهم هذا البيت أيضاً من زاوية النحو، وهي زاوية العلاقات السياقية، ويكون ذلك كما يأتي:

<u>المعنى</u>	<u>المبنى</u>	<u>العلامة</u>
المطابقة في التأنيث بين الفعل والفاعل	التاء على إطلاقها	التاء في أبت". ^(١)
ويقول الأستاذ الدكتور تمام حسان: "والذي يبدو من هذا التصوير للصلة بين المعنى النحوي، والمعنى الصرفي، والعلامة المنطوقة أو المكتوبة ما يأتي:		
١- أن جميع ما نسميه المعاني النحوية هو وظائف للمباني التي يتكوّن منها المبنى الأكبر للسياق.		
٢- أن المباني المتعدّدة في السياق هي مفاهيم صرفية لا نحوية.		
٣- أن العلامة المنطوقة أو المكتوبة ليست جزءاً من نظام الصرف، أو نظام النحو؛ ولكنها جزء من الكلام، ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:		

<u>المعنى</u>	<u>المبنى</u>	<u>العلامة</u>
وظيفة المبنى	شكل مطلق	نطق بعينه، أو كتابة بعينها.

والفهم هو الغاية التي يسعى الناطق (المتكلم) إليها، وكذلك الكاتب أو القارئ، ولا يجد أيّ منهم صعوبة في العلامة وانتمائها إلى المبنى، فإذا وُضِعَ المبنى في تركيب تأتت الصعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى؛ لأنّ المعنى الوظيفي متعدّد بالنسبة للمبنى الواحد، وذلك أنّ قائلًا لو قال: مَا أَحْسَنَ

(١) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) المرجع نفسه ١٧٩ - ١٨٠.

زَيْدٌ، غير معرب، لم يوقف على مراده، لأنَّ "ما" على إطلاقها تصلح: للموصولة، والشرط، والنفي، والتعجب، والاستفهام، إلخ. فإذا أعربنا، وقلنا: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا!، أو: مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ. ، أو: مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ؟ تعينت "ما"؛ ففي الجملة الأولى: تعجبية، وفي الثانية: نافية، وفي الثالثة: استفهامية.^(١) "وإن كانوا انفقوا على أنها اسم، وأنها مبتدأ. والمغزى من وراء كل ذلك أن ما يتَّسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية، والمعنوية، والحالية؛ ليرى أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود".^(٢)

وإن سبيل فهم نصٍّ أن ينظر الإنسان في العلاقات المنطوقة أو المكتوبة، وإنَّ العلاقة بين المباني المكوِّنة للتركيب تلعب الدور الأهمَّ في تأدية المعنى، وإنَّ هذه العلاقات يمكن أن نقسمها على علاقات مقالية، وعلاقات مقامية؛ فالعلاقات المقالية تعتمد المقال التي تنظَّم العلائق فيه (القرائن المعنوية، والقرائن اللفظية)، ولوضوح القرائن اللفظية فإنَّ من السَّهل على المعرب أن يلحظها داخل النصِّ، وإن التبست عليه وهي مفردات، وعند استعمال المفردة في جملة يُلاحظ أنَّ معنى بنيتها قد تحدَّد، وقد ساعد على تحديد ذلك السِّياق، فالعلاقات السِّياقية إذن قرائن معنوية تفيد في تعيين المعنى النَّحويِّ الخاصِّ (كالفاعلية، والمفعولية، إلخ). فما هي القرائن المعنوية؟

(١) الرُّخصة النَّحوية ٢٠١ و ٢١٩.

(٢) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها ١٨٠ - ١٨١.

القرائن المعنويّة

القرائن المعنويّة: هي العلاقات التي تقوم بين الأبواب في السيّاق من حيث المعنى الوظيفي الصّرفي، والنحوي، وإنّ اتّضح العلاقة بين باب وباب في السيّاق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى، ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من أدلّة الفهم للسّامع، ومن أدلة التّحليل للمعرب.

وهي:

أولاً: الإسناد: معنى، وهو العلاقة الرّابطة بين مسند (محكوم به)، ومسند إليه (محكوم عليه).

ثانياً: التّخصيص: معنى نحوي، أي: إنّه علاقة (أو: قيد) نحويّة تربط بين المعنى الإسناديّ المستفاد من المسند وبين متّمّات الجملة الفعلية.

وهذه القرينة تصدق على المنصوبات التالية: المفاعيل الخمسة (المفعول به، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول فيه، والمفعول المطلق)، والحال، والتّمييز، الاستثناء.

ثالثاً: النسبة: وهي القرينة المعنويّة الدّالة على المجرورات (بالحرف والإضافة).

رابعاً: التّبعية: وهي القرينة المعنويّة الدّالة على التّوابع، وهي: عطف النّسق، وعطف البيان، والتّوكيد، والنّعت، والبدل.

خامساً: المخالفة: وهي القرينة المعنويّة الدّالة على طائفة من المنصوبات، وتظهر جليّة في أسلوب الاختصاص، وأسلوب التّعجب، وتميّز كم الخبريّة، والمصادر المنصوبة لمخالفتها للمبتدآت من نوعها، والمنصوب بعد

الجملة الإسمية، وبعض الأسماء في أساليب الإنشاء.

القرائن اللفظية

يمكن إجمال القرائن اللفظية بـ:

أولاً: العلامة الإعرابية: بنى النحاة العرب النحو على العلامة الإعرابية، وجعلوا الإعراب عبارة عن اختلاف أواخر الكلمات لإبانة معناها.

ثانياً: الرتبة: قرينة لفظية، وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه. والرتبة بكونها قرينة لفظية تخضع لمطالب أمن اللبس، وقد يؤدي ذلك إلى أن تنعكس الرتبة بين الجزأين المرتبين بها.

ثالثاً: البنية: باب صرفي، وكما أسلفت فليس للنحو مبان خاصة، فإذا نظرنا إلى الكلام العربي نجده يشتمل على بنيات تركيبية، وبنيات اشتقاقية؛ وهذه البنيات بنوعها تكون مباني التقسيم (الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة) ومن هذا التقسيم للكلمة نجد أن الضمير وأكثر الخوالب والظروف والأدوات مبانيها هي صورها المجردة، إذ لا بنيات صرفية لها، وأمّا الأسماء، والصفات، والأفعال؛ فمبانيها اشتقاقية؛ لذلك تلحق مبانيها لواصق وزوائد؛ لتدل على المعاني التالية: الشخص، والعدد، والنوع، والتعيين.

رابعاً: المطابقة: تتم المطابقة في اللغة العربية بين المبتدأ والخبر، وما كان أصله المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والتوابع - باستثناء عطف النسق؛ فإنه يعتمد الأداة - وأنواع من البديل، والحال المفرد وصاحبه، ويمكننا القول: إن

المطابقة تتم في حالة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وكذلك تتم بين الواقع عليهما حكم واحد، وفي حالة واحدة من حالات التخصيص. وما دام الضمير يلعب نفس دور الاسم في الجملة العربية فيقع مبتدأ، وفاعلاً، واسم إن، ومفعولاً به، إلخ. ولا يكون إلا معرفة، فقد كان له دور فعّال في المطابقة.

وأخصّ الضمائر أعرفها؛ فضمير المتكلم أخصّ من ضمير الغائب، وضمير المخاطب أخصّ من ضمير الغائب؛ وذلك لقلة الاشتراك، وإذا اجتمع الأخصّ وغيره غلب الأخصّ تقدم أو تأخر، فيقال: أنا وأنت، أو: أنت وأنا فعَلْنَا، ولا يقال: فعَلْتُمَا. وأنتَ وهُوَ. أو: هُوَ وأنتَ فعَلْتُمَا، ولا يقال: فعَلَا. ومتى أمكن اتصال الضمير لم يعدل إلى المنفصل؛ لقصد الاختصار الموضوع لأجله الضمير.

وتتم المطابقة في الحالات التالية:

- ١- الشَّخص: ويعبر عنها بـ "النَّكْم، والخطاب، والغيبة".
- ٢- العدد: ويعبر عنها بـ "الإفراد، والتثنية، والجمع".
- ٣- النُّوع: ويعبر عنها بـ "التذكير، والتأنيث".
- ٤- التَّعيين: ويعبر عنها بـ "التعريف، والتكثير".
- ٥- العلامة الإعرابية^(١).

فبالنسبة للشَّخص: فيعبر عنها ضمائر الرِّفَع المتصلة في الفعل الماضي، وحروف المضارعة في المضارع، أما فعل الأمر فللمخاطب فقط.

أما العدد: فيعبر عنها دلالة الضمائر في الأفعال، وعلامات تثنية الأسماء والصِّفات وجمعها؛ ففي الماضي يتبين العدد في إسناد الفعل إلى تاء المتكلم

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢١١ - ٢١٢، والرخصة النحوية ٢٢٠.

المضمومة، وتاء المخاطبة المفتوحة والمكسورة، والاستتار في الغيبة للمذكر، وإلحاق تاء التأنيث الساكنة للمؤنث؛ هذا في الإفراد؛ أما في التثنية فيتبين في إسناد الفعل إلى (نا) للمتكلم، و(تما) للمذكر والمؤنث في الخطاب، وألف الاثنين في الغيبة. وأما في الجمع فيتبين في إسناد الفعل إلى (نا) للمتكلم، و(تم) للمذكر، و(تن) للمؤنث في الخطاب، وواو الجماعة ونون النسوة في الغيبة.

أما بالنسبة للمضارع، فإن حروف المضارعة هي التي تحدّد العدد.

أما في الأسماء والصفات فيتحدد بالألف والنون، أو: الياء والنون للمثنى، والواو والنون، أو: الياء والنون لجمع المذكر السالم، أو: الألف والتاء لجمع المؤنث السالم.

أما النوع: فيظهر بعلامات التأنيث في الأسماء والصفات؛ كطاء التأنيث، والألف المقصورة، والهمزة بعد الألف القائمة، ويخلو المذكر من هذه العلامات.

أما في الأفعال فيظهر في تاء التأنيث ونون النسوة.

أما التّعيين: فلأسماء فقط دون الصفات والأفعال: لأنّ (أل) لا تلحق بالفعل، وإذا لحقت الصفة الصريحة فهي ضمير موصول وليست أداة تعريف، فالفرق بين النكرة والمعرفة هي (أل) على أنّ معاني (أل) تتعدّد بين التعريف والموصوليّة.

أما العلامة الإعرابيّة: فتظهر جلية في التّوابع.

ولا شك أنّ المطابقة في أيّ واحدة من هذه المجالات الخمسة تقويّ الصلّة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون قرينة لفظيّة على الباب الذي يقع فيه ويعبر عن كلّ منهما، فبالمطابقة تتوثّق الصلّة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها.

خامساً: الرَّبْطُ: إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةُ الرَّبْطِ بِمَا فِيهَا مِنْ وَسَائِطِهِ، وَيَتِمُّ الرَّبْطُ بِالضَّمِيرِ، أَوْ: بِالْحَرْفِ، أَوْ: بِإِعَادَةِ اللَّفْظِ، أَوْ: بِإِعَادَةِ الْمَعْنَى، أَوْ: دُخُولِ أَحَدِ الْمَتْرَاطِينَ فِي عَمُومِ الْآخَرِ، أَوْ: بِأَلٍ.

سادساً: التَّضَامُ: التَّضَامُ: أَنْ تَسْتَدْعِي إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ الْكَلِمَةَ الْآخَرَى، أَوْ تَنْفِيهَا؛ وَيَتِمُّ التَّضَامُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَفِي الصَّلَةِ، وَفِي الْمَبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ، وَالْخ. وَأَمَّا التَّنَافِي فَهُوَ سَلْبُ التَّضَامِ، وَمِثَالُهُ: قَوْلُهُمْ: "لَا يُنْعَتُ الضَّمِيرُ، وَلَا يَكُونُ مِضَافًا، وَلَا يَكُونُ مَدْخُولَ حَرْفِ الْجَرِّ فِعْلًا، وَالْخ.

سابعاً: الأداة: الأدوات لا معاني معجمية لها؛ بل معانيها معانٍ وظيفية، وهي لا تفيد بمفردها (ببنيتها التركيبية) شيئاً، فحروف الجرِّ لا تفيد إلا مع مجرورها، وحروف العطف إلا مع المعطوف، إلخ.

ثامناً: النِّعْمَةُ: بنيت العربية على تناسق حروفها في المخارج والصفات، حتى إننا نلاحظ تحول مخرج الحرف في النطق في كثير من الأحيان ليتناسب مع مخرج الحرف الذي يليه، فالنعمة تختلف بين أسلوب الاستفهام وأسلوب العرض، وأسلوب الإثبات؛ وهذه النعمات تساعد على الكشف عن معناها النحوي، ومن الممكن تعويض النعمة بعلامات الترقيم، فإن جاز ذلك في الكتابة فإنه لا يغني في حالة الكلام شيئاً إلا إذا نغم القارئ كلامه، وأعطى كل كلمة حقها من النطق. (١)

وسنرى في بحثنا - الالتفات نحويًا في القراءات القرآنية - أن القرآن الكريم عدل فيه - عزًّا وجلًّا - عن المطابقة لفوائد سببيتها - إن شاء الله - في مواقعها.

(١) للاستزادة: راجع اللغة العربية معناها ومبناها؛ ١٧٧ - ٢٤٠. والرخصة النحوية؛ ١٦٨

الباب الثالث

أنواع الالتفات

الفصل الأول

من الغيبة إلى الخطاب

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من الغيبة إلى الخطاب

من الغيبة إلى الخطاب

١ - قال -تعالى-: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة ١: ١ - ٥]

بلاغياً

الانتقالات في الآيات الكريمات: الانتقال من الغيبة في قوله -تعالى-:

﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ " إلى الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. إذ لو جرى الكلام على نسق واحد؛ لكان حقه أن يقول:
"إيَّاه".

والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو
التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة أو التكلم، ومن التكلم إلى الغيبة أو الخطاب؛
والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمّر.

وشرطه: أن يكون المدلول واحداً؛ ألا ترى أن المخاطب بـ "إيَّاك" هو
الله - تعالى-.

وفائدته:

- إظهار الملكة في الكلام، والاعتدال على التصرف فيه.

- التَّطْرِبَةُ لِنَشَاطِ ذَهْنِ السَّمَاعِ، وَإِيقَازٌ لِلإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، جَرِيًّا عَلَى أَسَالِيهِمْ.
- إِظْهَارُهُ فَائِدَةَ تَخْصُ كُلَّ مَوْضِعٍ.

وفائدته في قوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنه لما ذكر
أَنَّ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ المتَّصِفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ العَظِيمَةِ: بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَبِالرَّحْمَةِ،
وَبِالْمَلِكِ، وَبِالْمَلِكِ لِلْيَوْمِ الآخِرِ، وَالتِّي كُلُّ صِفَةٍ مِنْهَا تَبْعَثُ عَلَى شِدَّةِ الإِقْبَالِ، يَجِدُ
مِنْ نَفْسِهِ حَامِلًا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ عَلَى خِطَابِ مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ بِتَخْصِيصِهِ لِعَايَةِ
الْخُضُوعِ وَالِاسْتِعَانَةِ فِي المَهْمَاتِ.

وقيل: إنَّه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه الصفات العظيمة من
كونه ربَّ العالمين، ورحماناً، ورحيماً، ومالكاً ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم
الشأن، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به، فخطوب بذلك لتميَّزه
بالصفات المذكورة؛ تعظيماً لشأنه حتى كأنه قيل: إياك يا مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ نَخْصُ
بِالعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ لَا غَيْرِكَ.

وقيل: ومن لطائفه التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَبْدَأَ الخَلْقِ الغَيْبِيَّةِ مِنْهُمْ عَنْهُ -سُبْحَانَهُ-،
وقصورهم عن محاضرتِهِ وَمَخَاطَبَتِهِ، وَقِيَامِ حِجَابِ العِظَمَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا عَرَفُوهُ
بِمَا هُوَ لَهُ، وَتَوَسَّلُوا لِلقُرْبِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَأَقْرَأُوا بِالمِحَامِدِ لَهُ، وَتَعَبَّدُوا لَهُ بِمَا يَلِيقُ
بِهِمْ، تَأَهَّلُوا لِمَخَاطَبَتِهِ وَمَنَاجَاتِهِ، فَقَالُوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وبما أَنَّ الكَلَامَ كُلَّهُ لِلغَيْبِيَّةِ؛ حَسَنَ التَّوَجُّهِ بِالخِطَابِ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-،
وَتَخْصِيصِهِ بِالعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَلِأَنَّهُ لَمَّا أَتَى عَلَى اللَّهِ فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ
يَدَيْ اللَّهِ -تَعَالَى-، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ بِجَمِيلِ
صِفَاتِهِ الحَسَنِيَّةِ، وَإِرْشَادُهُ لِعِبَادِهِ بِأَن يَتَنَوَّعُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ لِذَا أَقْبَلَ الحَامِدَ مَخْبِراً بِأَثَرِ

ذكر "الْحَمْد" المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له، وساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهد لذلك بما يبرر المطالبة وهو -تعالى- خالق بالاستجابة، وللإشعار بأن أولى ما يلجأ إليه العباد لطلب ما يحتاجون إليه هو عبادته -تعالى- والاعتراف بصفات الألوهية البالغة.^(١)

ونظير هذا أنك تذكر شخصاً متصفاً بأوصاف جليلة مخبراً عنه إخبار الغائب، ويكون ذلك الشخص حاضراً معك، فتقول له: إِيَّاكَ أَقْصِدُ، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ "إِيَّاهُ"؛ ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله: "اهدنا".^(٢)

ونخلص إلى أن الالتفات في الآيات الكريمة كان على النحو التالي:

(١) الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، وبما يختص به هذا الكلام من الفوائد؛ قوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فإنه قيل: إنما اختير لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب؛ للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة، ألا تترك تحمد نظيرك ولا تعبده، فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد مع الغيبة، ولفظ العبادة مع الخطاب، لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة، وذلك عن طريق التآدب، لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: الحمد لك.

(١) البحر المحيط ١ / ٢٤، والنهر المآذ ١ / ٢٤، وإعراب القرآن للذرويش ١ / ١٦ - ١٨،

وإعراب القرآن للذرة ١ / ١٦، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٥، والذر المصون ١ / ٥٧،

والقرطبي ١ / ١٢٦، ومعترك الأقران ١ / ٣٨١ - ٣٨٢.

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٤.

(٢) ولَمَّا صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات، قال سبحانه -:-
 ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مخاطب بالعبادة إصراحاً بها، وتَقَرُّباً منه - عزَّ اسمه -
 بالانتهاء إلى محدود. (١)

نحوياً

قال -تعالى-: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾
 [الفاتحة ١ : ٢ - ٥].

يقول ابن مالك:

المَصْدَرُ اسْمٌ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ مَدْلُولِي الْفِعْلِ كَأَمِنْ مِنْ أَمِنْ

المعنى الصرفي:

المصدر: اسم الحدث، وهو كلُّ اسمٍ دلَّ على حدثٍ وزمانٍ مجهول، وهو
 وفعله من لفظ واحد، والفعل مشتقٌّ من المصدر. (٢) ويقول الكفراوي: المصدر:
 اسم ما فعله الفاعل. (٣)

الفعل: يدل على شيئين الحدث والزمان، فحَمَدٌ يدل على حَمَدٍ في زمن
 ماضٍ، وَيَحْمَدُ يدل على حَمَدٍ في الحال أو الاستقبال، وَأَحْمَدُ يدل على حَمَدٍ في
 الاستقبال.

(١) المثل السائر ٢ / ٤ - ٥، ومعتزك الأقران ١ / ٣٨١، وإعراب القرآن للدرويش ١ / ١٦ - ١٨.

(٢) اللُّمَعُ / ٤٨.

(٣) الموفي في النحو الكوفي / ٣١.

بين المصدر والفعل: فالحمد هو الحدث وهو أحد مدلولي الفعل وهو المصدر، وهذا معنى قول: ما سوى الزمان من مدلولي الفعل، فكأنه قال: المصدر اسم الحدث؛ كما من فإنه أحد مدلولي أمِن. (١)

ألا ترى أنك تقول: "الضرب" فيدلك على وجود الحدث في زمن ما، من غير تعيين له؛ فإذا قلت: "ضرب" حصل الفعل أن الزمان ماضٍ مع دلالاته على مثل ما دل عليه الضرب.

وقال أبو علي: المصدر أعم، والأفعال أخص؛ لأنَّ الضرب يصلح للأزمنة الثلاثة، فـ"ضرب، ويضرب، وستضرب" كل واحد منها ليس يصلح للأزمنة الثلاثة، والمصدر لعمومه بمنزلة الجنس، وهذه بمنزلة الأنواع، فكما تكون الأنواع فروعاً للجنس تكون الأفعال فروعاً للمصدر. (٢)

والمصدر أقوى وأثبت من الفعل، ثم إنَّ المصدر هو الحدث المجرد، والفعل هو الحدث المقترن بالزمن، فأنت حين تأمر بالمصدر فقد أمرت بالحدث المجرد، وهو أكد من الفعل لمجيبنا بالحدث وحده. وذكر الرضي: "أنه حذف إبانة لقصد الدوام واللزوم بحذف ما هو موضوع للحدث والتجدد أي الفعل؛ في نحو: حمداً لك، وشكراً لك، وعجباً منك، ومعاذ الله، وسبحان الله"، ولعله يقصد إلى أنه أდوم من الفعل، وأثبت منه. أمَّا الرفع فإنه أدوم منهما وأثبت. (٣)

المصدر والعلامة الإعرابية: وأمَّا رفع المصادر فللدلالة على الثبوت والاستقرار: تقول "صبراً جميلاً" إذا أمرت بالصبر؛ فإن قلت: "صبرٌ جميلٌ" كان أمراً بالصبر الدائم الطويل؛ وهو بمعنى المصدر المنصوب؛ إلا أنه أثبت

(١) شرح ابن عقيل على الألفية / ٧٩، والبهجة الرضية في شرح الألفية / ٧٩.

(٢) شرح التلمع / ١ / ١٠١ - ١٠٢.

(٣) الرضي على الشافية / ١ / ١٢٥، ومعاني النحو / ٢ / ٥٩٢.

وأدوم.^(١)

وجاء في (المقتضب): وإنما تنتظر في هذه المصادر إلى معانيها، فإن كان الموضع بعدها أمراً أو دعاء لم يكن إلا نصباً، وإن كان لما قد استقر لم يكن إلا رفعاً، وإن كان يقع لهما جميعاً كان النصب والرفع.^(٢)

وكذلك أتى بالنون في: "تَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ" التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة والاستعانة تستغرق المتكلم وغيره.^(٣)

المعنى النحوي

هو العلاقة بين المباني الصرّفيّة^(٤) داخل التّركيب اللّغوي؛ لإبراز معنى السّياق.

وهذه العلاقات (الرّبط بين المباني) تتشكّل منها قواعد تؤدّي وظائف أساسية للنّحو، هي تحديد العلامة الإعرابيّة، ونظام تركيب الجملة من حيث المطابقة والتّضام، والرّتبة، والبنية، والرّبط والأداة، والنّغمة، ليسلم اللسانان من الخطأ. وغاية ما يسعى إليه فهم كلام الله - سبحانه وتعالى - ورسوله سيدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - والفهم والإفهام بشكل عام.

(١) معاني النّحو ٢ / ٥٩٣.

(٢) المقتضب ٣ / ٢٢١ - ٢٢٢، ومعاني النّحو ٢ / ٥٩٤.

(٣) البحر المحيط ١ / ٢٤.

(٤) لأنّ النّحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أيّ نوع إلا ما يقدمه له الصّرف من المباني، والصّرف يستعين بالأصوات أيضاً، ثمّ يقدم العناصر الصّوتية إلى النّحو باعتبارها عناصر صرّفيّة. اللّغة العربيّة / ١٧٨.

الإعراب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة ١ : ٢]

قراءة المصحف الإمام^(١): "الْحَمْدُ"

قرأ الجمهور: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" برفع الدال وكسر لام الجر. ورفع على الابتداء، والخبر الجار والمجرور بعده، متعلقان بمحذوف هو الخبر في الحقيقة، ثم ذلك المحذوف إن شئت قَدَّرْتَهُ اسماً وهو المختار، وإن شئت قَدَّرْتَهُ فعلاً؛ أي: الْحَمْدُ مُسْتَقَرٌّ لِلَّهِ، أو: اسْتَقَرَّ لِلَّهِ.

وقرئ شاذاً بنصب الدال من "الْحَمْدُ"^(٢) وفيه وجهان:

أظهرهما: أنه منصوب على المصدرية؛ أي: إن "الْحَمْدُ" ليس باسم؛ إنما هو مصدر، ثم حذف العامل، وناب المصدر متابةً، فينصب على المصدر، وذلك أن أصل الكلام عنده قوله: "حَمْدًا لِلَّهِ" يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه جعله مكان "أَحْمَدُ" ثم أدخل الألف واللام على هذه.^(٣) كقولهم في الإخبار: "حَمْدًا وشُكْرًا لا كُفْرًا" والتقدير: أَحْمَدُ اللهُ حَمْدًا. فهو مصدر ناب عن جملة خبرية. فإذا صلح مكان المصدر (فَعَلَ أو يَفْعَلُ) - يريد: الماضي أو المضارع، والأمر عند

(١) برواية حفص عن عاصم.

(٢) وهي قراءة سفيان بن عيينة، ورؤية بن العجاج، وهارون العتكي (هارون بن موسى؛ كما في الألويسي ٧٥/١)، وهما شخص واحد.

إعراب القرآن للنحاس ١ / ١١٩، وإملاء ما من به الرّحمن للعكبري ١ / ٣، والبحر المحيط لأبي حيّان ١ / ١٨، والتّبيان للّطوسي ١ / ٣٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ١١٨، والكشّاف للزّمخشري ١ / ٥٣، ومجمع البيان للطّبري ١ / ٢١، ومعاني القرآن للقرّاء ٣ / ١، معجم القراءات القرآنية ١ / ٥.

(٣) معاني الأخفش ١ / ٩.

الكوفيين قطعة من المضارع - جاز فيه النصب، من ذلك قوله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد ٤٧: ٤] يصلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول: فاضربوا الرقاب.

ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعِنَا بِهِ ﴾ [يوسف: ١٢ / ٧٩] يصلح أن نقول في مثله من الكلام: نَعُوذُ بِاللَّهِ. ومنه قول العرب: سَقِيًّا لَكَ، وَرَعِيًّا لَكَ؛ يجوز مكانه: سَقَاكَ اللهُ، وَرَعَاكَ اللهُ. (١)

وقال الطبري: إِنَّ فِي ضَمْنِهِ أَمْرَ عِبَادِهِ أَنْ يُتَنَوَّاهُ بِهِ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَعَلَى هَذَا يَجِيءُ: "قُولُوا إِنَّا كَ" فعلى هذه العبارة يكون - أي: الْحَمْدُ؛ على قراءة النَّصْب - من المصادر النائبة عن الطَّلَب لا الخبر، وهو محتمل للوجهين، ولكن كونه خبرياً أو من كونه طلبياً، ولا يجوز إظهار هذا النَّاصِبِ لئلا يُجْمَعَ بين البَدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ أَي: أَقْرَأُوا الْحَمْدَ، أَوْ: اتَّلُوا الْحَمْدَ. كَقَوْلِهِمْ: "اللَّهُمَّ ضَبِعاً وَذَنْباً" أَي: اجْمَعْ ضَبِعاً. وَالأَوَّلُ أَحْسَنُ لِلدَّلَالَةِ اللَّفْظِيَّةِ.

وقراءة الرَّفْعِ أَمْكَنُ وَأَبْلَغُ مِنْ قِرَاءَةِ النَّصْبِ، لِأَنَّ الرَّفْعَ فِي بَابِ الْمَصَادِرِ الَّتِي أَصْلُهَا النَّيَابَةُ عَنْ أَفْعَالِهَا يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ وَالِاسْتِقْرَارِ؛ بِخِلَافِ النَّصْبِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحَدُوثِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ جَوَابَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي قَوْلِهِ -تعالى- حِكَايَةَ عَنْهُ: ﴿ قَالَ سَلِّمْ ﴾ [هود: ١١: ٦٩] (٢) أَحْسَنُ

(١) معاني الفراء ١ / ٣.

(٢) ووجه تفضيل "سلام" أن المحذوف اسم، أي: سلامي سلام؛ وهذا يفيد الثبوت، أما "سلاماً" فالمحذوف فعل، أي: أسلم سلاماً؛ وهذا يفيد التجدد والانقطاع.

من قول الملائكة: "قَالُوا سَلَامًا"، امتثالاً لقوله -تعالى-: ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ [النساء ٤ : ٨٦].^(١)

والألف واللام في "الْحَمْدُ" قيل: للاستغراق، وقيل: لتعريف الجنس، واختاره الزمخشري، وقيل: للعهد، ومنع الزمخشري كونها للاستغراق، ولم يبين وجه ذلك، ويُشبهه أن يقال: إنَّ المطلوب من العبد إنشاء الحمد لا الإخبار به، وحين إذن يستحيل كونها للاستغراق، إذ لا يمكن العبد أن ينشئ جميع المحامد منه ومن غيره بخلاف كونها للجنس.^(٢)

قوله -تعالى-: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة ١ : ٥].

إِيَّاكَ: مفعول مقدّم على "نَعْبُدُ" قُدِّمَ للاختصاص، وهو واجب الانفصال.

نَعْبُدُ: فعل مضارع مرفوع لتجرّده من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره نحن.

والكلام في ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كالكلام في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والواو عاطفة، وهي من المُشْرَكَةِ في الإعراب والمعنى، ولا تقتضي ترتيباً على قول الجمهور.^(٣)

عدل القرآن الكريم عن المطابقة (الأتساق)، إذ لو جرى الكلام على نسق واحد متطابقاً، لكان حقّه أن يقول: "إِيَّاهُ". فحرسَت القرائن التالّية المعنى:

(١) الدرّ المصون ١ / ٣٩ - ٤٠.

(٢) الدرّ المصون ١ / ٣٧ - ٣٨.

(٣) الدرّ المصون ١ / ٥٥ - ٥٩.

- ١- البنية: المصدر (الْحَمْدُ)، والفعل المضارع مع النون (نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ).
- ٢- العلامة الإعرابية: الضمة للمصدر.
- ٣- التّضام: تقدم (إِيَّاكَ) المفعول به.
- ٤- الرّبط: عود الضّميرين (الْحَمْدُ لِلَّهِ) و (إِيَّاكَ) لله - عزّ وجلّ -.
- ٥- الرتبة: قدم "إِيَّاكَ" للأهميّة. علماً بأنّ رتبة المفعول به غير محفوظة.

فاختيار المصدر (الْحَمْدُ) ودلالته على حمْدِ الله - سبحانه وتعالى - على ما أنعم به على الإنسان (في الماضي)، لأنّ الظاهر دائماً في قوة الغائب - كما قالوا - .

واختيار الضمير (إِيَّاكَ) في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، واستحضر الاسم الظاهر (الله) في القلب، ولم يقل: "إِيَّاه".

واختيار "نَعْبُدُ، وَنَسْتَعِينُ"، وسيأتي بيان ذلك في المعنى.

المعنى

الْحَمْدُ: معناه الثناء الكامل على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا، يقال: حَمَدْتُ الرَّجُلَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ، وَحَمَدْتُهُ عَلَى شَجَاعَتِهِ. ويكون باللّسان وحده دون عمل الجوارح؛ إذ لا يقال: حَمَدْتُ زَيْدًا. أي: عملت له بيدي عملاً حسناً.

والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، فهو - سبحانه - يستحقُّ الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا. وهو أعم من الشُّكر، لأنّ الشُّكر إنّما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشَّاكر، وشكره حمد ما.

يقال: شَكَرْتُهُ عَلَى مَا أَعْطَانِي. ولا يقال: شَكَرْتُهُ عَلَى شَجَاعَتِهِ. ويكون بالقلب واللسان والجوارح. قال -تعالى-: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ٣: ١٣].

وقال الشاعر: (١)

أَفَادَتُكُمُ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً
يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً، فالحامد من الناس قسمان: الشَّاكِر، والمُتَنِّي بالصفات الجميلة. وحكى الطَّبْرِيُّ عن بعض النَّاس أَنَّهُ قَالَ: "الشُّكْرُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَالْحَمْدُ ثَنَاءٌ بِأَوْصَافِهِ" (٢) فيكون بين الحمد والشُّكْر عموم وخصوص من وجه، وقيل: الحَمْدُ هُوَ الشُّكْرُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ: "الحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا". وعلق عليه ابن عطية بقوله: "لأنَّ قَوْلَكَ "شُكْرًا" إِنَّمَا خَصَّصْتَ بِهِ الْحَمْدَ أَنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ". (٣)

وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، والحمد أعمُّ من الشُّكْرِ. وقيل: الحمد: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ -تعالى- بأوصافه، والشُّكْر: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِأَفْعَالِهِ.

وقال الرَّاعِب: "الحَمْدُ لِلَّهِ" الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِالْفَضِيلَةِ، وَهِيَ أَحْصَى مِنَ الْمَدْحِ، وَأَعْمٌ مِنَ الشُّكْرِ. أَي: إِنَّ الْمَدْحَ يُقَالُ فِيْمَا يَكُونُ مِنَ الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ، وَبِمَا يَكُونُ مِنْهُ وَفِيهِ بِالتَّسْخِيرِ، فَقَدْ يُمَدَحُ الْإِنْسَانُ بِطَوْلِ قَامَتِهِ، وَصِبَاحَةِ وَجْهِهِ؛ كَمَا يَمْدَحُ بِبِذْلِ مَالِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ يَكُونُ فِي الثَّنَائِي دُونَ الْأَوَّلِ. وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَقَابِلَةِ نِعْمَةٍ، فَكُلُّ شُكْرٍ حَمْدٌ، وَلَيْسَ كُلُّ حَمْدٍ شُكْرًا، وَكُلُّ حَمْدٍ مَدْحٌ، وَلَيْسَ

(١) وهو في الكشاف ٥٢/١، وشرح شواهد الكشاف ٣٤٨. أي: أنا أشكر نعماءكم بالقلب واللسان.

(٢) المحرَّر الوجيز ١ / ٦٣.

(٣) المحرَّر الوجيز ١ / ٦٣.

كُلُّ مَدْحٍ حَمْدًا، ويقال: فُلَانٌ مَحْمُودٌ؛ إِذَا حَمِدَ؛ وَمَحْمَدٌ وَجِدَ مَحْمُودًا، وَمَحْمَدٌ كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةِ؛ وَأَحْمَدُ أَيُّ: إِنَّهُ يَفُوقُ غَيْرَهُ فِي الْحَمْدِ. (١)

والحمد نقيض الذم، تقول: حَمَدْتُ الرَّجُلَ أَحْمَدُهُ حَمْدًا. فهو حَمِيدٌ وَمَحْمُودٌ، والتَّحْمِيدُ أبلغ من الحمد، والحمد أعمُّ من الشُّكْرِ، والمُحَمَّدُ: الذي كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةِ؛ وبذلك سُمِّيَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (٢).

قال الطَّبْرِيُّ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" تَنَاءً أَتَيْتُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ضَمْنِهِ أَمْرٌ بِعِبَادَةِ أَنْ يُتَنَوَّاهُ بِهِ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: "قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ" وَعَلَى هَذَا يَجِيءُ: "قُولُوا لِإِيَّاكَ" قَالَ: وَهَذَا مِنْ حَذْفِ الْعَرَبِ مَا يَدُلُّ ظَاهِرَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. (٣)

وقوله -تعالى-: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" نطق المؤمن به إقرار بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله، إذ سائر الناس (أي: باقيهم، يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك) وقدم المفعول به اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم. نَعْبُدُ: معناه نقيم الشرع والأوامر مع تذلل واستكانة. (٤)

والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو -الباري تعالى-، فهي أبلغ في العبودية، لأنَّ العبودية إظهار التذلل، ويقال: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ. أي: مَذَلٌّ بِالْوِطَاءِ. ومنه العبد لِذَلَّتِهِ. وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ. أي: مَذَلٌّ بِالْقَطْرَانِ. وقيل: العبادة: النَّجْرُودُ. ويقال: "عَبَدْتُ اللَّهَ" بالتخفيف فقط. وَعَبَدْتُ الرَّجُلَ. بالتشديد فقط. أي: ذَلَّلْتَهُ، أَوْ: اتَّخَذْتَهُ عِبْدًا. (٥)

(١) المفردات / ١٣٠، والدرُّ المصون ١ / ٣٦ - ٣٧.

(٢) القرطبي ١ / ١١٦ - ١١٧.

(٣) المحرر الوجيز ١ / ٦٤، والقرطبي ١ / ١١٧ - ١١٨.

(٤) المحرر الوجيز ١ / ٧٥ - ٧٦.

(٥) الدرُّ المصون ١ / ٥٧.

نَسْتَعِينُ: معناه: نطلب العون منك في جميع أمورنا، وهذا كله تبرؤ من الأصنام، والسَّيِّئِ فِيهِ مَعْنَاهَا: الطَّلَب. أي: نطلب منك العون على العبادة، والاستعانة: طلب العَوْنِ، وهي المُظَاهَرَةُ والنُّصْرَةُ.

وقدَّم العبادة على الاستعانة لأنها وَصَلَةٌ لطلب الحاجة، وأطلق كُلاً من فِعْلِي العبادة والاستعانة فلم يذكر لهما مفعولاً؛ ليتناولوا كلَّ معبودٍ به، وكلَّ مُسْتَعَانٍ عليه، أو يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر إلى مفعول. نحو: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة ٢: ٦٠] أي: أوقعوا هذين الفعلين.

والنُّونُ فِي "تَعَبُدُ وَنَسْتَعِينُ" تَفِيدُ الْجَمْعَ، مَعَ أَنَّ الْمَتَكَلَّمَ وَاحِدٌ، لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الشَّرِيعَةِ أَنَّهُ مِنْ بَاعِ أَجْنَاساً مُخْتَلَفَةً صَفْقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ ظَهَرَ لِلْمَشْتَرِي فِي بَعْضِهَا عَيْبٌ فَهُوَ مَخِيَّرٌ بَيْنَ رَدِّ الْجَمِيعِ أَوْ إِمْسَاكِهِ، وَلَيْسَ لَهُ تَبْعِيضُ الصَّفْقَةِ بَرْدٌ الْمَعِيبِ وَإِبْقَاءُ السَّلِيمِ، وَهَذَا لَمَّا رَأَى الْعَابِدُ أَنَّ عِبَادَتَهُ نَاقِصَةٌ مَعِيبَةٌ لَمْ يَعْضُضْهَا عَلَى اللَّهِ مَفْرَدَةً؛ بَلْ جَنَحَ إِلَى ضَمِّ عِبَادَةِ جَمِيعِ الْعَابِدِينَ إِلَيْهَا، وَعَرَضَ الْجَمِيعَ صَفْقَةً كَامِلَةً رَاجِئاً قَبُولَ عِبَادَتِهِ فِي ضَمْنِهَا، لِأَنَّ الْجَمِيعَ لَا يُرَدُّ الْبِتَّةَ، إِذْ بَعْضُهُ مَقْبُولٌ، وَرَدُّ الْمَعِيبِ وَإِبْقَاءُ السَّلِيمِ تَبْعِيضٌ لِلصَّفْقَةِ، وَقَدْ نَهَى -سُبْحَانَهُ- عِبَادَهُ عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَلِيقُ بِكَرَمِهِ الْعَظِيمِ، وَفَضْلِهِ الْعَمِيمِ، فَبَقِيَ قَبُولُ الْجَمِيعِ.^(١)

وقد أورد البخاريُّ في (كتاب الدعوات) حديثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ». قَالَ: فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ - مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟

(١) إعراب الدرریش ١ / ١٦ - ١٧ - ١٨.

قال: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.
 قال: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قال: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال:
 يَقُولُونَ: لا، والله، يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قال:
 يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلِبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا
 رَغْبَةً. قال: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قال: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال:
 يَقُولُونَ: لا، والله، مَا رَأَوْهَا. قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ
 رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قال: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ
 غَفَرْتُ لَهُمْ. قال: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ.
 قال: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

وفيه أنَّ الصُّحْبَةَ لها تأثير عظيم، وأنَّ جُلَسَاءَ السُّعْدَاءِ سَعْدَاءُ،
 وَالتَّحْرِيضُ عَلَى صَحْبَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ. (١)

وفي هذه العبارة - "هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ" - مبالغة في نفي
 الشَّقَاءِ عن جليس الذَّاكِرِينَ، فلو قيل: لسعد بهم جليسهم، لكان ذلك في غاية
 الفضل؛ لكن التَّصْرِيحُ بنفي الشَّقَاءِ أبلغ في حصول المقصود.

وفي الحديث فضل مجالس الذِّكْرِ والذَّاكِرِينَ، وفضل الاجتماع على ذلك،
 وأنَّ جليسهم يندرج معهم في جميع ما يَنْفَضِلُ اللهُ -تعالى- به عليهم إكراماً لهم،
 ولو لم يشاركهم في أصل الذِّكْرِ. (٢)

ويقولون: "المَوْتُ مَعَ الْجَمَاعَةِ رَحْمَةٌ".

(١) صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرمانى ٢٢ / ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) فتح الباري بشرح البخاري ١٣ / ٤٦٧ - ٤٧٠.

٢- قال تعالى:- ﴿ الْم ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٢﴾
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ
عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ
سَمْعِهِمْ ۗ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٨﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَجَبَتْ لِحُرَّتِهِمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٣٥﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٦﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي
ءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ ۗ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ

بِسْمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة ٢: ١ - ٢١]

بلاغياً

التفات من الغيبة إلى الخطاب، لما عدّد الله -تعالى- فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كل فرقة ممّا يسعدها ويُسقيها، ويحظيها عند الله ويرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة ١: ٢ - ٤] وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السّامع، كما أنّك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إنّ فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثّالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطّريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السّداد في مصادرك ومواردك. نبهته بالنتفآت نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصغاه إلى إرشادك زيادة استدعاء. (١)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة والاتّساق، ووجه مناسبة: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢: ٢١] لما قبلها هو أنه -تعالى- لما ذكر الملّكفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وصفاتهم وأحوالهم، وما يؤول إليه حال كلّ منهم بصيغة الماضي

(١) الكشّاف ١/ ١٢٠ - ١٢١، والبحر المحيط ١/ ٩٣.

والغيبية التي تفيد التَّحَقُّق والإخبار عنهم، عدل إلى خطاب النَّداء الذي يفيد الحضور والمواجهة؛ والذي افتتحه بحرف النَّداء - يا - وعلى كثرة وقوع النَّداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها؛ وهي أعمُّ حروف النَّداء إذ ينادى بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب^(١) - و - ها - التي تفيد التَّنبيه والإشارة إلى المقصود.

ففي العدول عن الغيبة إلى الخطاب والمواجهة، هزُّاً للتفكير، ووقفةً للتفكير في أمر مقصود مطلوب، وهو ما لا يجده السَّامع المخاطب إذا استمرَّ على لفظ الغيبة؛ فلما واجه -تعالى- النَّاس بالنَّداء أمرهم بالعبادة، وقد تقدم تفسيرها في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١].^(٢)

"واختلف المتأولون من المخاطب بهذه الآية؛ فقال جماعة من المفسرين.المخاطب جميع المشركين؛ فقوله على هذا: {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} يريد العلم الخاص في أنه - تعالى - خلق وأنزل الماء وأخرج الرزق، ولم تنف الآية الجهالة عن الكفار؛ وقيل: المراد كفار بني إسرائيل، فالمعنى: تعلمون من الكتب التي عندكم أن الله لا ندَّ له.

وقال ابن فورك: يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين، فالمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون، وتجعلوا لله أنداداً بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بأنَّ الله واحد، وهذه الآية تعطي أن الله -تعالى- أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا فقد أخذ بطرق من جعل ندّاً. عصمنا الله -تعالى- بفضله، وقصر آمالنا عليه بمنه،

(١) البحر المحيط ١ / ٩٢ - ٩٣.

(٢) راجع رقم - ١ - من الغيبة إلى الخطاب.

وطوله؛ لا ربَّ غيره".^(١)

٣- قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ
﴿ [البقرة ٢: ٨٣]

بلاغياً

قوله -تعالى- { لَا تَعْبُدُونَ } قرئ بالياء، لأنه غيب، أي: معنى الغيبة^(٢)،
والتاء؛ حكاية لما خوطبوا به؛ لأنَّ مجرى الكلام على لفظ المواجهة. أي:
مواجهة الخطاب؛ فيكون أخذ الميثاق قولاً لهم.^(٣)

فمن قرأ بالغيبة؛ فلأن الأسماء الظاهرة حكمها الغيبة، فإجراء الكلام على
ما ابتدئ به أوَّل الآية، وافتتح به الكلام أولى وأشبه من الانصراف عنه إلى
الخطاب.^(٤)

ومن قرأ بالخطاب فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله -تعالى-:
"لَا تَعْبُدُونَ" ومن خطاب بني إسرائيل القدامى إلى خطاب الحاضرين منهم في
زمن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وحكمته أنه أدعى لقبول المخاطب الأمر

(١) المحرر الوجيز ١/١٤٣، والبحر المحيط ٩٣ - ٩٤.

(٢) "لَا تَعْبُدُونَ": قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن محيص، والحسن، والأعمش.

معجم القراءات القرآنية ١/٧٨.

(٣) الحجّة ٨٣.

(٤) حجّة القراءات ١٠٢ - ١٠٣.

والنهي الواردين عليه.^(١)

وقوله -تعالى-: «تُمْ تَوَلَّيْتُمْ» على طريقة الالتفات. أي: توليتم عن الميثاق ورفضتموه.^(٢)

حملوه على الخطاب، وعلى ما بعده من الخطاب في قوله -: «تُمْ تَوَلَّيْتُمْ»، وقوله -تعالى-: «وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ»، وقوله -تعالى-: «مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ» [البقرة ٢: ٨٥].^(٣)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فحرسست القرائن التالّية المعنى:

* العلامة الإعرابية: «تَعْبُدُونَ».

* الربط: "الواو" في قوله -تعالى-: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ». فحكى ما خاطبهم به، فجرى الكلام على لفظ المواجهة.

* البنية: أتساق الكلام وتطابقه على الخطاب؛ توليتم، أنتم، منكم.

قوله -تعالى-: "لَا تَعْبُدُونَ" إخبار في معنى النهي. قال أحمد^(٤): وجه

(١) الثر المصون ٤٥٨/١، وإعراب القرآن للذرويش ١٣٧/١، وإعراب القرآن للذرة ١٤٣/١.

(٢) الكشاف ١٧٨/١.

(٣) الكشاف عن وجوه القراءات السبع ٢٤٩/١.

(٤) الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي (ت: ٦٨٣هـ)، صاحب كتاب الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، مطبوع في حاشية الكشاف.

الدليل منه أن الأول لو لم يكن في معنى النهي لما حسن عطف الأمر عليه، لما بين الأمر والخبر المحض من التنافر، ولا كذلك الأمر والنهي؛ لالتقائهما في معنى الطلب^(١). كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا. تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سورع إلى الإمتثال والإنهاء، فهو يخبر عنه، وتتصره قراءة عبد الله، وأبي: "ولا تعبدوا"، ولا بد من إرادة القول، ويدل عليه أيضاً قوله "وقولوا" وقوله "وبالوالدين إحساناً" إماماً أن يقدر: وتحسنون بالوالدين إحساناً. أو: وأحسنوا.

وقيل هو جواب قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

إجراء له مجرى القسم؛ كأنه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون. وقيل: معناه: أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) رفع. كقوله:

ألا أيهدأ الزاجري أخضر الوغى

" قال أحمد - رحمه الله - : لو قدر القسم مضافاً إلى المذكورين لكان أوجه، فيقول: (وإذ أقسمتم لا تعبدون إلا الله... إلخ). ويدل عليه قراءة عبد الله "أَنْ لَا تَعْبُدُوا". ويحتمل "أَنْ لَا تَعْبُدُوا" أن تكون (أَنْ فِيهِ مفسرة، وأن تكون (أَنْ) مع الفعل بدلاً عن الميثاق، كأنه قيل: أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم^(٢).

قوله - تعالى - : "وَبِالْوَالِدَيْنِ" الواو: حرف عطف على موضع (أَنْ) المحذوفة في "لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ". فكان معنى الكلام: وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وأحسنوا بالوالدين، وبالوالدين الجار والمجرور متعلقان بفعل

(١) الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال؛ مطبوع في حاشية الكشاف ١٨٦/١

(٢) الكشاف / ١ - ١٨٦ - ١٨٧.

المصدر. أي: وأحسنوا بالوالدين (إحساناً)^(١)

وجعل أبو البقاء قراءة الخطاب على إضمار القول. قال: "يُقرأ بالتاء على تقدير: قلنا لهم: لا تعبدون إلَّا الله"^(٢)

ويعلق السَّمين الحلبيُّ على قول أبي البقاء بقوله: "وكونه التفاتاً أحسن."^(٣) المعنى: واذكروا إذ أخذنا، وقال مكِّي - رحمه الله -: "هذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم - عليه السَّلام - كالذَّرِّ. وقال ابن عطية: وهذا ضعيف، وإنَّما هو الميثاق الَّذي أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى - عليه السَّلام - وغيره من أنبيائهم - عليهم السَّلام - وأخذ الميثاق قول، فالمعنى، قلنا لهم لا تعبدون. قال سيبويه:^(٤) لا تعبدون متعلق بقسم، والمعنى: وإذ استحلَّفناكم والله لا تعبدون، وقالت طائفة: تقدير الكلام: بأنَّ لا تعبدوا إلَّا الله، ثمَّ حذفَت الباء، ثمَّ حذفَت أنَّ فارتفع الفعل لزوالها، فلا تعبدون على هذا معمول لحرف النَّصب، وحكي عن قطرب والمبرد: أنَّ "لا تَعْبُدُونَ إلَّا الله" في موضع الحال. أي: أخذنا ميثاقهم موحدين؛ وهذا إنَّما يتجه على قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي - لا يَعْْبُدُونَ - أي: جَعَلُهُ في موضع الحال، لا على أَنَّهُ مقول، ولا على أَنَّهُ نهي. وقال قوم: "لا تعبدون إلَّا الله" نهي في صيغة خبر، ويدل على ذلك أنَّ في قراءة أُبيّ: "لا تعبدوا" وقال الفراء والزَّجاج وجماعة: أخذنا ميثاقهم بألَّا يعبدوا إلَّا الله، وبأنَّ يحسبوا للوالدين، وبأنَّ لا يسفكوا الدَّماء، ثمَّ حذفَت أنَّ والباء فارتفع لزوالهما، وعليهما أنشد سيبويه:^(٥)

ألا أيُّ هذا الزَّاجِرِي.

(١) إعراب الدَّرويش ١/١٣٧.

(٢) التَّبيان في إعراب القرآن ١/٨٣.

(٣) الدَّار المصون ١/٤٥٨.

(٤) الكتاب ٣/١٠٥ - ١٠٦.

(٥) المحرَّر الوجيز ١/٢٧٦-٢٧٧، والقرطبي ١/٤٠٧-٤٠٨.

المعنى النحوي

قال السّمين الحلبي: وفي هذه الجملة المنفيّة ثمانية أوجه:

أظهرها: أنها مفسّرة لأخذ الميثاق^(١)، وذلك أنه لما ذكر -تعالى- أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إيهام للميثاق ما هو؟ فأتى بهذه الجملة مفسّرة له، ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.

الثّاني: أنها حالٌ مقارنة بمعنى: أخذنا ميثاقهم ملتزمين الإقامة على التّوحيد، قاله أبو البقاء^(٢)، - أو: أخذنا ميثاقهم موحدين.^(٣) - وسبّغه إلى ذلك قطرب والمبرّد.

الثّالث: أن يكون جواباً لقسم محذوف دلّ عليه لفظ الميثاق^(٤). أي: استحلّفناهم، أو: قلنا لهم: بالله لا تعبدون. ونُسب هذا الوجه لسيبويه^(٥) وواقفه الكسائيّ والفراء^(٦) والمبرّد.

الرّابع: أن يكون على تقدير حرف الجرّ، وحذف أن؛ والتقدير: أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا، أو: بأن لا تعبدوا. فحذف حرف الجرّ؛ لأنّ حذفه مطّرد مع أنّ وأن، ثم حذف (أن) النّاصبة فارتفع الفعل بعدها. ونظيره قول طرفة:

(١) الكشّاف ١/١٨٦.

(٢) الإملاء ١/٤٦.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/١٠٢.

(٤) الكشّاف ١/١٨٦.

(٥) الكتاب ٣/١٠٦.

(٦) معاني القرآن ١/٥٤.

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي. (١)

وإذ حذف (أَنْ) فالصَّحِيح جواز النَّصْب والرَّفْع، وأيد الزَّمْخْشَرِيُّ هذا الوجه الرَّابِع بقراءة عبد الله، وأبي: "لا تعبدون" على النَّهْي. (٢)

الخامس: أن يكون في محل نصب بالقول المحذوف، وذلك القول حال تقديره: قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله. ويكون خبراً في معنى النَّهْي، ويؤيده قراءة أبي المتقدِّمة، وبهذا يتضح عطف "وقولوا" عليه، وبه قال الفراء. (٣)

السادس: أن "أَنْ" النَّاصِبَة مضمرة، كما تقدم، ولكنها هي وما في حيزها في محل نصب على أنها بدل من "ميثاق" (٤) كأنه قيل: أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم. وهذا قريب من القول الأول من حيث أن هذه الجملة مفسرة للميثاق.

السابع: أن يكون منصوباً بقول محذوف، وذلك القول ليس حالاً، بل مجرد إخبار، والتقدير: وقلنا لهم ذلك. ويكون خبراً في معنى النَّهْي. قال الزَّمْخْشَرِيُّ (٥): كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا. تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاه فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة أبي وعبدالله: "لا تعبدوا" ولا بد من إرادة القول. انتهى، وهو كلام حسن جداً.

الثامن: أن يكون التقدير: أن لا تعبدون، وهي "أَنْ" المفسرة، لأن في قوله: "أخذنا ميثاق بني إسرائيل" إبهاماً كما تقدم، وفيه معنى القول، ثم حذفت

(١) الكتاب ٩٩/٣ و ١٠٠.

(٢) الكشاف ١٨٦/١.

(٣) معاني القرآن ٥٤/١.

(٤) الكشاف ١٨٦/١ - ١٨٧.

(٥) الكشاف ١٨٦/١.

"أن" المفسرة، ذكره الزمخشري^(١). (٢)

٤- قال - تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَاءٌ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ^٤ أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ^٥ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^٦ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ^٧ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ^٨ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ [البقرة ٢: ٨٥]

بلاغياً:

قرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما "تردون" بالتاء، وهو مناسب لقوله: "أفتؤمنون" ويحتمل أن يكون النفاً بالنسبة إلى قوله: "من يفعل ذلك". فيكون قد خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب.^(٣)

وقرئ: "يردون" بالغيبة على المشهور، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون النفاً فيكون راجعاً إلى قوله: "أفتؤمنون" فخرج من ضمير الخطاب إلى الغيبة.

والثاني: أنه لا النفاً فيه، بل هو راجع إلى قوله: "من يفعل".

وقراه الحسن وابن هرمز: "تردون" بالخطاب، وفيه الوجهان المتقدمان.

(١) الكشاف ١٨٦/١ - ١٨٧ .

(٢) الدر المصون ٤٥٨/١ - ٤٦١ .

(٣) البحر المحيط ٢٩٤/١ . والنهر الماذ ٢٩٤/١ .

فالالتفات نظراً لقوله: "مَنْ يَفْعَلْ".

وعدم الالتفات نظراً لقوله: "أَفْتَوْمُنُونَ".^(١)

وكذلك: "وما الله بغافل عما تعملون" قرئ في المشهور بالغيبة والخطاب^(٢)، والكلام فيهما كما تقدّم.

نحوياً

قوله -تعالى-: يُرَدُّونَ.

من قرأ (من يفعل ذلك).. (تُرَدُّونَ)، فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب. وفي هذا عدول عن المطابقة.

ومن قرأ (من يفعل).. (يُرَدُّونَ)، فإن الضمائر متسقة على نمط واحد من المطابقة.

ومن قرأ (تُرَدُّونَ).. مناسب لـ (أَفْتَوْمُنُونَ) و(تَقْتُلُونَ) فيكون الكلام متسقاً على نسق واحد من المطابقة في الضمائر.

قوله: (تعلمون. أولئك)

١- قرأه الحرميّان بالياء (يعملون) ردّوه على قوله: (أولئك الذين)، وقوله (عنهم) و(لاهم) فلمّا أتى كلّهُ بلفظ الغائب؛ حمل صدر الكلام عليه.

(١) الدرّ المصون ١/٤٩٠.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر السبعة ١٦٠، البحر ١/٢٩٤.

٢- وقرأ الباقرن بالتاء (تعملون) حملوه على ما تقدم من الخطاب في قوله: (يَأْتُوَكُمْ أُسْرَى) و(مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ)، وقوله: (أَفْتُوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)، وقوله: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ)، فلما تكرَّر الخطاب حُمِلَ عليه.

وهو الاختيار لكثرة ما قبله من الخطاب، ولأنَّ أكثرَ القراء عليه.

ويحتمل أن يكون لأمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد روي أنَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - قال: إِنَّ بني اسرائيل قد مضوا وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد، يريد وبما يجري مجراه. (١)

٥- قال تعالى:- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهٖ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة ٢: ٩٦]

بلاغياً

قرأ الجمهور "يعملون" بالياء على نسق الكلام السابق.

وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب "تعملون" بالتاء على سبيل الالتفات، والخروج من الغيبة إلى الخطاب. وهذه الجملة تتضمن التهديد والوعيد. (٢)

(١) الكشف ٢٥٢/١-٢٥٣، والمحرر ٢٨٥/١، والقرطبي ٤١٦/١، والتبيان ٨٧/١-٨٨.

(٢) البحر المحيط ٣١٦/١، والنهر الماد ٣١٦/١، والذر المصون ١٦/٢، المحرر الوجيز ٢٩٩/١، الزمخشري ١٩٣/١-١٩٤، القرطبي ٤٢٧/١.

نحوياً

نسق الآية الكريمة لتجدنهم... يود أحدهم... لو يُعَمَّر... وما هو
بمزحزحه من العذاب أن يُعَمَّر - والتقدير: وما أحدهم بمزحزحه تعميره - سار
على نسق واحد

فختم على قراءة الجمهور "يعملون".

وختم على قراءة الحسن وغيره "تعملون" فعدل عن المطابقة فانتقل من
ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب استحضاراً لخطاب المتوَعدين من بني
اسرائيل، للفت النظر إلى بني اسرائيل المعاشين للنبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وإلى من سيأتي بعدُ منهم.

والعائد محذوف؛ أي: يعملونه، أو: تعملونه.

وأتى بصيغة المضارع للغائب -في قراءة الجماعة، وللمخاطب في قراءة
الحسن، وقتاده، والأعرج ويعقوب- وإن كان علمه محيطاً بأعمالهم السالفة
والحاضرة والمستقبلية؛ مراعاة لرؤوس الآي وختم الفواصل، والخطاب أوقع
والم.

٦- قال -تعالى-: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ط فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا ؕ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ؕ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ ؕ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [البقرة ٢: ١٤٤]

* من قرأ بالياء "يعملون"؛ فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك

في نسق واحد من الغيبة. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ^٤ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

* وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب "تعملون"^(١) فيحتمل:

أ- أن يراد به المؤمنون، ويأتي متسقاً مع قوله -تعالى-: ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾.

بلاغياً

ب- ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون من باب الالتفات، ووجهه أن في خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكاً بأن يعملوا بما عملوا من الحق لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار وعظم الشيء الذي ينكر.

وعلى كلتا القراءتين فهو إعلام بأن الله -تعالى- لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وهو متضمن الوعيد.

نحوياً

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ^٤ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

ففي قراءة "تعلمون" خروج على نسق الغيبة إلى الخطاب؛ عدولاً به عن المطابقة.

(١) المحرر الوجيز ١١/٢.

٧- قال -تعالى-: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَةً^١ وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ^٢ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٨﴾ [آل عمران ٣: ٢٨]

بلاغياً

عدل عن الغيبة إلى الخطاب لأن موالاته الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان والمؤمنين أمر مستسمح مستقبح ينكره الطبع السليم، والخلق القويم، والإيمان المستقيم، ولا يليق أن يخاطب به الأصفياء والأولياء فجاء به غائباً.

والتقية لا تجوز فيما فيه ضرر وتآمر على الوطن وأرواح المؤمنين، ومع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض، وهتك العرض، وهدر دم المؤمنين، فهؤلاء لا تجوز معهم تقية ولا مهادنة، ولا عقد أي عهد معهم؛ لأنهم سينقضونه ويستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا إليهم وركنوا إلى عهودهم^(١). والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم^(٢).

نحوياً

لو جرى على اتساق الكلام الأول ومطابقة الضمائر لجاء بالكلام غيبة؛ أي لقال: "إلا أن يتقوا".

وإنما خرج على المطابقة؛ عادلاً، وذلك أن موالاته الكفار لما كانت

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه؛ محي الدين الدرويش ٤٨٩/١، التبيين في إعراب القرآن ٢٥١/١.

(٢) القرطبي ١٢٩٩/٢، المحرر الوجيز ٥٥/٢-٥٦.

مستقبحة لم يواجهه الله عباده بخطاب النهي، بل جاء به في كلام أُسند الفعل المنهي عنه لغيب، ولما كانت المجاملة في الظاهر والمحاسنة جائزة لعذر؛ وهو اتقاء شرهم حسن الإقبال إليهم وخطابهم برفع الحرج عنهم في ذلك. (١)

٨- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُۥ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣﴾ [آل عمران ٣: ٨١]

بلاغياً

الانقفاة في: ﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾ وهو خطاب؛ بعد قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ وهو لفظ غائب.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من الغيبة إلى الخطاب في قوله -تعالى- "ءَاتَيْتُكُمْ" لأنه قد تقدّمه اسم ظاهر وهو "النَّبِيِّينَ"، إذ لو جرى على مقتضى تقدّم الجلالة والنبيّين لكان الترتيب: وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتاهم من كتاب كذا. (٢)

(١) الدر المصون ٢/١٠٩.

(٢) الدر المصون ٣/٢٩٣.

٩- قال -تعالى-: ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران ٨٢:٣ و٨٣]

قرأ أبو عمرو وحفص بن عاصم: "يَبْغُونَ" بالياء من تحت نسقاً على قوله: "هُمُ الْفَاسِقُونَ" في الآية الكريمة: ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران ٨٢:٣]

والباقون: بتاء الخطاب "تبغون"

بلاغياً

قراءة "تبغون" على الالتفاف من الغيبة إلى الخطاب. (١)

نحوياً

عدل عن المطابقة فخرج من الغيبة في قوله: "فأولئك هم الفاسقون" إلى الخطاب في قوله: "تبغون". والمطابقة مرعية في قراءة "يبغون"، ونسقتها واضح.

وقرأ أبو عمرو: "يَبْغُونَ" بالياء مفتوحة، و"تُرْجَعُونَ" بالتاء مضمومة. (٢)

(١) البحر المحيط ٥١٥/٢، والنذر المصون ٢٩٦/٢ و٢٩٧.

(٢) آل عمران: ٨٢، مصحف افريقيا، القرآن الكريم برواية الدُّورِي عن أبي عمرو، الخرطوم- السودان.

* أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[آل عمران ٨٢:٣].

بلاغياً

الالتفات خروج من الغيبة "يُبْعُونَ" إلى الخطاب "تُرْجَعُونَ" .

نحوياً

عدل عن المطابقة، فخرج من الغيبة في قوله "يبغون" إلى الخطاب في قوله "ترجعون".

١٠- قال تعالى:- ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالْمُتَّقِينَ ۗ ﴾ [آل عمران ٣: ١١٥]

قرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو بكر بالتاء "تفعلوا... تكفروه" فيهما على الخطاب، واختلفوا في المخاطب؛

- فقال مكي: هو مردود على الخطاب الذي قبله في قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ

الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۗ ﴾

[آل عمران ٣: ١١٠]- وما تفعلوا من خير. (١) فيكون من تلوين الخطاب ومعدوله.

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٣٥٤/١.

- وقال ابن عطية: "تفعلوا... وتكفروه" بالتاء على مخاطبة هذه الأمة^(١)
-أمة محمد- صلى الله عليه وسلم-.

بلاغياً

والذي يظهر أنها النفات إلى قوله تعالى:- "أُمَّة قَائِمَةٌ فِي الْآيَةِ
الْكْرِيمَةِ: ﴿ لِيَسُوْا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ
الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران ١١٣-١١٤] لمّا وصفهم بأوصاف جليلة أقبل
عليهم تأنيساً لهم واستعطافاً عليهم فخاطبهم بأنّ ما تفعلون من الخير فلا تمنعون
ثوابه ولذلك اقتصر على قوله: "من خير" لأنّه موضع عطف عليهم وترخّم ولم
يتعرض لذكر الشرّ، ومعلوم أنّ كل ما يفعل من خير وشرّ يترتب عليه موعوده،
ويؤيد هذا الالتفات وأنه راجع إلى "أمة قائمة" قراءة الياء؛ وهي قراءة ابن عباس
وحمزة والكسائيّ وحفص وعبدالوارث عن أبي عمرو واختيار أبي عبيد^(٢) وباقي
رواة أبي عمرو خير بين التاء والياء.^(٣)

(١) المحرّر الوجيز ٢/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/٣٥٤، والبحر ٣/٣٦، والنهر ٣/٣٥، والقرطبيّ
٢/١٤١٩، والمحرّر ٣/٢٠٣-٢٠٤، والذّر ٣/٣٨٥، والكشاف ١/٤٣٢.

(٣) مصحف افريقيا، القرآن الكريم برواية الثوري عن أبي عمرو، الخرطوم- السودان؛
الآية: ١١٥ "تَفْعَلُوا... تُكْفَرُوهُ".

نحوياً

١- إنَّ الضَّمير في هذه القراءة قراءة الياء عائد على "أُمَّة قَائِمَةٌ" كما عاد في قوله -تعالى-: "يَتْلُونَ- يسجدون- يؤمنون- يأمرؤن- يَنْهَوْنَ". وما يفعلوا؛ فذلك كله لفظ غيبية متصل به ليس بينهما حائل؛ فذلك أولى به من الخطاب الذي بعد عنه.

٢- في قراءة التاء "تَفَعَّلُوا- تُكْفَرُوهُ". على مخاطبة هذه الأمة؛ وبهذا يكون قد عدل عن عود الضَّمير إلى "أُمَّة قَائِمَةٌ".

ثم اخبر تعالى عن أهل الكتاب على جهة التوبيخ المقرون بالنصح أنهم لو آمنوا لنجوا أنفسهم من عذاب الله. (١)

و"كَفَّرَ" يتعدى لواحد، فكيف تعدى هنا لاثنتين؛ أولهما: قام مقام الفاعل، والثاني: الهاء في "يُكْفَرُوهُ"؛ فقيل: إنه ضمَّن معنى فعل يتعدى لاثنتين، وهو: "حَرَّمَ". فكانه قيل: فلن تحرموه. و"حَرَّمَ" يتعدى لاثنتين. (٢)

١١- قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ [آل عمران ٣: ١٨٠].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو "يَعْمَلُونَ" على الغيبة جرياً على "يَبْخُلُونَ" وسيطوَّقُونَ".

(١) المحرَّر الوجيز ٣/١٩٥.

(٢) الدر المصون ٣/٣٥٨.

وقرأ الباقر بالتاء "تَعْمَلُونَ".

بلاغياً

الالتفات: فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب بقوله: "تعملون" زيادة في النكال وتأكيذاً للوعيد والإنذار، فيكون ذلك خطاباً للباخلين.

والالتفات في "أنتم" (١) إن كان خطاباً للمؤمنين؛ إذ لو جرى على لفظ المؤمنين لكان على ما هم عليه، وإن كان خطاباً لغيرهم كان من تلوين الخطاب. وفي "تعملون خبير" فيمن قرأ بتاء الخطاب. (٢)

نحوياً

١- قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ" بالياء من أسفل، متسقاً على ذكر الذين "يَبْخُلُونَ وَسَيُطَوَّقُونَ".

٢- وقرأ الباقر بالتاء من فوق. "تَعْمَلُونَ".

قال ابن عطية: "وذلك على الرجوع من الغيبة إلى المخاطبة، لأنه قد تقدم "وَأِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا". (٣)

فلا يكون على قوله التفاتاً، والأحسن الالتفات. (٤) فيكون الكتاب العزيز قد

(١) في قوله -تعالى-: "مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ" [آل عمران ١٧٩:٣].

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٠٦، والبحر ٣/١٢٩، والدرويش ٢/١١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٣٠٦، والكشف ١/٣٦٩.

(٤) البحر ٣/١٢٩.

عدل عن المطابقة، وهي أبلغ في الوعيد.

١٢- قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران ٣: ١٨٧]

قوله -تعالى- "لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ"

١- قرأ أبو بكر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية ابن عباس: بياء فيهما (لَتُبَيِّنُنَّهُ) (يَكْتُمُونَهُ) حملوه على لفظ الغيبة؛ لأنَّ المخبر عنه غائب، وردُّوه في الغيبة على ما تقدم من ذكر الغيبة القريبة منه، في قوله -تعالى-: "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" وعلى ما أتى بعده من لفظ الغيبة؛ في قوله -تعالى- ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ فجاء كله بلفظ الغيبة، فحمل ما قبله عليه، لينتظم الكلام على سننٍ واحد، ويأتلف على طريقة واحدة في الغيبة.

٢- وقرأ الباقون بالتاء فيهما (لَتُبَيِّنُنَّهُ) (تَكْتُمُونَهُ) حملوه على الخطاب كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ [آل عمران ٣: ٨١] فرجع إلى الخطاب. ولو حمل على ما قبله لقال: آتيتهم.

بلاغياً

الالتفات، فقد انتقل من الغيبة في قوله -تعالى-: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " إلى الخطاب في قوله -تعالى-: "لَتُبَيِّنَهُ". والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم. (١)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ لو جاء الكلام متسقاً لقال: "لَيُبَيِّنُهُ" "يَكْتُمُونَهُ" كما في قراءة أبي بكر، وأبي عمرو، وابن كثير، وعاصم في رواية ابن عيَّاش.

وفي القراءة بالتاء معنى توكيد الأمر، لأنَّ التاء للمواجهة، فتقديره: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب، فقال لهم: لتُبَيِّنَنَّ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ.

وقد قرَّر علماء العربية أنَّك إذا أُخبرت عن يمين حلف بها فلك في ذلك ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون بلفظ الغائب كأنك تخبر عن شيء كان. نقول: استحلفته ليقومن. والثاني: أن تأتي بلفظ الحاضر تريد اللفظ الذي قيل له، فنقول: استحلفته لتقومن، كأنك قلت له: لتقومن. والثالث: أن تأتي بلفظ المتكلم فنقول: استحلفته لأقومن، ومنه قوله -تعالى-: "تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ" [النمل ٢٧: ٤٩] بالنون والياء. (٢)

١٣- قال -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ

(١) الكشف ٣٧١/١، والدرويش ١٢٨/٢.

(٢) روح المعاني ١٤٩/٤.

أَجَلٍ قَرِيبٍ ۖ قَلَّ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

﴿ النساء ٤: ٧٧ ﴾

- قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وروح، وخلف، وابن محيصن، والأعمش، والحواري: "ولا يُظلمون". بالغيبة بالياء.

- وقرأ الباقون: "ولا تُظلمون" بالخطاب بالتاء.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في الافعال الماضية إلى "ولا تُظلمون" بالخطاب. "أي: لا تتقصون من أجور أعمالكم ومشاق التَّكليف أدنى شيء، فلا ترغبوا عن الأجر." (١)

نحوياً

في قراءة "لا يظلمون" بالغيبة مطابقة للغائبين قبله، وفي قراءة "ولا تُظلمون" عدول عن المطابقة، إذ خرج من الغيبة قبله وما فيه من تحقق إلى الخطاب وما فيه من مواجهة وحضور.

وقد جاء العدول عن المطابقة على سبيل التَّوبيخ والإنكار لمن سبق ذكرهم في الآية كأنه يخاطب قوماً حاضرين.

(١) البحر ٢٩٩/٣، ومجمع البيان ١٦٣/٢.

١٤- قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ سَخَّطُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [١٧] يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٤: ١٠٧-١٠٩]

بلاغياً

في قوله -تعالى-: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾ النفات، فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً

عدل عن المطابقة، لأنَّ الخطاب أبلغ لمشافتهم بالتوبيخ والإنكار.

١٥- قال -تعالى-: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَنَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠: ٥٠]

١- قرأ الجمهور "يَبْغُونَ" بالياء على نسق الغيبة المتقدمة.

٢- قرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب "تبغون".

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.^(١)

نحوياً

عدل عن المطابقة، وقراءة التاء على الخطاب فيها مواجعتهم بالإنكار والردع والزجر، وليس ذلك من الغيبة، والخطاب ليهود قريظة وبني النضير.

١٦- قال -تعالى-: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾
[الأنعام ٦:٦]

بلاغياً

الالتفات في قوله -تعالى-: " مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ " والسِّيَاق يقتضي ما لم نمكّن لهم، لتخصيص المرسل إليهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- بالمواجهة، فضلاً عن تطرية نشاط السّامع.

والضمير في "يروا" عائد على من سبق من المكذّبين المستهزئين، والخطاب في "لكم" راجع إليهم أيضاً. فيكون على هذا التفاتاً فائدته التعريض بقلة تمكّن هؤلاء ونقص أحوالهم عن حال أولئك، ومع تمكينهم وكثرتهم فقد حلّ بهم

(١) البحر ٥٠٥/٣.

الهلاك؛ فكيف وأنتم أقل منهم تمكيناً وعدداً. (١)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ لو جاء الكلام متسقاً لقال: ما لم
نمکن لهم.

قال ابن عطية: "والمخاطبة في (لكم) هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين
لهم من سائر الناس - أي: لسائر الناس كافة - فكأنه قال: ما لم نمکن يا أهل هذا
العصر لكم، فهذا أبين ما فيه، ويحتمل أن يقدر في الآية معنى القول لهؤلاء
الكفرة؛ كأنه قال: يا محمد، قل لهم: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ
مَّكَنتُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّهُمْ) وإذا أخبرت أنك قلت لغائب، أو قيل
له، أو أمرت أن يقال له؛ فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الالفاظ المقولة
بعينها فتجيء بلفظ المخاطبة، ولك أن تأتي بالمعنى في الالفاظ بذكر غائب دون
مخاطبة." (٢) ومثاله: قلت لزيد: ما أكرمك، أو ما أكرمه. (٣)

والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة
في الأجسام، والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا ما لم يعط هؤلاء
الذين حضوا على الاعتبار بالأمم السالفة وما جرى لهم.

وفي هذا (العدول) تعريض بقلة تمكين هؤلاء ونقصهم عن أحوال من
سبق، ومع تمكين أولئك في الأرض فقد حل بهم الهلاك، فكيف لا يحل بكم على

(١) البحر ٧٥/٤، والدر المصون ٥٣٨/٤، والدرويش ٦٧/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٨/٦.

(٣) الدر المصون ٥٣٨/٤-٥٣٩.

قلتم وضيق خطتكم، فالهلاك إليكم أسرع من الهلاك إليهم. (١)

١٧- قال -تعالى-: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف ٧: ١٤٥]

بلاغياً

الانقفاة في قوله -تعالى- ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

وفائدته: استرعاء الانتباه والاهتمام، وزيادة في التأكيد والمبالغة للأخذ بالأحسن.

نحوياً

عدل عن بنية الفعل، وعن المطابقة، ولم يقل "وأريناكم".

قال ابن عطية: "ومعنى سأوریکم: سأعرض عليكم وأجعلكم تحسون لتعتبروا حال دار الفاسقين، والرؤية هنا رؤية العين؛ إلا أن المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين، والوعيد للفاستقين، ويدل على أنها رؤية العين تعدي فعلها؛ وقد عدى بالهمزة". (٢)

ولم يقل "وأريناكم" حتى لا تنتهي العبرة والعظة بالخبر من رؤية معاصري فرعون من المؤمنين، ولأن السنين تدل على الاستقبال ونحن نرى

(١) الكشاف ٨/٢، والبحر ٧٥/٤.

(٢) المحرر الوجيز ١٦١/٧.

الاكتشافات الأثرية التي تدلُّ على أحوال الفراعنة يومياً، فهي - والله أعلم - دالة على دوام الاعتبار من أحوالهم وما كانوا عليه من قوة وعظمة وما ألوا إليه إلى يوم القيامة؛ وعداً للمؤمنين ووعيداً للفاستقين.

١٨- قال -تعالى-: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧:١٦٩]

أ- قرأ أبو عمرو وأهل مكة "يعقلون" بالياء جرياً على الغيبة في السابقة.

ب- وقرأ الجمهور بالخطاب "تعقلون"

بلاغياً

قراءة الجمهور بالخطاب "تعقلون" على طريقة الالتفاف إليهم، أو على طريق خطاب هذه الأمة، كأنه قيل: أفلا تعقلون حال هؤلاء وما هم عليه من سوء العمل، ويتعجبون من تجارثهم على ذلك.^(١)

نحوياً

أ- عدل عن المطابقة "تعقلون" -الضَّمائر تدلُّ على شيء واحد- والعدول

(١) البحر المحيط ٤/٤١٧. وفي الدر المصون ٥/٥٠٦؛ وقرأ ابن عامر ونافع وحفص "تعقلون" بالخطاب، والباقون بالغيبة.

في الانتقال من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب.

ب- أن الخطاب لهذه الأمة، أي: أفلا تعقلون أنتم حال هؤلاء وما هم عليه، وتتعجبون من حالهم. وأما الغيبة "يعقلون" فجرى على ما تقدم من الضمائر.

١٩- قال تعالى:- ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾

[الأنفال: ٨: ١٤]

بلاغياً

الانتقالات من الغيبة في الآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ع

وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال: ٨: ١٣] إلى

الخطاب: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فالخطاب للكافرين، لأن الضمير في

(بأنهم) عائد على "الذين كفروا" في الآية الكريمة: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ

أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا^ع سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ

فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ٨: ١٢].

٢٠- قال تعالى:- ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^ط وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^ع وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴿

[التوبة ٩: ١١١]

بلاغياً

الالتفات في قوله: "فاستبشروا" من الغيبة إلى الخطاب. وفي ذلك زيادة في سرورهم.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وخرج من ضمير الغائب إلى ضمير الخطاب، لأنَّ في خطابهم بعد مبايعتهم (الأنصار) لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- البيعة الثالثة، وهي بيعة العقبة الكبرى تشريفاً لهم.

واستفعل هنا (استبشروا) فعل جاء فيه: استفعل بمعنى أفعال كاستوقدَ وأوقدَ، وليس هذا من معنى طلب الشيء؛ كما تقول: استوقدَ ناراً واستهدى مالاً واستدعى نصرأ، بل هو كعجب واستعجب. (١)

(١) المحرر الوجيز ٢٨٤/٨، والبحر المحيط ١٠٣/٥، والدر المصون ١٢٩/٦.

٢١- قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّيْتُمْ إِذَا لَهُمْ

مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

[يونس ١٠: ٢١]

١- قرأ أبو عمرو في رواية هارون العنكي، والحسن وقتادة والأعرج ونافع في رواية: "يمكرون" بياء الغيبة جرياً على ما سبق.

٢- وقرأ أبو رجاء وشيبة وأبو جعفر وابن أبي اسحق وعيسى وطلحة والأعمش والجدرى وأيوب ابن المتوكل وابن محيصن وشبل وأهل مكة والسبعة بالتاء "تمكرون" على الخطاب.^(١)

بلاغياً

١- في قراءة "يمكرون" بياء الغيبة جرياً على ما سبق.

٢- في قراءة "تمكرون" بتاء الخطاب، التفت لقوله -تعالى-: "قل الله" إذ التقدير: قل لهم، فناسب الخطاب، وفائدته: مبالغة في الإعلام بمكرهم.

- وفي قوله: "إِنَّ رُسُلَنَا" التفت أيضاً؛ إذ لو جرى على قوله: "قل الله"، لقليل: إِنَّ رُسُلَنَا.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، مع فائدة المواجهة في الخطاب.

(١) البحر ١٣٦/٥-١٣٧، والذر المصون ١٦٨/٦، والقرطبي ٣١٦٣/٤، والكشاف ٣٢٢/٢، والمحرر الوجيز ٢٤/٩.

٢٢- قال -تعالى-: ﴿ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي

وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّن عِنْدِهِ - فَعُمِّيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

[هود: ١١: ٢٨]

قوله -تعالى-

١. فَعُمِّيْتَ: قرأ بها: حمزة، والكسائي، وحفص؛ بضم العين، وتشديد الميم؛ بمعنى: أَخْفَيْتُ.

٢. فَعُمِّيْتَ: قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، ويعقوب، وأبو جعفر؛ بمعنى: خَفَيْتُ.

٣. فَعَمَّاهَا: قرأ بها: أبي، وعلي، والسلمي، والحسن، والأعمش، وعبدالله بن مسعود.

٤. وَعُمِّيْتَ: قرأ بها: الأعمش، وابن وثَّاب، وأبو عمرو؛ بالواو دون الفاء.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في: "فَعُمِّيْتَ عَلَيْكُمْ" إلى الخطاب في:

"أَنْزَلِمُكُمْوَهَا".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الغيبة التي تفيد التَّحَقُّق، في

قوله - تعالى -: "فَعُمِّيْتَ عَلَيْكُمْ" إلى الخطاب الذي يفيد المواجهة في قوله

-تعالى-: "أَنْزَلِمُكُمْوَهَا".

ففي قراءة الأخوين (حمزة والكسائي)، وحفص: "فَعَمَّيْتَ" بضم العين وتشديد الميم؛ فأصلها "عَمَّاها الله عليكم". أي: أبهَمها عقوبة لكم، ثم بنى الفعل لما لم يُسَمِّ فاعله، فحذف فاعله للعلم به وهو الله -تعالى- وأقيم المفعول وهو ضمير الرَّحمة مقامه، وبدل على ذلك قراءة أَبِي بهذا الأصل: "فَعَمَّاها اللهُ عَلَيْكُمْ"، ورُوي عنه أيضاً وعن الحسن وعليّ والسُّلَميَّ "فَعَمَّاها" من غير فاعل لفظي. (١)

أما قراءة "فَعَمَّيْتَ" فإنه اسند الفعل إليها مجازاً. قال الزَّمَخْشَرِيُّ: "فإن قلت: ما حقيقته؟ قلت: حقيقته أنَّ الحجة كما جُعِلَتْ بصيرة ومبصرة جُعِلت عمياء، لأنَّ الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى "فَعَمَّيْتَ عَلَيْكُمْ الْبَيِّنَةَ": فلم تهتدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هادٍ. فإن قلت: فما معنى قراءة أَبِي؟ قلت: المعنى أنهم صمَّموا على الإعراض عنها، فخلَّاهم الله وتصميمهم، فجعلت تلك التَّخْلِية تعمية منه، والدليل عليه قوله: "أَنْزَلِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ" يعني: أنكرهم على قبولها ونسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟" (٢)

وقوله -تعالى-: "أَنْزَلِمُكُمُوهَا" أتى هنا بالضميرين متصلين، فقدم المخاطب على الغيبة لأنه أخص، لأنَّ الأصل في الكلام البداية بالمتكلم، ثم بالمخاطب، ثم بالغيبة. فبنوا على ذلك فقالوا: أعطانيك، وأعطاني لا يجوز، وأعطيتكها، وأعطيتكهوك؛ قبيح، ومع قبحه قول يونس، واحتج في ذلك فارئهم بقول القُطامي:

أَبْلَغُ رِبِيعةَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا أَنَا وَقَيْسًا تَوَاعَدْنَا لِمِعَادِ

(١) الدر المصون ٣١٣/٦.

(٢) الكشَّاف ٣٦٩/٢، والبحر ٢١٦/٥، والدر المصون ٣١٤/٦.

فأخبر عن المتكلم دون الغائب، وهو قياس.

والمبرّد يقوّي قول يونس في القياس، ويجعل إضمار الغائب، والمتكلم، والمخاطب في التّقديم والتّأخير سواء، ويجيز: أعطاهوك، و: أعطاهوني، و: أعطاكني، ويستجيزه ويستحسنه في منحتني نفسي.

وسبويه لا يجيز شيئاً من ذلك إلاّ بالانفصال، نحو: أعطاه إيّاك، و: أعطاهها إيّاك، و: أعطاه إيّاكما، و"أعطاهها إيّاكما، و: أعطاك إيّاي".^(١)

قال سبويه: "فإذا كان المفعولان اللذان تعدّى إليهما فعلُ الفاعل مخاطباً وغائباً، فبدأت بالمخاطب قبل الغائب، فإنّ علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها إيّا، وذلك قوله: أعطيتكهُ وقد أعطاكهُ، وقال -عزّ وجلّ-: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ هَا كَرِهُونَ ﴾ [هود: ١١: ٢٨] فهذا كهذا إذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب.

وإنّما كان المخاطب أولى بأن يُبدأ به من قبل أنّ المخاطب أقرب إلى المتكلم من الغائب، فكما كان المتكلم أولى بأن يُبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يُبدأ به من الغائب.

فإن بدأت بالغائب فقلت: أعطاهوك، فهو في القبح وأنّه لا يجوز، بمنزلة الغائب والمخاطب إذا بُدئ بهما قبل المتكلم، ولكنك إذا بدأت بالغائب؛ قلت: قد أعطاه إيّاك.

وأما قول النّحويين: قد أعطاهوك، وأعطاهوني، فإنّما هو شيء قاسوه لم تكلم به العرب، ووضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تكلم به

(١) إعراب القرآن المنسوب للزّجاج ق٣/٩٢٣-٩٢٤، وراجع الدرّ المصون ٦/٣١٥.

كان هيناً. (١)

وقال الزمخشري: "يجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقوله: "أُلزِمكم إِيَّاهَا".
ونحوه: "فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ" [البقرة ٢: ١٣٧]، ويجوز: فسيكفيك إِيَّاهم. (٢)

و"ألزم" يتعدى لاثنتين، أولهما: ضمير الخطاب، والثاني: ضمير الغيبة.

و"أنتم لها كارهون" جملة حالية، يجوز أن تكون للفاعل، أو: لأحد
المفعولين، وقدّم الجار لأجل الفواصل. (٣)

٢٣- قال -تعالى-: ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ [الإسراء ١٧: ٦٣]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة "فَمَنْ تَبِعَكَ" إلى الخطاب في "جزاؤكم".

نحوياً

عدول عن المطابقة، فإنّ من حق الضمير في "جزاؤكم" أن يكون على لفظ
الغيبة لتكون المطابقة، ونسق الكلام: فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤهم.

(١) الكتاب ٣٦٤/٢.

(٢) الكشاف ٣٦٩/٢.

(٣) الدر المصون ٣١٧/٦.

قال الزمخشري: "فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى: مَنْ تبعك؟" قلت: بلى، ولكن التقدير: فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب، فقيل: جزاؤكم." (١)

وفي هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب إشعار بالوعيد والتحذير لإبليس ومن تبعه من البشر؛ لخروجه على أوامر الله في السجود لآدم -عليه السلام-.

٢٤- قال -تعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۖ أَحَدًا ۝ ﴾ [الكهف: ١٨: ١١٠]

قرأ أبو عمرو في رواية الجعفي عنه "ولا تُشْرِكْ" بالتاء من فوق.

بلاغياً

١- ففي قراءة أبي عمرو في رواية الجعفي عنه "ولا تُشْرِكْ" بالتاء خطاباً للسامع، والتفاتاً من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصالح.

٢- ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: "بِعِبَادَةِ رَبِّهِ" ولم يأت التركيب: بعبادة ربك، إيذاناً بأن الضميرين لمدلول واحد، وهو "مَنْ" في قوله: "فَمَنْ كَانَ يَرْجُو".

(١) الكشاف ٦٣٣/٢. وانظر: البحر المحيط ٥٨/٦، والبحر الماد ٥٦/٦، والذر المصون

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، لأنَّ الضَّميرين لواحد، فانتقل من ضمير الغيبة إلى الخطاب، للمواجهة وما فيها من تلقي الأمر مباشرة وهو العمل الصَّالح، وعدم الإشراك في عبادة الله.^(١)

٢٥- قال -تعالى-: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا

مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ١٩: ٧١]

وقرأ ابن عباس وعكرمة "وإن منهم"

بلاغياً

والخطاب في قوله: "منكم" يحتمل الالتفات وعدمه.

١- الالتفات، التفات إلى الإنسان، قال الزَّمخشري^(٢): "التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة^(٣) ابن عباس وعكرمة -رضي الله عنهما- "وإن منهم"، وهو مفرغ على إرادة العموم من الأوَّل فيكون المخاطبون أوَّلاً هم المخاطبون ثانياً إلاَّ أنَّ الخطاب الأوَّل بلفظ الغيبة والثَّاني بلفظ الحضور.

٢- وأمَّا إذا بنينا على أنَّ الأوَّل إنما أريد منه خصوص على التَّقديرين جميعاً، فالثَّاني ليس التفاتاً، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة. أي: خطاب للنَّاس

(١) راجع رقم (٢٥) من الخطاب إلى الغيبة.

(٢) الزَّمخشري ٣/٣٦٦.

(٣) القرطبي ٥/٤١٧٧، والبحر ٦/٢١٠.

عن خطاب خاص لقوم معيَّنين، والله أعلم. (١)

نحوياً

عدل عن المطابقة، ولو جاء الكلام متسقاً لقال: "وإن منهم" بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضمائر في الآيات التي قبلها في الكفار؛ قوله -تعالى-: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۗ ﴾ (١٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۗ ﴾ (١٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۗ ﴾ (٢٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۗ ﴾ (٢١) [مريم ١٩: ٦٨-٧١] (وإن منهم) وهي قراءة ابن عباس وعكرمة -رضي الله عنهما- وجماعة.

٢٦- قال -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْعًا

إِذَا ۗ ﴾ [مريم ١٩: ٨٨-٨٩]

بلاغياً

الالتفات من ضمير الغيبة في "قالوا" إلى ضمير الخطاب في "جئتم".

فائدته: زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله -سبحانه وتعالى- والتعرض

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال/ مطبوع في حاشية الكشاف ٣/٣٦.

لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا. (١)

نحوياً

انتقل من ضمير الغيبة في "قالوا" إلى ضمير الخطاب في "جنتم" عدولاً به، كأنه يوجه الخطاب إلى قوم حاضرين بين يديه - والبرُّ والفاجر بين يديه دائماً وأبداً - منكرأ عليهم وموبخاً لهم.

٢٧- قال -تعالى-: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

حَكِيمٌ ﴾ [النور ٢٤: ١٠]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وفائدته: تسجيل المنّة على المخاطبين.

نحوياً

خاطبهم بعد الغيبة لأنّ ضمير الخطاب يعني المواجهة بالحديث فبعد أن بين لهم حدوده -تعالى الله- خاطبهم مواجهة حتى لا تبقى لديهم أعدار يتشبثون بها إن هم تجاوزوا حدوده تعالى.

(١) البحر ٢١٨/٦ ، النهر ٢١٥/٦ ، المثل السائر ٥/٢.

٢٨- قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور ٢٤: ٢٢]

قرأ أبو حيوة وابن قطيب وأبو البرهشيم "أن تأتوا" بالثناء. (١)

بلاغياً

قراءة "أَنْ تُؤْتُوا" بالثناء على الالتفات من الغيبة "يأتل" إلى الخطاب "تؤتوا".

نحوياً

في قراءة "أَنْ تُؤْتُوا" عدول عن المطابقة، ويتسق معها "أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ". والمخاطبة فيها المودة والرحمة، والقرب من المخاطب.

"ويروى أنها نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما- وكان فقيراً من فقراء المهاجرين، وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه- ينفق عليه، فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه، وكفى به داعياً إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء. ويروى: أن سيدنا رسول الله --صلى الله عليه وسلم- قرأها على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه- فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح نفقته وقال: والله، لا أنزعها أبداً". (٢).

(١) البحر ٤٤٠/٦، والذر ٣٩٥/٨.

(٢) الكشاف ٢٢٦/٣-٢٢٧.

٢٩- قال -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ^٤ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَحْلَدُ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٩﴾ »
 [الفرقان ٦٨:٢٥-٦٩]

قرأ طلحة بن سليمان "وتحلد" بقاء الخطاب. (١)

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أي: وتحلد أيها الكافر.

نحوياً

عدل عن المطابقة، فانقل من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب مخاطباً ومواجهاً الكافر بقوله: وتحلد أيها الكافر.

٣٠- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ^٤ إِلَّا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ » [الشعراء ١٠:٢٦-١١]

- قرأ الجمهور "ألا يتقون" بالياء على الغيبة.

- وقرأ عبدالله بن مسلم بن يسار، وشقيق بن سلمة، وحماد بن سلمة، وأبو

قلاية، بقاء الخطاب "ألا تتقون". (٢)

(١) البحر ٥١٥/٦، الدر ٥٠٣/٨.

(٢) البحر ٧/٧، والدر ٥١٣/٨، والكشاف ٣٠٨/٣.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ وفائدته: الإنكار والغضب عليهم.

نحوياً

عدل عن المطابقة، فخطبهم كأنهم حاضرون؛ لأنه مبلغهم ذلك. و"قائدة هذا الالتفات (العدول) والخطاب مع موسى -عليه السلام- في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب، أن إجراء الخطاب مع موسى -عليه السلام- في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم؛ لأنه (أي: موسى) مبلغ عن الله، وناشر ما يصدر عنه بين الناس، وفيه لطف وحث على زيادة التقوى".^(١)

٣١- قال -تعالى-: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب ٥٠: ٣٣]^(١)

(١) البحر ٧/٧، والذر ٨/٥١٣، والكشاف ٣/٣٠٨.

(٢) انظر رقم (٣١) من الخطاب إلى الغيبة.

بلاغياً

الانقفاة

١- من الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾.

٢- من الغيبة في قوله -تعالى-: "إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ" إلى الخطاب في قوله -تعالى-: "خَالِصَةً لَّكَ".

وفائدته في قوله -تعالى-: "خَالِصَةً لَّكَ" للإيدان بأنه مما خصّ به وأوثر، وأنّ هذا الاختصاص تكرمة من أجل النبوة. وتكريره تفخيم له، وتقريره لاستحقاقه الكرامة لنبوته.^(١)

نحوياً

١- جملة ﴿ إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ حال؛ لأنّ الحال متمم للجملة الفعلية، ويدل على هيئة صاحبه عند حدوث الفعل، فإنّ هبته نفسها منه لا توجب له حلّها إلا بإرادته نكاحها؛ كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها، لأنّ إرادته هي قبول وما به تتمّ.

٢- قوله: "خالصة" العامّة على النصب. وفيه أوجه:

أحدها: يجوز أنّه منصوب على الحال من فاعل "وَهَبْتَ". أي: حال كونها

(١) الكشاف ٥٥٩/٣.

خالصة لك دون غيرك.

الثاني: واختار الزَّجَّاج وأبو البقاء أنها حال من "امرأة" لأنها وصفت
فتخصَّصت، وهو بمعنى الأول.

الثالث: أنها نعتُ مصدرٍ مقدَّر. أي: هبة خالصة، فنصبها بوجهبت.

الرابع: ويجوز أن تكون مصدرًا مؤكدًا لفعل محذوف. أي: خلصت لك
خالصة. أو: أي: خلص لك إحلال ما أحلنا لك خالصة، بمعنى خلوصاً، وقال
الزمخشري: "والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج القاعد،
والعافية والكاذبة." يريد "بالخارج" ما في قول الفرزدق:

عَلَى حِلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ.^(١)

و"بالقاعد" ما في قولهم: "أقاعدًا وقد سارَ الركبُ". و"بالكاذبة" ما في قوله
-تعالى-: لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ [الواقعة ٥٦: ٢]. وقد أنكر الشيخ^(٢) عليه
قوله: "غير عزيزين" وقال: "بل هما عزيزان، وما ورد متأول"^(٣).

(١) الكتاب ٣٤٦/١، وشرح المفصل ٥٩/٢، والخزانة ٢٢٣/١.

قال ابن يعيش: "الشاهد فيه نصب خارجاً من في زور كلام؛ ونصبه لوقوعه موقع
المصدر الموضوع موضع الفعل، والتقدير عاهدت ربِّي لا يخرج من في زور كلام
خارجاً، ويجوز أن يكون قوله: ولا خارجاً، حالاً، والمراد عاهدت ربِّي غير شاتم ولا
خارج. أي: عاهدته صادقاً. والمعنى: أنه تاب عن الهجاء وقذف المحصنات وعاهد الله
على ذلك بين رتاج الكعبة وهو بابها ومقام إبراهيم صلوات الله عليه".

(٢) البحر ٢٤٢/٧.

(٣) الدر المصون ١٣٥/٩-١٣٦.

- وقرئ "خالصة" بالرفع^(١)، والرفع يعني أنها جملة اسمية، والجملة الاسمية تعني الثبات والاستقرار، أي: ذلك خلوص لك، وخصوص من دون المؤمنين، أي: إن الأمر خاص للنبي صلى الله عليه وسلم. ومن جعل خالصة نعتاً للمرأة فعلى مذهبه: هذه المرأة خالصة لك من دونهم.^(٢)

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وحفظت قرينة الربط بإعادة اللفظ "النبي" المعنى، بإعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة ضميره عليه؛ لأن لفظه أقوى من الكناية عنه.

وفائدته: مجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته.

٣٢- قال تعالى:- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ ٣٤: ٣٤-٣٧]

بلاغياً

التفات من الغيبة ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾

(١) الكشاف ٥٦٠/٣، والبحر ٢٤٢/٧.

(٢) التبيان ١٠٥٩/٢، الكشاف ٥٥٩/٩، الدر المنثور ١٣٤/٩، الدرر المشرف ٣٥/٨.

إلى الخطاب ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ .
وفائدته: المبالغة في تحقيق الخبر.

والمعنى: إنَّ ذلك الذي تسرون به وتحبرون من كثرة الأموال والأولاد لن يجديكم شيئاً منا فتيلاً ما دمت مصرين على أعمال الغيِّ و الضلال.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة والاتساق، وانتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب ليخاطبهم مواجهة، وهذا أوقع في النفس.

٣٣- قال تعالى:- ﴿ وَيَقُولُونَ أَيَّنَا لَتَارِكُوآءِ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٨﴾

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾

[الصافات ٣٧:٣٦-٣٨]

بلاغياً

الالتفات؛ التفت من الغيبة "وَيَقُولُونَ أَيَّنَا لَتَارِكُوآءِ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ"

إلى الخطاب "إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، وواجههم بقوله: (إنكم) إمعاناً في التهديد وتبياناً لغضبه -جلّ وعزّ شأنه- الذي بلغ أبعد الآماد وأقصى الحدود.

٣٤- قال -تعالى-: ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ^٤ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ^٥ ﴾ [غافر ٤٠: ٢١]

قرأ الجمهور "منهم" بضمير الغيبة؛ مطابقاً مع ما سبق من الضمائر الغائبة.

وقرأ ابن عامر "منكم" بضمير الخطاب.^(١)

بلاغياً

الالتفات في قراءة ابن عامر "منكم" حيث انتقل من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب.

نحوياً

في قراءة ابن عامر عدل عن المطابقة، حيث انتقل من الإخبار في الماضي إلى مواجهتهم في "منكم" وذلك لإحراجهم.

(١) البحر ٤٥٧/٨، الدرّ ٤٧٠/٩، والكشاف ١٦٤/٤.

٣٥- قال -تعالى-: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۗ^ط
 وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾^ط ﴿
 [الزُّخْرَفِ ٤٣: ٧١]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله -تعالى-: "يُطَافُ عَلَيْهِمْ" إلى الخطاب في
 قوله -تعالى-: "وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الغيبة في قوله -تعالى-
 "يُطَافُ عَلَيْهِمْ" مع ما في الغيبة من تحقق، إلى الخطاب في قوله -تعالى-:
 "وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" مع ما في الخطاب من مواجهة وحضور. وما تحدثه
 هذه المواجهة في نفس المؤمن من الشوق إلى الجنة ونعيمها، ففيها ما لا عين
 رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولو جاء الكلام متسقاً متطابقاً
 لقال: وهم فيها خالدون.

٣٦- قال -تعالى-: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿ [الزُّخْرَفِ ٤٣: ٧٢]

بلاغياً

التفت من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً

مطابقة "أورثتموها" أن يقول (وتلكم)، والخطاب للتشريف، والمخاطب كل واحد ممن دخل الجنة ولذلك أفرد الكاف للإيذان بأن كل واحد من أهل الجنة مقصود بالذكر لذاته.

٣٧- قال -تعالى-: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۚ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۖ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۗ فَأُولَٰئِكَ لَهُم ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۗ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ ﴾ [محمد -صلوات الله عليه وسلم- ٤٧ : ٢٠-٢٢].

بلاغياً

الانتفات من الغيبة في "الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ" إلى الخطاب في "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ" ليكون أبلغ في التوكيد. (١)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الغيبة في "الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ" إلى الخطاب في قوله -تعالى-: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ".

(١) الكشاف ٤ / ٣٢٧، والبحر ٨ / ٨٢.

وفائدته: مواجعتهم بالخطاب على سبيل التوبيخ وتوقيفهم على سوء مرتكبهم.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى: (فهل عسيتم... أن تفسدوا في الأرض)؟ قلت: معناه: هل يتوقع منكم الإفساد؟ فإن قلت: فكيف يصح هذا في كلام الله - عز وجل - وهو عالم بما كان وبما يكون؟ قلت: معناه إنكم - لما عهد منكم - أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريركم ورخاوة عقدكم في الإيمان، يا هؤلاء، ما ترون؟ هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ تناحراً على الملك وتهالكاً على الدنيا؟ وقيل: إن عرضتم وتوليتم عن دين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض: بالتغاور والتناهب، وقطع الأرحام: بمقاتلة بعض الأقارب بعضاً ووأد البنات؟^(١)

٣٨- قال -تعالى-: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق: ٦٥: ١].

(١) الكشاف ٤ / ٣٢٧ - ٣٢٨.

بلاغياً

النفات من الغيبة في "وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ" إلى الخطاب في "لَا تَدْرِي
لَعَلَّ اللَّهَ تَحَدَّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا".

فائدته: مزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الغيبة "وَمَنْ يَتَعَدَّ" إلى
الخطاب "لَا تَدْرِي" والفائدة منه: مواجهة المتعدي بالخطاب لزره عن التعدي.
وقد تورط بعضهم فحسب أن الخطاب للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

"والمعنى: ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه وأضرّ بها، فأنت لا تدري
أيها المتعدي مغبة الأمر وما عسى أن يسفر عنه؛ لعلّ الله يحدث في قلبك بعد
ذلك الذي أقدمت عليه من التعدي أمراً يقتضي خلاف ما فعلت فيبدّل ببغضها
محبة، وبالإعراض عنها إقبالاً عليها، وبالصدود رضا".^(١)

(١) إعراب القرآن للدرويش ١٠ / ١٢١.

٣٩- قال -تعالى-: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۗ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۗ ﴾ [التَّحْرِيمِ ٦٦ : ٤]

بلاغياً

الالتفات: "إن تتوبا الى الله" انتقال من غيبة الى خطاب. والمراد أمَّا المؤمنين بنتا الشيخين عائشة وحفصة - رضي الله عنهما وعن أبويهما -.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة.

"إِنْ تَتُوبَا": شرط وفي جوابه وجهان:

أحدهما: هو قوله: "فَقَدْ صَغَتْ" والمعنى: إن تتوبا فقد وجد منكم ما يوجب التَّوبَةَ، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حبِّ ما يحبه وكرهية ما يكرهه.

والثاني: أَنَّ الجواب محذوف تقديره: فذلك واجب عليكم، أو: فتأب الله عليكم. قاله أبو البقاء^(١) وقال: ودلَّ على المحذوف "فَقَدْ صَغَتْ"؛ لأنَّ إصغاء القلب إلى ذلك ذنب^(٢).

(١) التَّبَيُّان ٢ / ١٢٢٩، والذَّر ١ / ٣٦٥.

(٢) إِمْلَاء ما من به الرَّحْمَن ٢ / ٢٦٤.

٤٠- وقال -تعالى-: ﴿ عَلَيْنَا نِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا
 أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رُهُمَ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ
 سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٧٦: ٢١ - ٢٢].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ وَسَقَنَهُمْ رُهُمَ
 شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة. ولم يقل: وسقاهم... لهم. وفائدته:
 تعظيم شأن المخاطبين.

٤١- قال -تعالى-: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ
 رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٩٥: ٤-٧].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ" الى الخطاب في
 قوله: "فَمَا يُكَذِّبُكَ".

نحوياً

عدل عن المطابقة، فانتقل من الغيبة في: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ"، إلى مخاطبته في "فَمَا يُكَذِّبُكَ".

المعنى: خاطبه مواجهة سائلاً: "فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل، يعني: أنك تُكذِّب إذا كذبت بالجزاء؛ لأن كل مكذِّب بالحق فهو كاذب فأى شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً بسبب الجزاء." (١)

٤٢- وقال -تعالى-: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤١﴾ ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٤٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٤٣﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [التين ٩٥ : ٤-٧].

بلاغياً

الالتفات انتقل من الغيبة في "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" و"ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" إلى الخطاب في قوله -تعالى-: "فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ" بمعنى: من يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا: والخطاب للكفار زيادة في التوبيخ والعتاب. (٢)

(١) الدر المصون ١١ / ٥٣.

(٢) فيض من القوي المتين في تفسير سورتي الشرح والتين ٤٨.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الغيبة في ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [الآية: ٤] و ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾
[الآية: ٥] وهذا محققٌ مؤكَّدٌ، لأنَّ الغيبة تفيد التَّحَقُّقَ، إلى الخطاب الذي يفيد
الحضور والمواجهة بالتَّوْبِيخِ في ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴾.

"ما الاستفهامية في محل رفع بالابتداء، والخبر الفعل بعدها، والمخاطب
الإنسان، وقيل: المخاطب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فعلى الأول
(الإنسان) يكون المعنى: فما يجعلك كاذباً بسبب الذِّينِ وإنكاره بعد هذا الدليل،
يعني: أنك تكذب إذا كذبتَ بالجزاء - لأنَّ كلَّ مكذبٍ بالحقِّ فهو كاذب - فأبي
شيء يضطرُّك إلى أن تكون كاذباً بسبب الجزاء؟

وعلى الثاني (الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) فماذا الذي يكذبك فيما
تخبر به من الجزاء والبعث، وهو الذِّين بعد هذه العبر التي يوجب النَّظْرَ فيها
صحة ما قلت؟ قاله الفراء^(١) والأخفش^(٢).^(٣)

(١) معاني القرآن له ٣ / ٢٧٧.

(٢) معاني القرآن له ٢ / ٥٤٠ ومذهبه أنَّ المخاطب الإنسان.

(٣) الدر ١١ / ٥٣.

٤٣- قال -تعالى-: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى ﴿٢﴾

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق ٩٦ : ٦-٨].

بلاغياً

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ واقع على طريقة الالتفات الى الإنسان، تهديداً

له وتحذيراً من عاقبة الطغيان^(١).

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فانتقل من الغيبة في "إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَيَطَّغَىٰ" مع ما في الغيبة من التَّحَقُّق، إلى الخطاب في "إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ"

مع ما فيه من مواجهة.

ولو أراد المطابقة والمساوفة لقال: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطَّغَىٰ. أن رأى نفسه

استغنى. إِنَّ إِلَىٰ رَبِّهِ الرُّجْعَىٰ.

"يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى

الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين.

و"استغنى" هو المفعول الثاني^(٢).

(١) الكشَّاف ٤ / ٧٨٣.

(٢) الكشَّاف ٤ / ٧٨٣.

الفصل الثاني من الغيبة إلى التكمُّ

١- قال تعالى - : ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٨﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران ٣: ٤٤ - ٤٨].

-قرأ نافع وعاصم: "وَيُعَلِّمُهُ". بياء الغيبة.
 -والباقر بنون المتكلم المعظم نفسه: "وَنُعَلِّمُهُ"^(١) بلفظ الجمع المتكلم.

بلاغياً

في قراءة النون "وَنُعَلِّمُهُ" يكون من باب الالتفات، لأنه خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم لما في ذلك من الفخامة.

نحوياً

عدل عن المطابقة في قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي "وَنُعَلِّمُهُ" [الآية: ٤٨] بالنون يردونه على قوله: "توحيه" [الآية: ٤٤] ويرى النحاس أن

(١) البحر ٢ / ٤٦٣، والذُر ٣ / ١٨٢، والكشاف ١ / ٣٩١.

الياء أولى لقوله: ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [الآية: ٤٧]

فالياء أقرب. (١)

وعلى كلتا القراءتين ففي محل هذه الجلة أوجه؛

أحدهما: أنها معطوفة على "يُبَشِّرُكَ" [الآية: ٤٥]. أي: إنَّ الله يبشرك بكلمة

(أي: بمولود) ويعلم ذلك المولود المعبر عنه بالكلمة.

الثاني: أنها معطوفة على "يَخْلُقُ" [الآية: ٤٧]. أي: يخلق ما يشاء

ويعلمه.

وهذان الوجهان متسقان على قراءة الياء، ولا عدول فيهما.

فأما على قراءة النون "ونعلمه" فلا يظهر هذان الوجهان عليها إلا بتأويل

العدول من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم إيداناً بالتعظيم للخالق الواحد.

والجملة من "يعلمه" "نعلمه" في الوجهين المتقدمين مرفوعة المحل لرفع

محل ما عطفت عليه. لأنَّ جملة "يبشرك" في محل رفع خبر إنَّ، وجملة "يخلق"

في محل رفع خبر.

الثالث: أن يعطف على "يكلم" [الآية: ٤٦] فيكون منصوباً على الحال؛

أي: يُبَشِّرُكَ بكلمة مكلاً ومعلماً الكتاب. (٢)

الرابع: أن يكون معطوفاً على "وجيهاً" [الآية: ٤٥] لأنه في تأويل اسم

منصوب على الحال من "كلمة" [الآية: ٤٥].

والحال من الصفات؛ أي: يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات: "وجيهاً"

[الآية: ٤٥] وكذلك قوله: "ومن المقربين" [الآية: ٤٥] "ويكلم" [الآية: ٤٦] "ومن

الصالحين" [الآية: ٤٦]. وصحَّ انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة. (٣)

(١) إعراب القرآن ١ / ٣٣٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣ / ٩١.

(٣) الكشاف ١ / ٣٩١.

واستبعد أبو حيّان الأندلسيّ الوجهين الثّالث والرّابع؛ قال: "طول الفصل

بين المعطوف والمعطوف عليه، ومثله لا يوجد في لسان العرب".^(١)

الخامس: أن يكون معطوفاً على الجملة المحكيّة بالقول، وهي "كذلك الله

يخلق" [الآية: ٤٧] قال أبو حيّان الأندلسيّ: وعلى كلتا القراءتين هي معطوفة

على الجملة المقولة، وذلك أنّ الضّمير في قوله: "قال كذلك" [الآية: ٤٧] لله

تعالى، والجملة بعده هي المقولة، وسواءً كان لفظ "الله" مبتدأً خبره ما قبله أم

مبتدأً وخبره "يخلق". فيكون هذا من المقول لمريم على سبيل الاعتباط والتبشير

بهذا الولد الذي يوجد الله منها.^(٢)

السّادس: أن يكون مستأنفاً لا محل له من الإعراب، قال الزّمخشريّ بعد

أن ذكر فيه أنّه يجوز أن يكون معطوفاً على "يُشْرِكُ" [الآية: ٤٥] أو "يخلق"

[الآية: ٤٧] أو "وجيهاً" [الآية: ٤٥]: "أو هو كلام مبتدأ" يعني: مستأنفاً. قال

الشيخ^(٣): "فإن عني أنّه استئنافُ إخبار من الله أو عن الله على اختلاف

القراءتين، فمن حيث ثبوت الواو لا بدّ أن يكون معطوفاً على شيء قبله، فلا

يكون ابتداءً كلام، إلّا أن يدعى زيادة الواو في "ويعلمه" فحينئذ يصح أن يكون

ابتداءً كلام، وإن عني أنّه ليس معطوفاً على ما ذكر فكان ينبغي أن يبيّن ما

عطف عليه، وأن يكون الذي عطف عليه ابتداءً كلام حتى يكون المعطوف

كذلك"^(٤) قال السّمين الحلبيّ: "وهذا الاعتراض غير لازم لأنّه لا يلزم من جعله

كلاماً مستأنفاً أن يدعى زيادة الواو، ولا أنّه لا بدّ من معطوف عليه، لأنّ

النحويّين وأهل البيان نصّوا على أنّ الواو تكون للاستئناف، بدليل أنّ الشعراء

(١) البحر ٢ / ٦٤٣.

(٢) الدرّ المصون ٣ / ١٨٣.

(٣) البحر ٢ / ٦٤٣.

(٤) البحر ٢ / ٦٤٣.

يأتون بها في أوائل أشعارهم من غير تقدم شيء يكون ما بعدها معطوفاً عليه، والأشعار مشحونة بذلك، ويسمونها واو الاستئناف^(١).

وقال أبو البقاء^(٢): "ويقرأ بالنون حملاً على قوله: "ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك" [الآية: ٤٤]، ويقرأ بالياء حملاً على "يَبْشُرُكَ" [الآية: ٤٥] وموضعه حال معطوفة على "وجيهاً" [الآية: ٤٥]. قال الشيخ^(٣): "وقال بعضهم: "ونعلمه" بالنون حملاً على "نوحيه" إن عنى بالحمل العطف فلا شيء أبعد من هذا التقدير، وإن عنى بالحمل أنه من باب الالتفات فهو صحيح" قلت (السّمين الحلبي): يتعيّن أن يعني بقوله "حملاً" الالتفات ليس إلّا، ولا يجوز أن يعني به العطف لقوله: "وموضعه حال معطوفة على وجيهاً" كيف يستقيم أن يريد عطفه على "يَبْشُرُكَ" أو "نوحيه" مع حكمه عليه بأنه معطوف على "وجيهاً"؟ هذا لا يستقيم أبداً^(٤).

في الوجهين الأوّل والثاني، نرى أن "يُعلمه أو نُعلمه" جملة معطوفة، والمعطوف بالواو شريك المعطوف عليه، فالواو "العاطفة، ومعناها مطلق الجمع، فتعطف الشيء على صاحبه، وعلى سابقه، وعلى لاحقه؛ فعلى هذا إذا قيل "قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو" احتمل ثلاثة معانٍ، قال ابن مالك: وكونها للمعية راجحٌ، وللترتيب كثير، ولعكسه قليل، إهـ. ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخٍ^(٥). وهذا بيّن وقد أوضحناه.

وفي الوجهين الثالث والرابع ما مرّ من فائدة العطف، -المعطوف بالواو شريك المعطوف عليه- نرى هنا عطف حال على حال، والحال كما أسلفت من الصّفات؛ وهو زيادة في الخبر. وفي الوجه الخامس استئناف.

(١) الدرّ المصون ٣ / ١٨٤.

(٢) التّبيان ١ / ٢٦١.

(٣) البحر ٢ / ٤٦٣.

(٤) الدرّ المصون ٣ / ١٨٥ - ١٨٦.

(٥) مغني اللبيب / ٤٦٣.

ففي قراءة "ويعلمه" إخبار عن الله - سبحانه وتعالى -
 وفي قراءة "ونعلمه" إخبار من الله - سبحانه وتعالى -.

٢- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَلَتُنصُرُنَّهُمْ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران ٣: ٨١].

-قراءة نافع وأبو جعفر والأعرج "لما آتيناكم" بلفظ الجمع المتكلم.
 -قراءة الباقرين "لما آتيتكم".^(١)

بلاغياً

في قوله -تعالى-: "آتيتكم" أو "آتيناكم" على كلا القراءتين التفات من الغيبة الى التكلّم في قوله آتينا أو آتيت، لأنّ قبله ذكر الجلالة المعظمة في قوله: "وإذ أخذ الله".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من الغيبة "وإذ أخذ الله" إلى التكلّم في "آتيت" بالتاء، وفي "آياتنا" بالنا للعظمة.

٣- قال -تعالى-: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا

(١) معجم القراءات القرآنية ٢ / ٤٨-٤٩.

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا ۖ وَمَا لَهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾
 [آل عمران ٣: ١٤٩ - ١٥١].

-قرأ أيوب السخثياني "سَيْلِقِي" [الآية: ١٥١] بالغيبة جرياً على الأصل.
 -وقرأ الجمهور "سَنْلِقِي" بنون العظمة.^(١)

بلاغياً

التفات من الغيبة في قوله: "وهو خير الناصرين" [الآية: ١٥٠] الى التكلّم في قوله: "سنلقي" [الآية: ١٥١]. للاهتمام بما يليق به الله في قلوبهم.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جاء الكلام متسقاً لجاء على قراءة أيوب السخثياني، فعدل عن ضمير الغيبة في "وهو خير الناصرين" [الآية: ١٥٠] الى ضمير المتكلم المعظم نفسه "سنلقي" [الآية: ١٥١].
 وجاء بالسّين للدلالة على الاستقبال، وفائدة ذلك أنّ الله - سبحانه وتعالى - بعد أن حذر من إطاعة الذين كفروا، أعلم أنّه مولى الذين آمنوا، وأنّه خير الناصرين وبشرّ الذين آمنوا أنّه سيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الى يوم القيامة، وتكلّم بنون العظمة للتنبية الى هول ما سيلقيه ربّ العزة، وهذا مشاهد في أيامنا هذه.

٤- قال -تعالى-: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ

(١) البحر ٣ / ٧٧، والقرطبي ٢ / ١٤٧٤، والذّر المصون ٣ / ٤٣٤، والمحرّر الوجيز ٣ / ٢٥٩ والكشاف ١ / ٤٥٢، ومختصر في شواذ القرآن ٢٩.

دَيْرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لِأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ
جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران ٣: ١٩٥].

روي أن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى الرجال في الهجرة، ولم يذكر النساء في شيء من ذلك؛ فنزلت الآية. (١)

بلاغياً

الانتقاة من الغيبة في قوله -تعالى-: "فاستجاب لهم ربهم" إلى التكلّم في قوله -تعالى-: "أني لا أضيع...". لإظهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابة وتشريف الدّاعين وتسوية الرّجال والنّساء، وشركة النّساء مع الرّجال في العمل والجزاء عليه بعد أن كانت المرأة مغموطة الحقّ في الجاهليّة. (٢)
ويظهر أن الأستاذ محيي الدّين الدّرويش لم يطلع على سبب نزول الآية، أو أنه بنى شرحه على الآيات السّابقة.

نحوياً

الانتقال من ضمير الغيبة في "فاستجاب لهم ربهم" إلى التكلّم "أني لا أضيع...". دليل على التّعظيم والتّفخيم، ووعد من الله -تعالى- للذّين عملوا هذه الأعمال بحسن الثّواب.

(١) الكشّاف ١ / ٤٨٥، والمحرّر الوجيز ٣ / ٣٢٣.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٢ / ١٤٢.

٥- قال -تعالى-: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء ٤: ١١٤].

-قرأ أبو عمرو وحمزة: "فسوف يؤتبه" بالياء.

-والباقون، "فسوف نُؤْتِيهِ" بالنون. بلفظ الجمع المتكلم.

بلاغياً

الانفتاح في قراءة "نؤتيه" بالنون، التفتاح من الغيبة في "مرضاة الله" إلى
التكلم في "نؤتيه".

نحوياً

١- من قرأ "فسوف يؤتيه" ليتسق مع الاسم الغائب في قوله "مرضاة
الله".

٢- أ- ومن قرأ: "فسوف نُؤْتِيهِ" انتقل من الغيبة إلى ضمير المتكلم
العظيم وهو أبلغ من إسناده إلى ضمير الغائب.

ب- ومن قرأ: "فسوف نُؤْتِيهِ" نراه متسقاً مع قوله -تعالى-: "نؤليه ما

تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ" بعد في قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء ٤: ١١٥].

٦- قال -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴿
[النساء ٤ : ١٥٢].

-قرأ حفص عن عاصم بالياء "يؤتيهم".

-وقرأ الجمهور "تؤتيهم" بنون العظمة. (١) بلفظ الجمع المتكلم.

بلاغياً

الالتفات في قراءة الجمهور بنون العظمة "تؤتيهم".

نحوياً

١- في قراءة حفص عن عاصم طابق بين الضميرين في "يؤتيهم" و"الذين آمنوا بالله" فأعاد الضمير في "يؤتيهم" على اسم الله -تعالى- في قوله: "والذين آمنوا بالله".

٢- في قراءة الجمهور "تؤتيهم" عدل عن المطابقة فانتقل من الغيبة إلى الخطاب بنون العظمة، لإشعارهم أن إيتاءها كائن لا محالة، وإن تأخر، فالفائدة منه توكيد الوعد وتثبيتته لا كونه متأخراً.

وفي قراءة الجمهور "تؤتيهم" تطابق مع قوله -تعالى-: "وأعدنا" في الآية الكريمة: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴿
[النساء ٤ : ١٥١].

(١) البحر المحيط ٣ / ٣٨٦، الدرر المصون ٤ / ١٣٩.

٧- قال -تعالى-: ﴿ لَنْ يَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤: ١٦٢].

-قرأ حمزة "سيؤتيهم" بالياء.

-وقرأ باقي السبعة "سنؤتيهم" بنون العظمة. (١) بلفظ الجمع المتكلم.

بلاغياً

في قراءة "سنؤتيهم" التفات من الغيبة الى التكلّم.

نحوياً

- في قراءة حمزة "سيؤتيهم" بالياء عود الضمير على قوله -تعالى-: "وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" وفيه تطابق.

- في قراءة باقي السبعة "سنؤتيهم" عدول عن المطابقة في عود ضمير التكلّم بنون العظمة إلى ضمير الغيبة، وفائدته موافاتهم بالأجر العظيم، وتوكيد الوعد وتثبيته.

وفي قراءة "سنؤتيهم" مطابقة لقوله -تعالى-: "وَأَعْتَدْنَا" في الآية الكريمة: ﴿ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ٤: ١٦١].

(١) البحر المحيط ٣ / ٣٩٧، والذّر المصون ٤ / ١٥٦.

٨- قال -تعالى-: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ تَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ [الأنعام : ٣٣-٣٤].

بلاغياً

الالتفات من ضمير الغيبة في قوله -تعالى-: ﴿ "بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ تَجْحَدُونَ" ﴾ [الآية: ٣٣] الى ضمير المتكلم في قوله -تعالى-: " حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ". وفائدته تطرية الكلام وتنويحه.

نحوياً

لو جاء الكلام متطابقاً لكان حتى أتاهم نصره، ولكن الكتاب العزيز عدل عن المطابقة فأضاف النصر إلى ضمير العظمة المنتزلة فيه الواحد منزلة الجمع، ليحثهم على المثابرة وتأدية ما كلفوا به لتحقيق الغاية المرجوة والمطلوبة.

٩- قال -تعالى-: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام : ٩٩].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله -تعالى-: " وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ " الى التكلّم في قوله -تعالى-: " فَأَخْرَجْنَا " إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله.

نحوياً

عدل عن المطابقة، ولو جاء الكلام متطابقاً لقليل: وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج، ولكنه في عدوله عن المطابقة بالانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير التَّكَلُّمِ وبنون العظمة بلفظ الجمع المتكلم، لإشعارهم بعظمة الله - سبحانه - وقدرته البالغة في إنزال الماء وإخراج نبات كل شيء.

"واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلم وحده لإظهار كمال العناية، أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته".^(١)

١٠- قال تعالى:- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف ٧: ٥٧].

بلاغياً

الالتفات الخروج من ضمير الغائب في "هو" إلى ضمير التَّكَلُّمِ في "سقناه".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جرى الكلام متطابقاً لقال: يسوقه -فينزل به- فيخرج -يخرج. وذلك أن "نون" التَّكَلُّمِ تفيد الاختصاص وتدل عليه القدرة على إرسال الرياح مبشرة بالغيث بعد أن جفت مشاربه وعفت مزارعه.

(١) روح المعاني ٨ / ٢٣٨.

١١ - قال تعالى: ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ^ع وَيَذَرُهُمْ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ [الأعراف ٧: ١٨٦].

• قرأ الحرميَّان (نافع وابن كثير)، وابن عامر، وأبو جعفر، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وقتادة، والأعرج، وابن محيصن، وشيبة، وعاصم في رواية أبي بكر؛ بالنون ورفع الرَّاء (وَيَذَرُهُمْ).

• وقرأ الباقرن بالياء، ورفع الرَّاء (وَيَذَرُهُمْ). إلا:

- حمزة، والكسائي، وأبو عمرو؛ فيما ذكر أبو حاتم، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وخلف؛ بالياء والجزم (وَيَذَرُهُمْ).

- وقرأ نافع، وخارجة؛ بالنون والجزم (وَيَذَرُهُمْ). (١)

بلاغياً

• في قراءة "وَيَذَرُهُمْ" التفات؛ حيث خرج من الغيبة في (مَنْ يُضِلُّ) إلى التَّكَلُّم في "وَيَذَرُهُمْ" على الإخبار من الله -جلَّ ذكره- عن نفسه.

نحوياً

• في قراءة "وَيَذَرُهُمْ" مطابقة مع ما قبلها من لفظ الغيبة في "مَنْ يُضِلُّ" فذلك حسن للمشكلة، واتصال بعض الكلام ببعض". (٢)

وقراءة "وَيَذَرُهُمْ" بالرفع؛ على القطع والاستئناف؛ على معنى "وَاللَّهُ يَذَرُهُمْ".

(١) إتحاف ٢٣٣، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٦٥٤، والبحر ٤ / ٤٣٣، والتيسير ١١٥، والحبّة ١٦٧، وحبّة ٣٠٣، والكشاف ٢ / ١٧٢، والنشر ٢ / ٢٧٣، والكشف ١ / ٤٨٥، والمحرّر ٧ / ٢١٨ - ٢١٩، والقطع والانتشاف ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) الكشف ١ / ٤٨٥.

• في قراءة "وَنَذَرُهُمْ" عدول عن المطابقة؛ حيث خرج من ضمير الغيبة في "مَنْ يُضِلُّ" الَّذِي يَفِيدُ التَّحَقُّقَ، إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه في "وَنَذَرُهُمْ" الَّذِي يَفِيدُ الحُضُورَ والمخاطبة والمواجهة.

وقراءة "وَنَذَرُهُمْ" بالرَّفْع، أيضاً؛ على القطع والاستئناف على معنى: "وَلَكِنْ نَذَرُهُمْ" أو: "تَحْنُ نَذَرُهُمْ".

*- في قراءة الجزم "وَيَذَرُهُمْ" عطف على موضع الفاء وما بعدها؛ التي هي جواب الشرط، في قوله -تعالى-: "مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ"؛ لأنَّ موضع الفاء وما بعدها جزم؛ إذ هي جواب الشرط، فجعل الكلام "متصلاً بعضه ببعض، غير منقطع مما قبله".^(١)

١٢- قال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس ١٠: ٥].

-قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بالياء "يُفَصِّلُ".
-وقرأ باقي السبعة بالنون "تُفَصِّلُ"^(٢) الدالة على جمع المتكلم.

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله: "هو" إلى التكلُّم في قوله -على قراءة باقي السبعة- نُفَصِّلُ.

نحوياً

١- في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص "يُفَصِّلُ" بالياء مطابقة في ضمائر الغيبة جرياً على لفظة الله.

(١) الكشف ١ / ٤٨٥، والقطع والانتناف ٣٤٥.

(٢) البحر المحيط ٥ / ١٢٦. والذر المصون ٦ / ١٥٤، الكشاف ٢ / ٣١٤.

٢- في قراءة باقي السبعة "فَصَلَّ" بالنون عدول عن المطابقة حيث خرج من ضمير الغيبة في "هو" إلى ضمير العظمة النون، مشعراً بها (العظمة) ومخبراً، وخصاً من يعلم بتفصيل الآيات لهم لأنهم الذين يبتغون بتفصيل الآيات ويتدبرون بها في الاستدلال والنظر الصحيح.

١٣- قال تعالى:- ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ [النحل: ١٦ - ١ - ٢].

-قرأ عاصم وشعبة والجعفي وابن أبي عبله "نُزِّلُ الملائكة" بنونين وتشديد الزاي.

-وقرأ الباقر "يُنَزِّلُ الملائكة" بالياء. (١)

-وقرأ قتادة: "نُزِّلُ" بالنون والتخفيف، والنون دالة على جمع المتكلم، والعظمة.

بلاغياً

-الالتفات من ضمير الغيبة في "تَسْتَعْجِلُوهُ" الى ضمير التَّكَلُّمِ في "نُزِّلُ".

نحوياً

-في قراءة "يُنَزِّلُ" تطابق في الضمائر حيث جاء ما قبلها وما بعدها ضمائر غيبة.

-وفي قراءة عاصم وشعبة والجعفي وابن أبي عبله "نُزِّلُ" وقراءة قتادة "نُزِّلُ" عدول عن المطابقة، حيث عدل في الانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير التَّكَلُّمِ المعظم نفسه "نُزِّلُ" - نُزِّلُ" بالنون. وقال ابن عطية: "وفيها شذوذ

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٧٣، القرطبي ٥ / ٣٦٨٣، والذر المصون ٧ / ١٨٨، ومعجم القراءات القرآنية ٣ / ٢٦٨، والمحرر الوجيز ١٠ / ١٥٩

كثير".^(١) وقال أبو حيان: "وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة ووجهه أنه الالتفات".^(٢)

١٤ - قال - تعالى -: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾ [النحل ١٦: ٥١].
بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ إلى التكلّم في قوله - تعالى -: "فإيَّايَ فَارْهَبُونَ" وفائدته أنه أبلغ في الرّهبة.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو طابق بين الضميرين: ضمير الغيبة وضمير التكلّم؛ لقال: فإياه فارهبون؛ وفي هذا الخبر المتطابق يكون مجرد خبر، ولكن عندما جاء بضمير التكلّم -الذي يفيد الحضور والمواجهة- "إيَّاي" وجعله مفعولاً به لفعل محذوف يفسره "فارهبون"، وخاطبهم مواجهة فكان الكلام أوقع في النفوس وأبلغ في الرّهبة.

وانتصب "إيَّاي" بفعل محذوب مقدر التأخير عنه يدل عليه "فارهبون" وتقديره وإيَّاي ارهبوا.

وقول ابن عطية: "إيَّاي" منصوب بفعل محذوف مضمّر تقديره: فارهبوا إيَّاي فارهبون"^(٣) "ذهول عن القاعدة في النحو أنه إذا كان المفعول ضميراً

(١) المحرر الوجيز ١٠ / ١٥٩.

(٢) البحر المحيط ٥ / ٤٧٣. والذّر المصون ٧ / ١٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ١٠ / ١٩٥.

منفصلاً والفعل متعدياً إلى واحد هو الضمير وجب تأخير الفعل؛ كقولك: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"^(١) ولا يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة نحو قوله:

إِلَيْكَ حِينَ بَلَغْتَ إِيَّاكَ.^(٢)

ثم التفت من التَّكْلُمِ إلى ضمير الغيبة^(٣)، فأخبر -تعالى- أن له ما في السموات والأرض؛ لأنه لما كان هو الإله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجوداً بإيجاده وخلقه وأخبر أن له الدين واصباً.

الآية: ﴿ وَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ

تَتَّقُونَ ﴾ [النحل: ١٦: ٥٢].

١٥ - قال -تعالى-: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ^{هـ}

وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ١٦: ٩٦].

• قرأ ابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن ذكوان، وهشام، وخلف، ويعقوب: "وَلَنَجْزِيَنَّ"
• وقرأ الباقون: "وَلَنَجْزِيَنَّ"^(٤).

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ" إلى التَّكْلُمِ في "وَلَنَجْزِيَنَّ".

(١) الفاتحة ١ / ٥.

(٢) البحر المحيط ٥ / ٥٠١، والنهر الماد ٥ / ٥٠٠.

(٣) سيأتي مزيد تفصيل في الالتفات من التَّكْلُمِ إلى الغيبة. رقم (١٠)

(٤) معجم القراءات القرآنية ٣ / ٢٩٥.

نحوياً

• في قراءة "وَلَتَجْزِينَ" عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، إذ انتقل من الغيبة في "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ" التي تفيد التَّحَقُّق؛ إلى التَّكَلُّم بنون العظمة "وَلَتَجْزِينَ" التي تفيد الحضور والإخبار والقدرة.

"وفائدة الالتفات -العدول- تكرير الوعد المستفاد من قوله -سبحانه-:
﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٦: ٩٥]

على نهج التوكيد القسمي، مبالغة في الحمد على الثبات على العهد".^(١)
• في قراءة "وَلَيَجْزِينَ" جاء الكلام متنقلاً متطابقاً بين غيبة في "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ"، وغيبة في "وَلَيَجْزِينَ".

١٦- قال تعالى:- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء ١٧: ١].

-قرأ الحسن "لِئْرِيَه" بالياء من تحت؛ أي: الله -تعالى-.

-وقرأ العامة "لِنُرِيَه".^(٢) بنون العظمة.

بلاغياً

في قراءة العامة "لِنُرِيَه" بنون العظمة التفتان:

(١) روح المعاني ١٤ / ٢٢٥.

(٢) البحر المحيط ٦ / ٦، واتحاف ٢٨١، والكشاف ٢ / ٦٠٦، ومعجم القراءات القرآنية ٣ / ٣٠٥، والدرر المصون ٧ / ٣٠٧ - ٣٠٨.

١- من الغيبة في قوله -تعالى-: "الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ" إلى التَّكْلُمِ في قوله: "بَرَكْنَا"، و"لِئْرِيَهُ".

٢- من التَّكْلُمِ في قوله -تعالى-: "بَارَكْنَا" و"لِئْرِيَهُ" إلى الغيبة في قوله: "إِنَّهُ هُوَ" إن أَعَدْنَا الضَّمِيرَ عَلَى اللَّهِ -تعالى- وهو الصَّحِيح. وفي قراءة الحسن "لِئْرِيَهُ" بالياء من تحت أربعة إلتفاتات:

١- التفتت أولاً من الغيبة في قوله -تعالى-: "الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ" إلى التَّكْلُمِ في "بَارَكْنَا".

٢- ثم التفتت ثانياً من التَّكْلُمِ في "باركنا" إلى الغيبة في "ليريه" على هذه القراءة.

٣- ثم التفتت ثالثاً بالياء من هذه الغيبة إلى التَّكْلُمِ في "آياتنا".

٤- ثم التفتت رابعاً من هذا التَّكْلُمِ إلى الغيبة في قوله: "إِنَّهُ هُوَ" على الصحيح في الضمير أَنَّهُ اللَّهُ.

وقال أبو البقاء: "والهاء في إِنَّهُ اللَّهُ -تعالى-، وقيل لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ أي: إِنَّهُ السَّمِيعُ لِكَلَامِنَا البصير لذاتنا"^(١) ويعلق السَّمِينِ الحَلْبِيِّ فيقول: "قلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامَّة التفات واحد، وفي قراءة الحسن ثلاثة."^(٢)

"ولو ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّ فِيهَا خَمْسَةُ التَّفَاتَاتِ لاحتاج في دفعه إلى دليل واضح، والخامس: الإلتفات من "إِنَّهُ هُوَ" إلى التَّكْلُمِ في قوله: "وَأَتَيْنَا مُوسَى"^(٣) [الآية: ٢] في قوله -تعالى-: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا

تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴿١٧﴾ [الإسراء: ١٧].

(١) التَّبَيَانُ ٢ / ٨١١.

(٢) الدَّرُ المصنُون ٧ / ٣٠٧.

(٣) الدَّرُ المصنُون ٧ / ٣٠٨.

والفائدة منه فضلاً عن تطرية نشاط الذهن، واستحضاره واسترعائه
لعرض الحقائق المملوءة بالعظات والعبر.

نحوياً

يقول أبو البقاء: "لنريه" بالنون؛ لأنَّ قبله إخباراً عن المتكلم، وبالياء؛ لأنَّ
أوَّل السُّورة عن الغيبة، وكذلك خاتمة الآية، وقد بدأ في الآية بالغيبة، وختم بها،
ثم رجع في وسطها إلى الإخبار عن النَّفس؛ فقال: "باركنا" و"من آياتنا" (١).

قال - تعالى - أوَّلاً: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ بضمير المفرد

الغائب، ثم قال - سبحانه -: "الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ" بضمير الجمع المتكلم فعدل
عن المطابقة.

ثم قال - سبحانه وتعالى -: "إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" بضمير المفرد

الغائب عادلاً عن المطابقة.

ولو جاء الكلام متطابقاً لكان "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
البصير" وهذا جميعه متطابق مع أسرى، فلمَّا خولف بين المرود والمرود عليه
في الانتقال من صيغة إلى صيغة كان ذلك لمقصد معنوي هو أعلى وأبلغ.

يقول ابن الأثير: "وسأذكر ما سنح فيه فأقول: لما بدأ الكلام بـ "سبحان"
ردفه بقوله: "الَّذِي أَسْرَى، إذ لا يجوز أن يقال: الَّذِي أَسْرِينَا، فلمَّا جاء بلفظ
الواحد، والله تعالى أعظم العظماء، وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الَّذِي هُوَ
بلفظ الجمع استدرك الأوَّل بالثاني، فقال: "باركنا" ثم قال: "لنريه من آياتنا" فجاء
بذلك على نسق "باركنا" ثم قال: "إِنَّهُ هُوَ" عطفاً على "أسرى، وذلك موضع

(١) التبيين ٢ / ٨١١.

متوسط الصِّفة؛ لأنَّ السَّمْعَ والبصرَ صفتانِ يشارِكُهُ فيهِما غيرُهُ، وتلكَ حالُ متوسطةٍ فخرجَ بها عن خطابِ العظيمِ في نفسه إلى خطابِ غائبٍ.^(١)

بدأ - ربُّ العزَّة - الآيةَ بـ "سبحان" مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع، ولا زمنَ له، فطابقه قوله -تعالى-: "أسرى" فعل ماضٍ مسندٌ إلى ضميرِ غيبيةٍ مفردٍ مستترٍ، ثم عدلَ عنه بإسنادِ الفعلِ "باركنا" إلى ضميرِ الجمعِ المتكلمِ المعظمِ نفسه، وهو أولى بخطابِ العظيمِ في نفسه، لأنَّه -عزَّ وجلَّ- هو وحده الذي يمنحُ البركةَ للزَّمانِ والمكانِ وأنَّ الإنسانَ يشرفُ بالزَّمانِ والمكانِ، فمثلاً يشرفُ الإنسانُ بمكَّةَ المكرَّمةَ - مكان - على غيره من الأمكنة، ويشرفُ في شهرِ رمضانَ - زمان - على غيره من الأزمنة، ثم طابقَ معه "لنريه" بنونِ المضارعةِ الدَّالةَ على الجمعِ، و"في آياتنا" الدَّالةَ على الجمعِ والتَّعظيمِ، ثمَّ خرجَ من المطابقةِ إلى الغيبيةِ في قوله -تعالى-: "إنَّه هو السَّمِيعُ العَليمُ" مؤكِّداً بـ "إنَّ" ليحقِّقَ الخبرَ ويؤكدَهُ.^(٢)

١٧ - قال -تعالى-: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾

[طه ٢٠: ٥٣].

بلاغياً

"لما ذكر سيدنا موسى -عليه السَّلام- دلَّالته على ربوبيَّةِ الله -تعالى-، وتمَّ كلامه عند قوله -تعالى-: "وَلَا يَنْسَى" في الآيةِ الكريمةِ: ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه ٢٠: ٥٢]، ذكر -تعالى- ما نبَّهَ على قدرته ووحدانيته فأخبر ما نبَّهَ به على قدرته ووحدانيته، فأخبر عن

(١) المثل السائر ٢ / ٥ - ٦.

(٢) انظر رقم (١١) من التَّكَلُّمِ إلى الغيبية.

نفسه بأنه هو الذي صنع كيت وكيت، وإنما ذهبنا إلى أن هذا هو من كلام الله - تعالى - لقوله - تعالى - : " فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ " [الآية: ٥٣] وقوله - تعالى - :
﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الآية: ٥٤] وقوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ [الآية: ٥٦] فيكون قوله - سبحانه - وتعالى - : " فَأَخْرَجْنَا " [الآية: ٥٣] و " أَرْسَلْنَا " [الآية: ٥٦] الالتفاتاً من ضمير الغائب في "جعل" وسلك إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، ولا يكون الالتفات من قائلين".^(١)

نحوياً

في "الذي" وجهان:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ مضمرة، أو منصوب بإضمار "أمدح" وهو على هذين التقديرين من كلام الله - تعالى - لا من كلام سيدنا موسى - عليه السلام - وذلك لأنَّ قوله: "فأخرجنا به" [الآية: ٥٣] وقوله - تعالى - : ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ ﴾ [الآية: ٥٤] وقوله - تعالى - : " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ " [الآية: ٥٥] إلى قوله - تعالى - : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا " [الآية: ٥٦] لا يتأتى أن يكون من كلام سيدنا موسى - عليه السلام - فلذلك جعلناه من كلام - الباري تعالى - ويكون فيه عدول عن المطابقة بالانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، وفائدته أنه - جلَّ وعلا - أسند الضمير إلى ذاته، وأنه صانع كيت وكيت، وتأكيد اختصاص فعل الصنع بذاته - تعالى - .

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٥٠ - ٢٥١، والنهر الماد ٦ / ٢٤٩، وإعراب القرآن للدرويش ٦/ ٢٠٢.

والثاني: أن "الذي" صفة لـ "رَبِّي" فيكون في محل رفع أو نصب على حسب إعراب "رَبِّي"، و"رَبِّي" فاعل يَضِلُّ، على تقدير: في كتاب لا يَضِلُّهُ رَبِّي. (١) أو: لا يَضِلُّ حَفْظَهُ رَبِّي؛ فيكون في "يَضِلُّ" ضمير يعود على "كتاب"، وربِّي منصوب على التَّعْظِيم. (٢)

١٨- قال -تعالى-: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَاهٍ بِهَجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُوَّةٍ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل ٢٧: ٦٠].

بلاغياً

الانفتاح في قوله -تعالى-: "فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَاهٍ بِهَجَةٍ"؛ بعد قوله -تعالى-: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ فقد انتقل في الإخبار من الغيبة إلى التَّكَلُّم عن ذاته -سبحانه- في قوله: "فَأَنْبَتْنَا" بنون العظمة لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإنذار بأنَّ إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطُعم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده؛ ولذلك رَشَّحه بقوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ﴾. (٣)

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الإخبار بالغيبة إلى المتكلم بنون العظمة، ليدلُّ على اختصاصه بذلك، وأنَّه لم ينبت تلك الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطُعم والروائح بماء واحد إلا هو -تعالى-، وقد رَشَّح هذا

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٨١.

(٢) الدر المصون ٨ / ٤٩ - ٥٠ - ٥١.

(٣) البحر ٧ / ٨٩، والنهر ٧ / ٨٧، الدرويش ٧ / ٢٤٠، والكشاف ٣ / ٣٨٠، والدر

الاختصاص بقوله: ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾، ولما كان خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء لا شبهة للعاقل في أن ذلك لا يكون إلا لله، وكان الإنبات مما قد يتسبب فيه الإنسان بالبذر والسقي والتهيئة، ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبب إليه بين -تعالى- اختصاصه بذلك بطريق العدول، وتأكيد ذلك بقوله -تعالى-:

﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ ألا ترى أن المتسبب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده، ولو أتى فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته، فكيف يكون فاعلاً لها. (١)

١٩- قال -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ

يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ [العنكبوت ٢٩: ٢٣]

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في قوله -تعالى-: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ

وَلِقَائِهِ" إلى التكلّم في قوله -تعالى-: "أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي".

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة حيث خرج من الغيبة التي تفيد التّحقّق

في قوله -تعالى-: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ" إلى التكلّم الذي يفيد

الحضور والإخبار في قوله -تعالى-: "أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي".

ولو جاء على أصل المطابقة بلفظ الغيبة قبله لقال: "من رحمته".

(١) البحر ٧ / ٨٩.

٢٠- قال تعالى:- ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَى

بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ [فاطر ٣٥: ٩].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة (ضمير الغائب في "أرسل") إلى التَّكْم (ضمير المتكلم في: "فسقناه" و"أحيينا").

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، ولو طابق في الكلام لقال: فساق وأحيا، ولكنه عدل في المطابقة عن لفظ الغيبة إلى التَّكْم لأنه أدخل في الاختصاص وأدل عليه، وبخاصة ضمير المتكلم المعظم لنفسه.

وعبر بالماضيين "فسقناه - فأحيينا" بعد المضارع "فتثير" للدلالة على التحقُّق.

٢١- قال تعالى:- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا

بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا

وَعَرَابٍ سَوْدٌ ﴿٧﴾ [فاطر ٣٥: ٢٧].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في "أنزل" إلى التَّكْم في "أخرجنا"؛ لأنَّ المنَّة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء.

نحوياً

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من ضمير الغيبة "أنزل" الذي يفيد التَّحَقُّق، إلى ضمير المتكلم في قوله "أخرجنا" فأسنده للمعظم نفسه، لما في

ذلك من الفخامة، ولأنَّ نعمة الإخراج أتمُّ من نعمة الإنزال؛ لفائدة الإخراج؛ فأسند الأتمُّ إلى ذاته بضمير المتكلم، وما دونه بضمير الغائب.

٢٢- قال -تعالى-: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا

وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت ٤١: ١١ - ١٢].

بلاغياً

الالتفات من الغيبة في "ثم استوى" [الآية: ١١] وقوله: "فقضاهن" [الآية:

١٢] وقوله: "وأوحى" [الآية: ١٢] إلى الخطاب في قوله: "وزيَّنا" [الآية: ١٢].
فقد خاطبهم بإسناد التزيين إلى ذاته -سبحانه- وبنون العظمة لإبراز مزيد الاهتمام بالتزيين.

نحوياً

أخبر ربُّ العزّة- بضمائر الغيبة في- "ثم استوى" و"فقضاهن" و"وأوحى" على سبيل التَّحَقُّق بإسناد الأفعال الماضية إلى ضمائر الغيبة، ثم عدل عن المطابقة، فرجع إلى إسناد الفعل الماضي إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه. والفائدة في ذلك أنَّ طائفة من النَّاس غير المنتشرِّعين يعتقدون أنَّ النُّجُوم ليست في سماء الدنيا، وأنَّها ليست حفظاً ولا رجوماً، فلمَّا صار الكلام إلى ههنا عدل فيه عن خطاب الغائب المُتَحَقِّق إلى خطاب النَّكَلَم لأنَّه مهم من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعنقدة بطلانه.

٢٣- قال تعالى:- ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا

بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ [الزُّخْرَف ٤٣: ١١].

بلاغياً

الالنفات من الغيبة في "نزل" إلى التكلّم في "فأنشَرنا". افتتاناً في أفانين
البلاغة وتسجيل المنّة على عباده وقرع أسماعهم بها. (١)

نحوياً

عدل عن المطابقة فأسند الفعل الماضي "نزل" إلى ضمير الغائب الذي
أفاد التّحقُّق، ثم عدل فأسند الفعل الماضي "أنشَر" إلى "نا" ليواجههم به، وأنّه لا
أحد يقدر على الإنشاء غيره -سبحانه وتعالى-.

(١) الدُّرُوش ٩ / ٦٩.

الفصل الثالث من الخطاب إلى الغيبة

من الخطاب إلى الغيبة

١- قال - تعالى - : ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفتح: ١ : ٥]

وقرئ شاذاً : "إِيَّاكَ يُعْبَدُ " على بنائه للمفعول الغائب^(١).

بلاغياً

ووجهها على إشكالها أن فيها استعارة والتفاتاً: أمّا الاستعارة فإنه استعير فيها ضمير النصب لضمير الرفع إذ الأصل أنت تُعْبَدُ، وهو شائع كقولهم: عساك، وعساه، وعساني في أحد الأقوال.

وقول الآخر^(٢):

يَا بَنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكََا وَطَالَمَا عَنَيْتَنَا إِلَيْكََا

لنَضْرِبَنَّ بِسَيْفِنَا قَفَيْكََا

فالكاف في " عَصَيْكََا " نائبة عن التاء، والأصل "عَصَيْتَ"، قال ابن جنّي في "سرّ صناعة الإعراب؛ ج١/٢٨١" "أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس، وكان سَحِيمٌ إذا أنشد شعراً قال: أَحْسَنَكَ والله، يريد أَحْسَنْتَ".

(١) قراءة الحسن البصري وأبي مجلز وأبي المتوكل. إتخاف/١٢٢، والبحر المحيط ٢٣/١، ومختصر في شواذ القراءات/٩، ومعجم القراءات ١٠/١.
(٢) الخزائن ٤/٤٢٩.

وقال أبو علي (في المسائل العسكرية): "قال أبو الحسن الأخفص: إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها، وإن كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل، لإقامة القافية، ألا تراهم يقولون: رأيتك أنت، ومررت به هو، فيجعل علامات الضمير المختص بها بعض الأنواع في أكثر الأمر، موقع الآخر. ومن ثم جاء: لولاك. وإنما ذلك لأن الاسم لا يصاغ معرباً، وإنما يستحق الإعراب بالعامل".

قال ابن هشام (في المغني): "ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش وابن مالك، وإنما الكاف بدل من التاء بدلاً تصرّيفاً".

"وعنيتنا إليك" بمعنى: أتعبتنا بالمسير إليك^(١).

وأما الالتفات فكان من حق هذا القارئ أن يقرأ: "إِيَّاكَ تُعَبِّدُ" بالخطاب، ولكنه التفات من الخطاب في "إِيَّاكَ" إلى الغيبة في "يُعَبِّدُ" إلا أن هذا التفات غريب لكونه في جملة واحدة، بخلاف الالتفات المتقدم، ونظير هذا الالتفات، قوله:

أَنْتَ الْهَالِكِيُّ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً سَمِعْنَا بِهِ وَالْأَرْحَبِيُّ الْمُغَلَّبُ

فقال: "به" بعد قوله: "أَنْتَ وَكُنْتَ"^(٢).

(١) الخزانة ٤/٤٢٩-٤٣٠، وشرح الأشموني ١/٢٦٧.
(٢) الدر المصون ١/٥٨-٥٩.

نحوياً:

"إِيَّاكَ": ضمير خطاب، مفعول به مقدّم، قدّم للأهمية، "يُعَبَّدُ": فعل مضارع، مبني للمجهول، ونائب فاعله معلوم وهو "الله"، وانتقل في هذه الآية من ضمير الخطاب الذي يفيد المواجهة والحضور، إلى الغيبة التي تفيد التحقُّق. أي: إنّه لا يستحقُّ العبادة بحقّ إلا أنت. وحذف نائب الفاعل للدلالة على العظمة.

ولو جاء على المطابقة والاتساق لقال: إِيَّاكَ تُعَبَّدُ.

٢- قال - تعالى:- ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة ١: ٧].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" عطفاً على الأول، لأنّ الأوّل موضع التّقرّب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً، فانظر إلى هذا الموضع، وتناسب هذه المواضع الشريفة التي الأقدام لا تكاد تطؤها، والأفهام مع قربها صافحة عنها، وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب^(١) لتعظيم شأن المخاطب، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة، لتلك العلة بعينها، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً؛ لأنّ مخاطبة الرّبّ - تبارك وتعالى - بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد

(١) راجع رقم (١) من الغيبة إلى الخطاب.

الغضب إليه تعظيم لخطابه، فانبغى أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فأسند أوّلاً ضمير المخاطب لـ "أنعم"، لما فيه من المواجهة والتعظيم إن كان الأمر خيراً، والنعمة خيراً، ثم فكاً هذه المطابقة وأسند "الغضب" للغيبة لتحقيقه، ووقوعه عليهم لا محالة لبعدهم عن الصراط المستقيم.

٣- قال - تعالى -: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^ع وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ^ع وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ^ع وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ^ه وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة ٢: ٧٤].

قرأ الجمهور "تَعْمَلُونَ" بالتاء.

وقرأ ابن كثير "يَعْمَلُونَ" بالياء.

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في قوله - تعالى -: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ" إلى الغيبة في قوله - تعالى -: "يَعْمَلُونَ" - على قراءة ابن كثير، وحكمة هذا الالتفات أنه

(١) المثل السائر ٥/٢.

أعرض عن مخاطبتهم وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب، وجعلهم كالعائنين عنه، لأنَّ مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه، وتأنيس له فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات.

نحوياً:

- في قراءة الجمهور "تَعْمَلُونَ" مطابقة مع "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ".

- وفي قراءة ابن كثير "يَعْمَلُونَ" عدل عن الخطاب إلى الغيبة، ففي مخاطبتهم "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ" خطاب فيه تفرغ على شنيع صنائعهم، ثم بخطاب الغائب "يَعْمَلُونَ" لأنَّ في الغيبة تحقيقاً، وتأكيذاً على عدم الغفلة.

٤- قال - تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَبْظَهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْئِدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ^٤ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ^٥ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^٦ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ^٧ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ^٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ آسَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ^٩ فَلَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابَ ^{١٠} وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^{١١} ﴾ [البقرة ٢: ٨٥ - ٨٦].

- قوله تعالى - "يُرَدُّونَ" [الآية: ٨٥].

* قرأ الجمهور "يُرَدُّونَ" بالياء، وهو مناسب لما قبله "مَنْ يَفْعَلُ".

* وقرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما "تُرَدُّونَ" وهو مناسب لقوله: أَفْتُوْمِنُونَ".

- قوله: "تَعْمَلُونَ" [الآية: ٨٥]. "أُولَئِكَ" [الآية: ٨٦].

* قرأه الحرمين (نافع وابن كثير) وأبو بكر بالياء (يَعْمَلُونَ) رَدَّوه على قوله: "أُولَئِكَ الَّذِينَ" [الآية: ٨٦] وقوله "عَنْهُمْ" [الآية: ٨٦] و"وَلَهُمْ" [الآية: ٨٦] فلما أتى كله بلفظ الغائب حمل صدر الكلام عليه.

* وقرأ الباقر بالتاء (تَعْمَلُونَ) حملوه على ما تقدم من الخطاب في قوله: "يَأْتُوْكُمْ أَسْرَى" و"مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ" وقوله: "أَفْتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" وقوله: "فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ" [الآية: ٨٥] فلما تكرر الخطاب حمل عليه^(١).

بلاغياً:

الالتفات من ضمير الخطاب في قوله: "أَفْتُوْمِنُونَ" إلى ضمير الغيبة في قوله "يُرَدُّونَ".

وفي قراءة الحسن وابن هرمز "تُرَدُّونَ" الالتفات من الغيبة "مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ" إلى الخطاب "تُرَدُّونَ"^(٢).

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢٥٢/١-٢٥٣. والتبيان ٨٧/١-٨٨. والبحر ٢٩٤/١. والقرطبي ٤١٦/١.

(٢) راجع رقم (٣) من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً:

عدل عن المطابقة في قراءة "يُرْدُونَ" حيث عدل عن عود الضمير فانتقل من الخطاب "أَفْتَوْمُنُونَ" من مواجهتهم بمخاطبتهم مقرّعاً إياهم على أفعالهم، إلى الغيبة "يُرْدُونَ" التي تفيد التَّحَقُّقَ، "وهذه الآية من أوعظ الآيات إذ المعنى أن الله بالمرصاد لكل كافر وعاصٍ"^(١).

وقال ابن عطية: "وقوله - تعالى - : وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ " الآية، قرأ نافع وابن كثير "يعملون" بياء على ذكر الغائب، فالخطاب بالآية لأمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والآية واعظة لهم بالمعنى؛ إذ الله - تعالى - بالمرصاد لكل كافر وعاصٍ، وقرأ الباقر بقاء على الخطاب المحتمل أن يكون في سرد الآية وهو الأظهر، ويحتمل أن يكون لأمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: إن بني إسرائيل قد مضوا وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد، يريد وبما يجري مجراه"^(٢).

٥- قال - تعالى - : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة ٢: ١٣٩-١٤٠].

* قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص "أم تقولون" بالتاء.

(١) البحر ٢٩٤/١.
(٢) المحرر ٢٨٥/١.

* وقرأ الباكون "أم يقولون" بالياء.

بلاغياً:

"في قراءة الياء" أم يقولون" التفات إذ صار منه خروج من خطاب إلى غيبة، والضمير لناس مخصوصين^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز في قوله: "أم يقولون" عن المطابقة فخرج من إسناد الضمير المخاطب في "أتحاجوننا" إلى إسناده إلى ضمير الغيبة في "يقولون" وفي إسناده لضمير الغيبة تحقق.

٦- قال - تعالى - : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ط فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ء قَوْلٍ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ء وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ط وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ط وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة ٢ : ١٤٤].

- في قوله - تعالى - : "يعملون".

* قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح والأعمش بالتاء "تعملون" على الخطاب.

(١) البحر ٤٣٠/١، والمحزر الوجيز ١١/٢، والنذر ١٦٣/٢، ومعجم القراءات القرآنية ١٢٤/١.

* وقرأ الباقرن بالياء من تحت "يعملون" على الغيبة^(١).

بلاغياً:

١- "يعلمون"

الالتفات إن عاد الضمير على النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من خطابه بقوله:
"فلنولينك" إلى الغيبة.

٢- أ- "يعلمون"

الالتفات إن عاد الضمير على المؤمنين، فيكون التفاتاً من خطابهم بقوله:
"وجوهكم - كنتم".

ب- "تعملون"

الالتفات إن أراد به أهل الكتاب "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" فيكون التفاتاً من الغيبة
إلى الخطاب^(٢). تحريكاً لهم وتشيطاً.

نحوياً:

١- "يعلمون"

في الضمير ثلاثة أقوال:

أحدها: يعود على التولي المدلول عليه بقوله: "قولوا".

(١) راجع رقم (٥) من الغيبة إلى الخطاب.

(٢) الدر المصون ١٦٣/٢.

والتَّاني: على الشَّطر المدلول عليه بقوله: "شطره".

والتَّالث: على النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويكون على هذا عدولاً من خطابه بقوله: "قلنولِينَك" إلى الغيبة. لأنَّ في خطابه إيناساً للرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وطمأنينة لقلبه، وفي العودة إلى ضمير الغيبة تحقُّق.

٢- أ- "تعملون" على الخطاب.

يحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله: "فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" وهو الظَّاهر.

ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب، "لأنَّ اليهود والنَّصارى يعلمون أنَّ الكعبة هي قبلة سيِّدنا إبراهيم - عليه السَّلام - إمام الأمم، وأنَّ استقبالها هو الحقُّ الواجب على الجميع اتباعاً لمحمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ"^(١) فيكون من باب العدول فخرج من مطابفة "تعملون" مع "الَّذِينَ"، ووجهه أنَّ في خطابهم بأنَّ الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكاً لهم بأنَّ يعملوا بما علموا من الحقِّ؛ لأنَّ المواجهة بالشَّيء تقتضي شدَّة الإنكار وعظَم الشَّيء الَّذِي يَنْكُر"^(٢).

٢- ب- "يعملون" على الغيبة.

من قرأ بالياء فالظَّاهر أنَّه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك متطابقاً مع الغيبة في قوله: "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ".

أو ردّاً على المؤمنين فيكون عدولاً عن خطابهم بقوله: "وجوهكم - كنتم".

(١) المحرَّر الوجيز ١١/٢.

(٢) البحر المحيط ٤٣٠/١.

وعلى كلتا القراءتين فهو إعلام بأن الله - تعالى - لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها، وهو متضمّن الوعيد^(١).

٧- قال - تعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة ٢: ١٧٠].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في قوله - تعالى- : "يا أيها الناس" في الآية الكريمة: يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٠﴾ [البقرة ٢: ١٦٨] إلى الغيبة في "لهم". تسجيلاً للنداء على ضلالهم؛ لأنه ليس ثمة أضلّ من المقلد تقليداً أعمى، يتبع غيره في المواطن التي توبقه وترديه، وينساق من غير تفكير ولا روية^(٢).

نحوياً:

عدل عن المطابقة فانتقل من مواجهتهم بالخطاب في قوله: "يا أيها الناس" وما يبعثه من راحة وطمأنينة، إلى الغيبة وما تفيد من تحقق متعجباً من فعلهم، حيث دُعوا إلى شريعة الله والنور والهدى فأجابوا باتباع شريعة آبائهم.

(١) المحرر الوجيز ١١/٢، والبحر المحيط ٤٣٠/١.

(٢) إعراب الثرويش ٢٣٨/١.

٨- قال - تعالى - : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا ۗ فَعَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ [آل عمران ٣: ١٣].

- قرأ نافع وحده من السبعة، ويعقوب وسهل "تَرَوْنَهُمْ" بالخطاب.

- وقرأ الباقر من السبعة "يرونهم" بالغيبة.

- وقرأ ابن عباس وطلحة "تَرَوْنَهُمْ" مبنياً للمفعول على الخطاب.

- وقرأ السلمي وابن مصرف "يُرُونَهُمْ" مبنياً للمفعول على الغيبة^(١).

بلاغياً:

١- في قراءة نافع "تَرَوْنَهُمْ" بالخطاب، التفات من الخطاب إلى الغيبة.

٢- وفي قراءة الباقرين "يُرُونَهُمْ" بالغيبة، التفات من الخطاب إلى الغيبة.

٣- وفي قراءة البناء للمفعول على الخطاب "تَرَوْنَهُمْ"، وعلى الغيبة "يُرُونَهُمْ" ما في ١، ٢ من الالتفات.

نحوياً:

في قراءة "تَرَوْنَهُمْ" عدول، فقد عدل عن المطابقة، وأنَّ حقَّ الكلام في المطابقة "مئليكم" بالخطاب.

(١) السبعة ٢٠١، والكشف ٣٤٦/١، والبحر ٣٩٤/٢، ومختصر في شواذ القراءات ٢٦، والمحرَّر الوجيز ٢٩/٣-٣٠، والقرطبي ٢٦٧/٣-٢٦٩.

"والمعنى: ترون أيها المؤمنون الفئة الكافرة مثلي الفئة المقاتلة في سبيل الله، فكأنه قيل: ترونهم أيها المؤمنون مثليكم" (١).

وفي قراءة "يَرَوْنَهُمْ" عدول عن المطابقة حيث انتقل من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

"والذي تَقَوَّى في هذه الآية من حيث المعنى أن يكون مدار الآية على تقليل المسلمين وتكثير الكافرين؛ لأنَّ مقصود الآية ومساقتها الدلالة على قُدْرَةِ الله الباهرة، وتأبيده بالنصر لعباده المؤمنين مع قلة عددهم وخذلان الكافرين مع كثرة عددهم وتحزبهم ليُعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ كُلَّهُ من عند الله، وليس سببه كثرتكم وقلة عدوكم، بل سببه ما فعله - تبارك وتعالى - من إلقاء الرُّعب في قلوب أعدائكم، ويؤيده قوله بعد ذلك: "وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ" وقال في موضع آخر:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٩: ٢٥] قال الشيخ أبو شامة - بعد ذكره هذا المعنى وجعله قويا - : "قالها في 'ترويههم' للكفار سواء قرئ بالغيبة أم بالخطاب، والهاء في 'مثليهم' للمسلمين" (٢).

وقال ابن عطية: "فمن قرأ (تَرَوْنَهُمْ) بالتاء من فوق فهي مخاطبة لجميع المؤمنين إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في (ترويههم) تجمع المشركين، وفي (مثليهم) تجمع المؤمنين، ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي جمع المؤمنين، ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار ومن رأى أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أمر محمد - عليه

(١) الدر المصون ٤٩/٣.

(٢) الدر المصون ٥٢/٣.

السَّلَام - أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدّم في أنّهم سيغلبون، فمن قرأ بالياء من تحت، فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفّار مثلي جمع المؤمنين، ومن قرأ بالتاء فالمعنى لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم وسأغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر. ومن قرأ بضم التاء أو الياء فكان المعنى: إنَّ اعتقاد التضعيف في جمع الكفّار إنّما كان تخميناً وظناً لا يقيناً، فلذلك ترك في العبارة من الشك؛ وذلك أنّ "أرى" بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظر و"أرى" بفتح الهمزة تقولها فيما قد صحَّ نظرك فيه، ونحا هذا المنحى أبو الفتح وهو صحيح، قال أبو علي: والرؤية في هذه الآية رؤية عين، ولذلك تعدّت إلى مفعول واحد، و(مثليهم) نصب على الحال من الهاء والميم في (ترونها) وأجمع الناس على الفاعل بترونها المؤمنون والضمير المتصل هو للكفّار^(١).

٩- قال - تعالى:- ﴿ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران ٣: ٨٣].

- قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم: "يَبْغُونَ" بالياء من تحت.

- وقرأ الباقر بن بقاء الخطاب: "تَبْغُونَ" بالتاء من فوق.

- وقرأ عباس ويعقوب وسهل "يَرْجَعُونَ" على أصله في فتح الياء.

- وقرأ حفص عن عاصم: "يَرْجَعُونَ" بياء الغيبة.

(١) المحرر الوجيز ٣/٢٩-٣٠، والقرطبي ٢/١٢٦٧-١٢٦٨.

- وقرأ الباقون: "تُرْجَعُونَ" بقاء الخطاب^(١).

بلاغياً:

من قرأ بقاء الخطاب "تَبْعُونَ" قَدَرِ التَّفَاتِ مِنَ الْغِيْبَةِ فِي "هَمْ الْفَاسِقُونَ" فِي
الآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾
[آل عمران ٣: ٨٢] إِلَى الْخَطَابِ "تَبْعُونَ".

وقرأ أبو عمرو: "يَبْعُونَ" بِالْيَاءِ مَفْتُوحَةً، وَتُرْجَعُونَ" بِاللَّيْنِ مَضْمُومَةً.
ففيها:

بلاغياً: التَّفَاتِ مِنَ الْغِيْبَةِ إِلَى الْخَطَابِ. وَنَحْوِيًّا: عَدُولٌ عَنِ الْمَطَابِقَةِ^(٢).

إِذَا عَادَ الضَّمِيرُ فِي قِرَاءَةِ "يُرْجَعُونَ" بِيَاءِ الْغِيْبَةِ عَلَى مَنْ عَادَ عَلَيْهِ
الضَّمِيرُ فِي "تَبْعُونَ" فِي قِرَاءَةِ الْخَطَابِ؛ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ التَّفَاتِ، إِذَا يَكُونُ قَدْ انْتَقَلَ
مِنْ خَطَابِ "تَبْعُونَ" إِلَى غِيْبَةِ "يُرْجَعُونَ".

- وَفِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ "تُرْجَعُونَ" بِالْخَطَابِ، وَقَرَأَ "يَبْعُونَ" بِالْغِيْبَةِ، فَيَكُونُ
هَذَا التَّفَاتِ مِنْهُ. مِنْ غِيْبَةٍ فِي "يَبْعُونَ" إِلَى خَطَابٍ فِي "تُرْجَعُونَ" وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
التَّفَاتِ مِنْ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : "مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ".

(١) المحرر الوجيز ١٤٨/٣، والقرطبي ١٣٦٩/٢، والذّر ٢٩٦/٣-٢٩٧، واتفق ١٧٧.

(٢) راجع من الغيبة إلى الخطاب رقم (٨).

نحوياً :

"يَبْغُونَ"

- قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم "يَبْغُونَ" بالياء من تحت، نسقاً -

أي: عطف بعضه على بعض وترتيبه - على قوله: "هم الفاسقون" في قوله

- تعالى: ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران ٣: ٨٢].

- والباقون بناء الخطاب "تَبْغُونَ" عدولاً عن المطابقة، من الغيبة في "هم

الفاسقون" [آل عمران ٣: ٨٢] إلى الخطاب "تَبْغُونَ".

* "يُرْجَعُونَ" بياء الغيبة، ويحتمل ذلك وجوهاً.

أحدها: أن يعود الضمير على "أسلم مَنْ". "أي: مَنْ أسلم" وهو واضح.

الثاني: أن يعود على من عاد عليه ضمير "يَبْغُونَ" في قراءة مَنْ قرأ

بالغيبة، وهو أيضاً واضح.

الثالث: أن يعود على مَنْ عاد عليه الضمير في "تَبْغُونَ" في قراءة

الخطاب فيكون عدولاً عن المطابقة بالانتقال من ضمير خطاب في "تَبْغُونَ" إلى

ضمير غيبة في "يُرْجَعُونَ".

* "تُرْجَعُونَ" بالخطاب.

- فمن قرأ "تَبْغُونَ" بالخطاب فهو واضح.

- ومن قرأه بالغيبة "يَبْغُونَ" فقد عدل عن المطابقة إذ انتقل من غيبة "يَبْغُونَ" إلى خطاب في "تَرْجَعُونَ".

- ويجوز أن يكون قد عدل عن المطابقة، إذ انتقل من ضمير الغيبة في "مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" إلى الخطاب في "تَرْجَعُونَ"^(١).

المعنى: "فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ" [آل عمران ٣ : ٨٢] الميثاق والتوكيد "فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [آل عمران ٣ : ٨٢] أي: المتمردون من الكفار، دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة. والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبعون، ثم توسطت الهمزة بينهما. ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره: "أ" يتولون "فَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ" وقدّم المفعول الذي هو "غير دين الله" على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل".

" - وقرئ "يبعون" بالياء، و"ترجعون" بالتاء وهي قراءة أبي عمرو، لأنّ الباغين هم المتولون، والراجعون جميع الناس. وقرئنا بالياء معاً، وبالتاء معاً^(٢).

١٠- قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران ٣ : ١٨٧].

- قرأ أبو بكر وأبو عمرو وابن كثير بياء فيهما "لُبَيِّنُنَّهُ" - يكتُمونه "حملوه على لفظ الغيبة قبله وبعده لينتظم الكلام على سنن واحد، ويأتلف على طريقة واحدة في الغيبة. ويأتي النسج متطابقاً بضمائره.

(١) الدرر المصون ٣/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) الكشاف ١/٤٠٧.

- وقرأ الباقون بالتاء فيهما "لتبَيِّنَنَّه" - تكتُمونه" حملوه على الخطاب^(١).

بلاغياً:

أ- انتقل من الغيبة إلى الخطاب^(٢).

ب- انتقل من الخطاب في - لتبَيِّنَنَّه - لا تكتُمونه - إلى الغيبة في "تبذوه - واشتروا - يشترون" والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم.

نحوياً:

أ. في قراءة - لتبَيِّنَنَّه - لا تكتُمونه - عدول عن المطابقة والخروج من ضمائر الغيبة إلى ضمير المخاطب، وبهذا قد انتقل من أمرٍ محقق وهو أخذ الميثاق، إلى مواجهتهم بالتاء - لتبَيِّنَنَّه - ولا تكتُمونه - لما في المواجهة من تأكيد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتتاب كتمانته.

ب. عاد بعد مواجهتهم في "لتبَيِّنَنَّه" - لا تكتُمونه - إلى الغيبة عادلاً عن المطابقة، ولأنَّ الغيبة أمرٌ محقق، فنبذهم الميثاق أمرٌ محقق، يعني، لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه^(٣).

(١) الكشف ٣٧١/١.

(٢) راجع من الغيبة إلى الخطاب رقم (١١).

(٣) الكشاف ٤٧٨/١.

١١- قال - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۗ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [النساء ٤ : ٤٣].

بلاغياً:

الالتفات: التفت من الخطاب في "كنتم مرضى أو على سفر ... أو لامستم" إلى الغيبة في "أو جاء أحد" لأنه كناية عما يُستحيا من ذكره، فلم يخاطبهم به، وهذا من محاسن الكلام.

نحوياً:

قال أبو البقاء: "جاء، معطوف على كنتم؛ أي: وإن جاء أحد"^(١).

أسند الفعل كان في "وإن كنتم" إلى ضمير المخاطب؛ فقال: "كنتم" ثم ربطه بواو العطف، فلما عطف عليه "جاء" أسنده إلى اسم ظاهر؛ فقال: "جاء أحد" والإسناد إلى الظاهر أبلغ، فيكون عدولاً عن المطابقة بالانتقال من ضمير الخطاب، وهو يفيد المواجهة وتلقي الأمر، إلى الغيبة (بالاسم النكرة؛ والنكرة تفيد العموم) التي تفيد التَّحَقُّق وثبوت الحكم.

(١) الشبان ٣١٦/١.

"وما أحسن ما جاءت هذه الغيبة لأنه لما كنى عن الحاجة بالغايط أسند ذلك للمخاطبين فنزرع به إلى لفظ الغائب بقوله: "أو جاء أحد" وهذا من أحسن الملاحظات وأجمل المخاطبات"^(١).

١٢- قال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء ٤ : ٦٤].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب "جاءوك" إلى الغيبة في "واستغفر لهم الرسول" لما في هذا الاسم الظاهر من التشريف والتتويه بوصف الرسالة"^(٢).

نحوياً:

عدل عن المطابقة فلم يقل: جاءوك فاستغفروا الله واستغفرت لهم، فجاء بضمير الخطاب (ك) في جاءوك، إلى إسناد فعل الاستغفار إلى الاسم الظاهر "الرسول" معرقاً، لتخصيصه، "وتفخيماً لشأن الرسول وتعظيماً لاستغفاره، وتنبهياً على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله -تعالى- بمكان وعلى أن هذا الوصف الشريفي، وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته وعلى أنه مندرج في عموم قوله: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ" [النساء ٤ : ٦٤]، ومعنى وجدوا: علموا. أي: إخباره أنه قبل توبتهم ورحمتهم"^(٣).

(١) البحر ٢٥٨/٣-٢٥٩.

(٢) الدر المصون ١٨/٤-١٩.

(٣) البحر المحيط ٢٨٣/٣، وانظر رقم (٨) من التكم إلى الغيبة.

١٣- قال - تعالى -: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب الذي معناه المواجهة، مع ما فيه من تهديد، في قوله - تعالى -: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...، إلى الغيبة التي تعني التحقق، بما فيها من طمأنينة وراحة نفس؛ في قوله - تعالى -: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ .

١٤- قال - تعالى -: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ [الأنعام: ٦: ١٠٩].

- قرأ ابن عامر وحمزة: "لا تؤمنون" ببناء الخطاب.

- وقرأ الجمهور: "لا يؤمنون" ببناء الغيبة.

بلاغياً:

في قراءة "لا يؤمنون" ببياء الغيبة، يكون الخطاب في "وما يشعركم" جائزاً فيه وجهان:

أحدهما: أنه خطاب للمؤمنين. أي: وما يشعركم أيها المؤمنون إيمانهم، ثم استأنف إخباراً عنهم بأنهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في إيمانهم.

والثاني: أنه للكفار. أي: وما يشعركم أيها المشركون ما يكون منكم، ثم استأنف إخباراً عنهم بعدم الإيمان لعلمه السابق فيهم ولو جاءتهم الآيات.

وفي الوجه الثاني التفات من خطاب إلى غيبة^(١).

نحوياً:

في الوجه الأول أنه خطاب للمؤمنين يكون الضميران مختلفان ضمير الخطاب في "يشعركم" للمؤمنين، وضمير الغيبة في "لا يؤمنون" للمشركين. فالتقدير: وما يشعركم أيها المؤمنون ما يكون منهم.

ثم أخبر المؤمنين بعلمه فيهم. أي: إنهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في إيمانهم.

في الوجه الثاني: أنه للكفار. أي: وما يشعركم - أيها المشركون - ما يكون منكم، ثم أخبر عنهم ما يكون من حالهم ولو جاءتهم الآيات.

فالضميران على هذا الوجه لواحد (للكفار) فيكون الخطاب في "يشعركم" للكفار وجهاً لوجه زيادةً في إخراجهم وتعنيفهم، ثم عدل عنه فانتقل بالضمير إلى الغيبة "لا يؤمنون" لما تفيده الغيبة من التَّحَقُّق والعلم السابق بعدم الإيمان.

(١) البحر المحيط ٢٠١/٤، واللَّهْر المادَّة ٢٠١/٤، والذَّر المصون ١٠٨/٥.

١٥- قال - تعالى:- ﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ذَٰلِكَ مِمَّا لَكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ [الأعراف ٧: ٢٦].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في "يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ" إلى الغيبة في "لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ".

نحوياً:

كان مقتضى المطابقة أن يقول: لعلكم تتذكرون (تذكرون)، ولكنه عدل عن المطابقة "عليكم" وانتقل إلى ضمير الغيبة "لعلهم".

١٦- قال - تعالى:- ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف ٧: ١٥٨].

بلاغياً:

خرج من الخطاب إلى الغيبة، وعدل من المضمرة إلى الاسم الظاهر، لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليُعَلِّمَ أَنَّ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَاتِّبَاعُهُ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ الْمُسْتَقِلُّ بِأَنَّهُ

النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمَنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنَا أَوْ غَيْرِي إِظْهَارًا لِلنَّصْفَةِ وَتَفَادِيًا مِنَ الْعَصِيَّةِ لِنَفْسِهِ^(١). وَاعْتَبَرَهَا السِّيَوطِيُّ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ^(٢).

نحوياً:

وَاجْهَهُمْ بِـ "إِنِّي" الْبَاءُ ضَمِيرُ التَّكَلُّمِ، يَفِيدُ الْحُضُورَ، وَهُوَ حُضُورُ تَكَلُّمٍ، لَا بَدَّلَ لَهُ مِنْ مَخَاطَبٍ أَوْ مَخَاطِبِينَ، وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْمَوَاجِهُ مَعْرُوفٌ، وَالْمَوَاجِهُ مَعْرُوفٌ - وَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَعْرُوفٍ؛ أَيُّ غَيْرِ حَاضِرِ حَالِ التَّكَلُّمِ - وَهُوَ هُنَا مَعْرُوفٌ لَدَيْهِمْ - أَيُّ: الْمَوَاجِهُ وَهُوَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشَخْصِهِ وَصِفَاتِهِ، ثُمَّ عُدِلَ عَنِ التَّكَلُّمِ فِي "إِنِّي" إِلَى الْأَسْمِ الظَّاهِرِ "وَرَسُولُهُ" وَكَمَا يَقُولُ النُّحَاةُ: "الْأَسْمِ الظَّاهِرِ فِي قُوَّةِ ضَمِيرِ الْغَائِبِ" وَالضَّمَائِرُ جَمِيعًا مَفْتَقَرَةٌ إِلَى الْقِرَائِنِ بِاعْتِبَارِهَا شَرْطًا أُسَاسِيًّا لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَعِينٍ... وَأَمَّا ضَمِيرُ الْغَائِبِ فَقَرِينَتُهُ الْمَرْجِعُ الْمَتَقَدِّمُ إِمَّا لَفْظًا أَوْ رَتْبَةً أَوْ هُمَا مَعًا، فَهَذَا الْمَرْجِعُ هُوَ الْقَرِينَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ بِضَمِيرِ الْغَائِبِ^(٣). وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّمَائِرَ تَلْعَبُ دَوْرًا هَامًّا جَدًّا فِي عِلَاقَةِ الرَّبِطِ فَعُودِهَا إِلَى مَرْجِعٍ يَغْنِي عَنْ تَكَرُّرِ لَفْظِ مَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ، وَمَنْ هُنَا يُؤَدِّي إِلَى تَمَاسُكِ أَطْرَافِ الْجُمْلَةِ^(٤).

فَالْمُطَابَقَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ: "قَامَنُوا بِاللَّهِ وَبِي" عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ" وَلَكِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْأَسْمِ الظَّاهِرِ - أَيُّ: ضَمِيرِ الْغَائِبِ - لِمَا يَحْمِلُهُ مِنَ التَّحَقُّقِ - عَادِلًا عَنِ الْمُطَابَقَةِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ بِأَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي يُؤْمَنُ بِإِلَهِهِ وَبِكَلِمَاتِهِ - وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَعَيْسَى "وَكَلِمَةً" بِالتَّوْحِيدِ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْجِنْسُ، كَقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ لَبِيدٌ"^(٥). وَالْكَلِمَاتُ

(١) الكشاف ١٥٨/٢، والمثل السائر ١١٢/٢، والذر المصون ٤٨٣/٥-٤٨٤.

(٢) معترك الأقران ٣٧٩/١.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ١١٠-١١١.

(٤) المرجع نفسه ١١٣.

(٥) رواد البخاري؛ مناقب الأنصار ٢٦، وفتح الباري ١٤٩/٧ وهذه الكلمة قوله:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَانِلٌ

-الكلمة - هنا - كعادة العرب - آيات القرآن الكريم؛ لأنَّ العرب تطلق على القصيدة "كلمة".

١٧- قال - تعالى:- ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف ٧: ١٧٥-١٧٦].

بلاغياً:

الانفغات من الخطاب إلى الغيبة.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الخطاب في قوله -تعالى-: "وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا" مع ما في الخطاب من المواجهة والحضور، إلى الغيبة في قوله تعالى: "فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ" مع ما في الغيبة من تحقق.

١٨ - قال - تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي
الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا
مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠﴾ [يونس : ٢٢].

بلاغياً:

الالتفات: خرج من خطاب في قوله "كنتم" إلى غيبة في قوله "بهم"
و"فرحوا" وما بعد ذلك من ضمير الغيبة. قال الزمخشري: فائدة الالتفات في قوله
تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ المبالغة، كأنه يذكر
لغيرهم حالهم لِيُعَجِّبَهُمْ منها وليستدعي منهم الإنكار والتفويض^(١). وقال أبو حيان:
"والذي يظهر - والله أعلم - أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله: "هُوَ الَّذِي
يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" خطاب فيه امتنان واطهار نعمة للمخاطبين والمسيرين
في البرِّ والبحر مؤمنون وكفار، والخطاب شامل فحسن خطابهم ليستدويم الصالح
على الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذكرت حاله آل الأمر
في آخرها إلى أن المتلبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق؛ عدل عن الخطاب
إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها
البغي"^(٢).

(١) الكشاف ٣٢٢/٢.

(٢) الثهر الماد ١٣٧/٥، البحر المحيط ١٣٨/٥-١٣٩.

نحوياً:

المطابقة تقتضي: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة فرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية بالخطاب.

لكنه عدل عن المطابقة، فانتقل من الخطاب الذي يفيد المواجهة إلى الغيبة التي تفيد التحقق فبعد أن خاطبهم ممتناً على الخلق - مؤمنهم وكافرهم - بأنه هو الذي يسيركم في البرِّ والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك - المؤمن والكافر - وصل المؤمنون إلى برِّ الأمان - والله أعلم - متعمين بإيمانهم، وظلَّ الكفار في الفلك وجرين بهم^(١) بريح طيبة "موافقة لأهوائهم وما يتمنونه" وفرحوا بها" وغرهم ما هم فيه من نعم الله، فاخذلوا إلى المعاصي، والابتعاد عن منهج الله القويم، وغفلوا وسدروا في غيهم، "جاءتها - أي: الفلك - ريح عاصف"، وجاءهم الموج (أي: المصائب) من كل مكان" (أي: تراكم الأمواج-المصائب-) "وظنوا أنهم أحبط بهم" (أي: وقع بهم الهلاك) "دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُخِجْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ".

وقد اختار ربُّ العزة - والله أعلم - "الفلك" لأنها ومهما عظمت فإنَّ الله - سبحانه - هو الذي يسيرها، وغرق الغواصة "كورسك" في ١٢/آب/٢٠٠٠م التي كان الرؤس يفاخرون بها، ويقولون: إنها أعظم غواصة في العالم، وإنها مجهزة بأحدث التقنيات التي تجعلها عصية على الغرق أو أن يلحق بها أذى، لم يتمكنوا هم ولا غيرهم من إنقاذ مَنْ فيها، أو إنقاذها. وقد أوردت الصحف أنهم وجدوا أن بعض ملاحها كتبوا يستجدون الله ويطلبون إنجاءهم.

(١) الضمير في "جرين" عائد على الفلك على معنى الجمع، إذ الفلك يكون مفرداً أو جمعاً. والضمير في "بهم" عائد على الكائنين في الفلك. البحر ١٣٨/٥-١٣٩.

وما قصته السفينة (تايتنك) الإنجليزية العملاقة - التي سميت السفينة التي (لا تغرق) عنا ببعيد. ففي ١٠ نيسان ١٩١٢م ترقب العالم بلهفة ذلك الحدث التاريخي، وهو قيام السفينة (تايتنك) بأولى رحلاتها عبر المحيط الأطلنطي من إنجلترا إلى الولايات المتحدة، وفي ١٤ نيسان ١٩١٢م، وهو اليوم الخامس من رحلة السفينة بدأت المخاطر تتربص بالسفينة العملاقة، ففي ذلك اليوم منذ الظهر وحتى آخر الليل تلقت حجرة اللاسلكي في السفينة رسائل عديدة من بعض السفن المارة بالمحيط تشير إلى اقتراب السفينة من الدخول في منطقة مياه جليدية مقابلة للساحل الشرقي لكندا، وعلى الرغم من هذه الرسائل لم يُبد أحد من طاقمها وعلى الأخص الكابتن (سميث) أي اهتمام؛ بسبب خبرتهم السابقة بندرة تكوّن الجليد في هذه المنطقة من المحيط في شهر نيسان، وبنقتهم البالغة بسفينتهم العملاقة (تايتنك)، فقد كانت تبدو لهم أكبر من أن يعترض شيء طريقها.

وفي حوالي منتصف هذه الليلة رأى (فليت) خيالاً مظلاماً يقع مباشرة في طريق السفينة، وفي ثوانٍ معدودات بدأ هذا الخيال يزداد بشكل ملحوظ إنه (جبل جليدي)، فقام (فليت) بإطلاق جرس الإنذار عدة مرات وقام بتحذير الجميع، ولكن لم يكن هناك أي فرصة لتجنب الاصطدام، فارتطم الجبل الجليدي بجانب السفينة ... وكان أن غرقت السفينة التي سموها (السفينة التي لا تغرق).

١٩- قال - تعالى-: ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ حَكِيمٌ لَّا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ [الرعد ١٣ : ٤١].

بلاغياً:

يقول الأستاذ محي الدين الدرويس: "التفات بليغ؛ الرجوع من خطاب النفس إلى الغيبة في الآية، وبناء الحكم على الاسم الجليل ينطوي على أعظم الأسرار وأبهرها، فإنه لما أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة المشوبة بالتحذير كان لا بد أن يتوجه إليهم بالخطاب ليريهم مكان القوة والعظمة لديه، وعاد إلى تصوير الفخامة والمهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة التي هي السبب في إتيان الأرض وانتقاص أطرافها. وإدالة الأمر من قوم لقوم، ونقل السيطرة من الظالمين بالأمس إلى المظلومين، ومن الغالبيين بالأمس إلى المغلوبين؛ وهذه الفخمية لا تتأتى إلا بإيراد الكلام في معرض الغيبة فقال ملتفتاً: "والله يحكم" في خلقه بما يشاء لا راداً لحكمه، ثم أردف ذلك بقوله: "لا معقب لحكمه" ولا مبطل لمشيئته، وثلث بقوله: "وهو سريع الحساب" فكل شيء محسوب لديه، وعماً قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا^(١).

نحوياً:

عدل عن المطابقة فانقل من الخطاب "أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا" بالقدرة والأمر إلى الغيبة "وَاللَّهُ حَكِيمٌ لَّا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" ولا يخفى ما في الخطاب من المواجهة والإعلام المباشر، وما في الغيبة من التحقق.

(١) إعراب القرآن وبيانه ١٣٦/٥-١٣٧.

"وأنه لا راد ولا مناقض يتعقب أحكامه أي: ينظر في أعقابها أمصيبة أم لا؟
وسرعة حساب الله واجبة لأنها بالإحاطة ليست بعدد" (١).

٢٠- قال - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦٠﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٦١﴾ وَبَرُّوْا
لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُعْتَدُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٦٢﴾ [إبراهيم ١٤ : ١٩-٢١].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب "يذهبكم" إلى الغيبة "وبرزوا".

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في قوله: "يذهبكم"
الذي يفيد المواجهة، إلى الغيبة في قوله: "وبرزوا" الذي يفيد التحقق.

(١) المحرر الوجيز ٣٥/١٠.

٢١- قال - تعالى:- ﴿ أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ [النحل ١٦: ١].

- قرأ العامة: "فلا تستعجلوه" بالتاء خطاباً للمؤمنين والكافرين.
- قرأ سعيد بن جبير بالياء من تحت " (يستعجلوه) عائداً على الكفار أو المؤمنين^(١).
- وقرأ الأخوان "تشركون" بتاء الخطاب جرياً على الخطاب في "تستعجلوه".
- والباقون بالياء "يشركون" عوداً على الكفار.
- وقرأ الاعمش وطلحة والجدرى وجم غفير، بالتاء من فوق في الفعلين^(٢)؛ "تستعجلوه" و"تشركون".

من هذا يتحصّل عندنا:

- ١- "فلا تستعجلوه": خطاباً للمؤمنين والكافرين "يشركون" عوداً على الكافرين.
- ٢- "فلا يستعجلوه": "يشركون".
- ٣- "فلا تستعجلوه": "تشركون".

في (٢) و(٣) لا التفات ولا عدول لأنّ الفعلين جاءا في (٢) متطابقين على الغيبة، وفي (٣) متطابقين على الخطاب.

(١) البحر ٤٧٢/٥، ومختصر في شواذ القراءات ٧٦/٧.
 (٢) اللز المصون ١٨٧/٧-١٨٨، والكشاف ٥٥٤/٢، ومعجم القراءات القرآنية ٢٦٧/٣، والمحرر الوجيز ١٥٨/١٠.

بلاغياً:

في (١) التفات، فقد انتقل من الخطاب "فلا تستعجلوه" إلى الغيبة في "يشركون".

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانتقل من الخطاب "في تستعجلوه" إلى الغيبة "يشركون" ففي "تستعجلوه" خطاب للمؤمنين والكافرين، فللمؤمنين على استبطاء النصر، وللكافرين على استعجال العذاب. ثم، تبرأً -عزَّ وجلَّ- أن يكون له شريك، وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم^(١). فجاءت "يشركون" بالماضي لتحققه ووضوحه ووقوعه وصدقه.

"وفائدة هذا الالتفات (العدول) إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم، وطرحهم عن رتبة الخطاب، وحكاية شأنهم للغير".^(٢)

٢٢- قال - تعالى -: ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى مِمَّا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ
وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾
[النحل: ١٥-١٦].

بلاغياً:

التفات من الخطاب "بكم" و"تهتدون" إلى الغيبة "وبالنجم هم يهتدون"،
"وفائدة منه أنه لما كانت الدلالة من النجم أنفع الدلالات وأوضحها في البر"

(١) الكشاف ٥٥٤/٢.

(٢) روح المعاني ٩٢/١٤.

والبحر نبّه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم ولئلا يظن أن المخاطب مخصوص بذلك وزاد التأكيد بتقديم الجار والمجرور كأنما يشير من طرف خفي إلى أن دلالة غير النجم ضئيلة لا يؤبه لها^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الخطاب في "بِكُمْ"

و"تَهْتَدُونَ" [آية: ١٥] إلى الغيبة "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" [الآية: ١٦].

لما عدّد الله سبحانه - نعمه التي أسبغها على عباده وسخرها لهم، عدّد ما يهتدون به في البرّ والبحر، فعّدّد من نعمه الجبال الرّاسيات، والأنهار، والسُّبُل (أي: الطُّرُق)، والعلامات، ولمّا كان في علمه - تعالى - أن الإنسان يمكن أن يبدّل فيها ويغيّر، فالجبال يشق فيها الطُّرُق، وينسفها ويقيم مكانها أبنية، والأنهار يحوّل مساراتها، والعلامات يغيرها ويبدّلها، وهذا جليّ واضح للعيان، فإنّه انتقل إلى الماضي الذي يفيد التّحقّق وصدق المخبريّة، ولا يستطيع الإنسان أن يبدّله وقدّم "وبالنّجم" لأهمّيّته وإنّه المقصود بعدم قدرة الإنسان على تحويله وتغييره، ولذلك لم يقل: وبالنّجم لعلكم تهتدون، كما في الآية الكريمة قبلها، وعلّق "وبالنّجم" بـ"يهتدون" ليحقّق هذا الثّبات والدّوام، والله أعلم.

(١) إعراب القرآن وبيانه ٢٨٠/٥.

٢٣- قال - تعالى:- ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
 وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ
 ذُلًّا مَّا تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب "اتخذي" [الآية ٦٨] و "كلي، فاسلكي" إلى الغيبة
 "يخرج من بطونها" وإنما صرف الكلام ها هنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة
 وهي أنه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة، وأخبرهم أن فيه فوائد
 شتى لهم ليلفت انتباههم إليه^(١). و"ليبان ما يظهر من تعاجيب صنع الله -تعالى-
 التي هي موضع عبرتهم بعدما أمر النحل بما أمر"^(٢).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من الخطاب في "اتخذي"
 [الآية: ٦٨] و"كلي، فاسلكي" [الآية: ٦٩] إلى الغيبة "يخرج من بطونها" [الآية:
 ٦٩] ولو جاء الكلام متطابقاً لقال: اتخذي، كلي، فاسلكي، ... يخرج من بطونكم.
 ولا تخفى الفائدة من الانتقال من الخطاب الذي يفيد المواجهة والطلب التعليمي
 بالوحي، وهو إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل
 لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنبقته^(٣) في صنعته، ولطفها في تدبير أمرها،

(١) الدر المصون ٢٦٣/٧، إعراب القرآن وبيانه ٣٣٢/٥.

(٢) روح المعاني ١٨٤/١٤.

(٣) تنبؤ في مطعمه وملبسه: تجود وبالغ.

وإصابتها فيما يصلحها؛ دلائل بيّنة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى أولي العقول عقولهم^(١). إلى الغيبة التي تفيد التَّحَقُّق.

٢٤- قال - تعالى - : ﴿ وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ^ع وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء ١٧ : ٦٤].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، "وعدل عن ذلك تهويناً لأمره واستنصغاراً لأمر الغرور الذي يعدهم به من جهة وليتولى الكلام على طريق الغيبة متحدثاً إلى الناس جميعاً ليعلم الجاهل، ويخلد المبطل إلى الصَّواب"^(٢).

تحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة وكان حقَّ الاتِّساق (المطابقة) أن يقال: وما تعدهم إلَّا غروراً. والخطاب يفيد المواجهة، فإن كان موقف إعزاز وكرامة مدح، وإن كان موقف إذلال وإهانة عنف. ثم انتقل إلى الغيبة، التي تفيد التَّحَقُّق وتصديق ما كان.

(١) الكشاف ٥٧٦/٢.
(٢) إعراب القرآن وبيانه ٤٧٠/٥.

٢٥- قال - تعالى:- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [الكهف ١٨: ١١٠].

بلاغياً^(١):

١- في قراءة أبي عمرو رواية الجعفي عنه "ولا تشرك" بالتاء خطاباً للسامع والتفاتاً من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصالح.

٢- ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: "بعبادة ربّه" ولم يأت التركيب بعبادة ربك إيداناً بأنّ الضميرين لمدلول واحد، وهو "من" في قوله: "فمن كان يرجو".

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب "تشرك" إلى الغيبة "بعبادة ربّه أحداً" ولو جاء متطابقاً متساقاً لقال: ولا تشرك بعبادة ربك أحداً.

٢٦- قال - تعالى:- ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٤﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۗ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء ٢١: ٩٢-٩٣].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في "أمتكم" إلى الغيبة في "وتقطعوا" صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى قوم

(١) راجع رقم (٢٤) من الغيبة إلى الخطاب.

آخرين، ويقبَح عندهم ما فعلوه، ويقول ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله -تعالى- فجعل أمر دينهم فيما بينهم قِطْعاً، وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم، ثم تَوَعَّدَهُمْ بعد ذلك بأنَّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو مُجَازِيهِمْ على ما فعلوا^(١).

نحوياً:

الضَّمِير في "وتقطَّعوا" عائد على ضمير الخطاب في "أمَّتكم" والمطابقة (الاتساق) تقتضي "وتقطَّعتم"، فعدل الكتاب العزيز عن المطابقة لوضوح القرائن الأخرى؛ وأهمها قرينة الرِّبْط بعود الضَّمِير، فانتقل من الخطاب للنَّاس كافة؛ لأنَّ الأُمَّة (تعني: المَلَّة) أو "هذه" إشارة إلى مَلَّة الإسلام، أي: إنَّ مَلَّة الإسلام هي ملَّتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تتحرفون عنها، يشار إلى مَلَّة واحدة غير مختلفة، "وأنا" ألهمك إله واحد فاعبدون"^(٢). إلى الغيبة في "وتقطَّعوا" لما في الغيبة (الماضي) من التَّحَقُّق، وفيه إخبار تشنيع لما فعلوه من التَّفريق والانقسام على فرق شتَّى مختلفة الأهواء والمشارب؛ ثم توعدهم جميعاً بأنَّهم إليه راجعون فهو يحاسبهم ويجازيهم.

(١) المثل السائر ١٠/٢-١١، وانظر أيضاً: البحر المحيط ٦/٣٢٧-٣٢٨، والتهر الماد ٦/٣٣٦، والكتشاف ٣/١٣٤، الدرر المصون ٨/١٩٧، وإعراب القرآن وبيانه ٦/٣٥٩.
(٢) الكشاف ٣/١٣٤.

٢٧- قال - تعالى:- ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور ٢٤: ١٢].

بلاغياً:

الالتفات، العدول عن الخطاب في "سمعتموه" إلى الغيبة في "وقالوا"، وعن الضمير إلى الظاهر، قال الزمخشري: "ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير: (هذا إفك مبين)، هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن الذي قلَّ القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات"^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من ضمير المخاطب في "سمعتموه" إلى ضمير الغائب في "وقالوا" ومن ضمير المخاطب في "سمعتموه" إلى الاسم الظاهر في "المؤمنون" فالخطاب يعني المواجهة بالتوبيخ والتأديب، فالتوبيخ للمنافقين والمنافقات، والتأديب للمؤمنين والمؤمنات، لأن المنافقين لا ينفع معهم التأديب، فهم أهون على الله، فمن هان عليه خلى بينه وبين معاصيه، فكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة.

(١) الكشاف ٢٢٢/٣-٢٢٣. وانظر الدر المصون ٣٩٠/٨، وإعراب القرآن وبيانه ٥٧٨-٥٧٩.

والمطابقة تستدعي القول: «لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً» فلو جاء على هذا لاشترك فيه المؤمن والمنافق، ولكن التصريح بلفظ المؤمنين والمؤمنات، دلالة على تخصيصهم، بأن لا يصدق أحد قالة في أخيه. والله أعلم.

وكان الأصل في المطابقة يقتضي: وقتلتم، فعدل عن هذا الخطاب إلى الغيبة في «وقالوا» لأن فيها تعليم للمؤمنين لما فيها من تحقق، وتعطيف المؤمنين على إخوانهم.

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق سنة ست .

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٤: ١١].

«الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك. وأصله: الإفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد ما أفك به على السيدة عائشة -رضي الله عنها- والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة. واعصوبوا: اجتمعوا، وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم. وقرئ: «كبره» بالضم والكسر، وهو عظمه، والذي تولاه عبد الله؛ لإمعانه في عداوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغمزة.

أي: يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه. والعذاب العظيم لعبد الله؛ لأن معظم الشر كان منه. يحكى أن صفوان بن المعطل السلمي -رضي الله عنه- مرَّ بهودجها عليه، وهو في

ملاً من قومه، فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة -رضي الله عنها-، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها. والخطاب في قوله: «هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر، وعائشة، وصفوان بن المعطل -رضي الله عنهم- ومعنى كونه خيراً لهم: أنهم اكتسبوا به الثواب العظيم؛ لأنه كان بلائاً مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتسليّة له، وتنزيه لأئمّ المؤمنين -رضوان الله عليها- وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجّه (مجّ الشراب من فيه: رماه، ومجّ في خبره: لم يُبينه) أذناه، وعدّة أطراف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينيّة وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها»^(١).

٢٨- قال -تعالى-: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٤: ٦٤].

١- قرأ الجمهور: «يُرْجَعُونَ»: مبنياً للمفعول.

٢- وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق وأبو عمرو: «يُرْجَعُونَ»: مبنياً للفاعل.

بلاغياً:

الالتفات: التفت من ضمير الخطاب في « مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » إلى ضمير الغيبة في «يُرْجَعُونَ»، وفائدة هذا الالتفات على قراءة «يُرْجَعُونَ» أن الله يرتب

(١) الكشاف ٢٢١/٣-٢٢٢، وانظر أيضاً: سيرة ابن هشام ٢٥٤/٣-٢٦٤، وصحيح البخاري وصحيح مسلم، والمحرر الوجيز ٢٧٧/١١-٢٨٩.

على عملهم الذي عملوه ومن جملتها مخالفة أوامره - سبحانه - ما يليق به من التوبيخ والجزاء (١).

نحوياً:

- الخطاب والغيبية في قوله - تعالى - : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ [النور ٢٤: ٦٤].

يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق العدول، فيكون الكتاب العزيز قد عدل عن المطابقة، فانتقل من المشاهدة والرؤية المستفادة من الخطاب، إلى الغيبة لتحققها.

- ويجوز أن يكون «مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» عاماً، و«يُرْجَعُونَ» للمنافقين خاصة، فلا عدول حينئذ. والله أعلم (٢).

٢٩- قال - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا . فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان ٢٥: ١٧-١٩].

«فقد كذبوكم» هذا من قول الله بلا خلاف، فهي على إضمار القول والالتفات.

(١) روح المعاني ٢٢٩/١٨ .

(٢) البحر المحيط ٤٧٧/٦ ، والنهر المأدب ٤٧٥/٦ ، والكشاف ٢٦٦/٣ ، والدرر المصون ٤٥١/٨ .

قال الزمخشري: «هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول. ونحوها قوله -عز وجل-: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ فَدَّجَاءَ كُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَتَرٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ٥: ١٩].

أي: فقلنا قد جاءكم.

وقول الشاعر:

قالوا خراسانُ أفضى ما يرادُ بنا ثم القُولُ فقد جننا خراسانا (١)

أي: فقلنا: قد جننا.

يريد: أن الأصل في الآية الكريمة؛ فقلنا: قد كذبوكم.

* فإن كان المجيب الأصنام؛ فالخطاب للكفار. أي: قد كذبتم معبوداتكم من الأصنام بقولهم: «مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا» [الآية: ١٨].

* وإن كان الخطاب للمعبودين من العقلاء؛ عيسى والملائكة وعزير -عليهم السلام- وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله: «ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ» [الآية: ١٧] أي: كذبكم المعبودون.

- «بِمَا تَقُولُونَ» [الآية: ١٩] أي: بقولهم أنكم أضللتموهم، وزعمهم أنكم أولياؤهم من دون الله.

(١) الكشاف ٢٧٦/٣ .

** ومن قرأ «بِمَا نَقُولُونَ» بثناء الخطاب؛ فالمعنى: فيما تقولون؛ أي:

«سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» [الآية: ١٨].

- وقيل: الخطاب للكفار العابدين: أي: كذبكم المعبودون بما تقولون من

الجواب: «سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا» [الآية: ١٨] أو فيما تقولون أنتم من الافتراء عليهم خوطبوا على جهة التوبيخ والتقريع.

- وقيل: هو خطاب للمؤمنين في الدنيا. أي: قد كذبكم -أيها المؤمنون-

الكفار في الدنيا فيما تقولونه من التوحيد والشراع.

** وقرأ الجمهور «بِمَا نَقُولُونَ» بالتاء من فوق.

** وقرأ أبو حيوه وابن الصلت عن قنبل «بِمَا يَقُولُونَ» بالياء من تحت.

** وقرأ حفص وأبو حيوه والأعمش وطلحة «فَمَا تَسْتَطِيعُونَ» بثناء

الخطاب، ويؤيد هذه أن الخطاب في «كذبوكم» للكفار العابدين.

** وذكر عن ابن كثير وأبي بكر أنهما قرآ «بِمَا يَقُولُونَ فَمَا

يَسْتَطِيعُونَ» بالياء فيهما. أي: هم (١).

بلاغياً:

الالتفات: إن كان الخطاب في «كذبوكم» للكفار فالالتفات في «يقولون»،

فقد انتقل من ضمير الخطاب «كُم» في «كذبوكم» إلى ضمير الغيبة في «يقولون».

(١) البحر المحيط ٤٨٩/٦-٤٩٠، والكتشاف ٢٧٦/٣، والذر المصون ٤٦٧/٨-٤٦٨، ومعجم القراءات القرآنية ٢٧٩/٤-٢٨٠.

وإن كان الخطاب في «كذبوكم» للمعبودين، فالالتفات في «تقولون».

نحوياً:

إن كان الخطاب في «كذبوكم» للكفار فـ«تقولون» متسقة متطابقة مع «كذبوكم» فلا عدول حينئذٍ.

وفي قراءة «يقولون» عدول، لأن الكتاب العزيز انتقل من الخطاب في «كذبوكم» إلى الغيبة في «يقولون».

وإن كان للمعبودين فالضمير في «يقولون» متسق متطابق مع الضمير المرفوع «واو الجماعة» في «كذبوكم».

والعدول في قراءة «كذبوكم» «تقولون».

فائدة:

وإن كان الخطاب للمؤمنين أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - في قوله: «فقد كذبوكم» فالمعنى: أنهم شديرو الشكيمة في التّكذيب فما تستطيعون أنتم صرفهم عما هم عليه من ذلك.

وبالياء فما يستطيعون صرفاً لأنفسهم عما هم عليه، أو: ما يستطيعون صرفكم عن الحقّ الذي أنتم عليه، ولا نصراً لأنفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذبيهم^(١).

(١) البحر المحيط ٤٨٩/٦-٤٩٠، والكتشاف ٢٧٣/٣-٢٧٦، والذّر المصون ٤٦٧/٨-٤٦٨.

٣٠- قال -تعالى-: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦: ١٩٣-١٩٦].

بلاغياً:

قيل: الضمير في «وإنه لفي زبر الأولين» عائد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم-^(١).

أي: إن ذكره ورسالته في الكتب الإلهية المتقدمة يكون التفاتاً إذ خرج من ضمير الخطاب في قوله -تعالى-: «عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ» [الآية: ١٩٤] إلى ضمير الغيبة «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» [الآية: ١٩٦] وكذلك قيل في «أن يعلمه» في الآية الكريمة: «أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» [الآية: ١٩٧] أي: أن يعلم محمداً - صلى الله عليه وسلم-، وتتاسق الضمائر لشيء واحد أوضح^(٢).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من الخطاب في «عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ» [الآية: ١٩٤] إلى الغيبة في «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» [الآية: ١٩٦]، لأن الضميرين يعودان لواحد، إذ لو جاء الكلام متطابقاً لقيل: على «عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ» [الآية: ١٩٤]... وإنك لفي زبر الأولين.

(١) البحر ٤١/٧، والذُر ٥٥٢/٨.

(٢) البحر ٤١/٧.

٣١- قال -تعالى-: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدُبًا قَدَافٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل ٢٧: ٦٠].

بلاغياً:

«مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» المعنى: أن إنبات ذلكم منكم محال؛ لأنه إبراز شيء من العدم إلى الوجود، وهذا ليس بمقدور إلا الله -تعالى- ولما ذكر منته عليهم خاطبهم بذلك. ثم لما ذكر ذمهم عدل من الخطاب إلى الغيبة فقال: «بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ» إما النفاتاً، وإما إخباراً للرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بحالهم. أي: يعدلون عن الحق، أو: يعدلون به غيره. أي: يجعلون له مثيلاً وعديلاً^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فانقل من الخطاب في قوله -تعالى-: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» لما في الخطاب من مواجهة وتحذُّ، إلى الغيبة في قوله -تعالى-: «بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ» لما في الغيبة من تحقُّق، والله أعلم بهم، وما في علمه متحقِّق. والله أعلم.

(١) الشهر المادُّ ٨٧/٧ .

٣٢- قال تعالى:- ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيْتِيهِ فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل ٢٧: ٩٣].

- قرأ الجمهور: «عمًا يعملون» بالياء من تحت.

- وقرأ نافع وحفص عن عاصم: «عمًا تعملون» بالتاء من فوق (١).

بلاغياً:

الالتفات من ضمير الخطاب في «سِيرِكُمْ» «فَتَعَرَّفُونَهَا» إلى الغيبة في «يَعْمَلُونَ».

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من الخطاب في «سِيرِكُمْ» «فَتَعَرَّفُونَهَا» لما في الخطاب من مواجهة، وجاء بالسَّيْنِ الدَّالَّة على الاستقبال لتدلُّ على أَنَّ الآيات مستمرة إلى يوم القيامة وما الاكتشافات الكونية التي نشاهدها ونسمع بها إلَّا من «سِيرِكُمْ» إلى الغيبة في «يَعْمَلُونَ» التي تفيد التَّحَقُّق.

(١) البحر المحيط ١٠٢/٧، والذَّر المصون ٦٤٧/٨، ومعجم القراءات القرآنية ٣٧٥/٤.

٣٣- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ هَبْنَا دُورًا لِقَوْمِهِمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ . وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ وَمَا كَانُوا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمُؤْمِنِينَ . فَكَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَقُولُونَ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت ٢٩: ١٦-٢٤].

بلاغياً:

الالفتات من الخطاب في قوله: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ» إلى الغيبة في قوله

-تعالى-: «فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِمْ».

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من الخطاب الذي يفيد المواجهة

في قوله -تعالى-: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» إلى

قوله -تعالى-: «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [الآية: ٢٣]. إلى الغيبة التي تفيد التَّحَقُّقُ «فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ».

«وهذه الآية ١٦ والآيات التي بعدها إلى قوله: «فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ» محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم -صلوات الله وسلامه عليه- لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها» (١).

«والظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَ: «وَإِنْ يَكْذِبُوا» من كلام الله حكاية عن إبراهيم إلى قوله: «عذاب أليم» وقيل: هذه الآيات اعتراض من كلام الله بين كلام إبراهيم والإخبار عن جواب قومه. أي: وإن تكذبوا محمداً، فتقدير هذه الجمل اعتراضاً يردُّ على أبي عليِّ الفارسيِّ حيث زعم أنَّ الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر، وفائدة هذا الاعتراض أنَّه تسلية للرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث كان قد ابتلي بمثل ما كان أبوه إبراهيم قد ابتلي من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، وتكذيبهم إيَّاه، ومحاولتهم قتله، وجاءت الآيات بعد الجملة الشرطية مقررة لما جاء به الرَّسُولُ من توحيد الله، ودلائله، وذكر آثار قدرته والمعاد "فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ" لما أمرهم بعبادة الله وبين سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجته عليهم رجعوا إلى الغلبة، فجعلوا القائم مقامه جوابه فيما أمرهم به؛ قولهم: اقتلوه أو حرِّقوه، والآمرون بذلك إمَّا بعضهم لبعض، أو كبراًؤهم قالوا لأتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً، أو حرِّقوه بالنَّار؛ فإمَّا أن يرجع إلى دينكم إذا أمضتَّه النَّار، وإمَّا أن يموت بها إن أصرَّ على قوله ودينه، وفي الكلام حذف، أي: حرِّقوه في النَّار، فأنجاه الله من النَّار (٢).

(١) الكشَّاف ٤٥١/٣، وإعجاز القرآن ١٠٠.
(٢) البحر ١٤٥/٧، والكشَّاف ٤٥١/٣، الدرُّ المصون ١٤/٩.

٣٤- قال -تعالى-: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيحُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الرُّوم: ٣٠: ٣٩].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في « وَمَا آتَيْتُم » إلى الغيبة « فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ».

وقال الزمخشري: «وقوله -تعالى-: « فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » النفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون، والمعنى: المضعفون به؛ لأنه لا بدّ من ضمير يرجع إلى ما.

ووجه آخر وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المضعفون. والحذف لما في الكلام من الدليل عليه، وهذا أسهل مأخذاً، والأوّل أملاً بالفائدة^(١).

نحوياً:

المطابقة تستدعي أن يقال: فأنتم المضعفون. ولكنّ الكتاب العزيز عدل عن المطابقة فخرج من ضمير المخاطب في: « وَمَا آتَيْتُم » مع ما فيه من المواجهة وشدّ الانتباه والمدح؛ إلى الغيبة في « فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » لما في الغيبة من التّحقّق واليقين، وهو أمدح لهم.

(١) الكشاف ٤٨٧/٣، والبحر المحيط ١٧٤/٧-١٧٥، والنثر المصون ٤٧/٩-٤٨.

وترخص الكتاب العزيز في الربط، فحذف ضمير الربط من جواب الشرط الذي يعود على اسم الشرط لأنه (أي: اسم الشرط) ليس بظرف. «وإن اسم الشرط متى كان غير ظرف وجب عود ضمير من الجواب عليه»^(١). يتم به الربط.

٣٥- وقال -تعالى-: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتُّقَى اللَّهِ وَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣: ١-٢].

- قرأ الجمهور «تَعْمَلُونَ» بالناء من فوق على الخطاب.

- وقرأ أبو عمرو «بما يعملون» بالياء من تحت على الغيبة، هنا وفي «يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾» (الأحزاب ٣٣: ٩).

بلاغياً:

قال أبو حيان: «فجاز في الأولى -أي: «يعملون» [الآية: ٢]- أن يكون من باب الالتفات»^(٢). «يعني عن الغائبين الكافرين والمنافقين وهو بعيد»^(٣).

(١) الدر المصون ٤٧/٩ .

(٢) البحر المحيط ٢١٠/٧ .

(٣) الدر المصون ٩١/٩ .

نحوياً:

قراءة أبي عمرو «يعملون» بالغيبة، فهي مطابقة لقوله -تعالى-: «الكافرين» و«المنافقين» [الآية: ١].

وقراءة الجمهور «تعملون» بالخطاب، فهي مطابقة لقوله -تعالى-: «يا أيها النبي» [الآية: ١]؛ «لأنَّ المراد هو وأُمَّته، أو خوطب بالجمع تعظيماً»^(١).

ويكون العدول في قراءة أبي عمرو «يعملون» فقد خرج من الخطاب في «يا أيها النبي» [الآية: ١] و«اتَّبِعْ» [الآية: ٢] إلى الغيبة «يعملون» [الآية: ٢] لما فيها من التَّحَقُّق وما يفيدُه الجمع من التَّعْظِيم.

٣٦- قال -تعالى-: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَأْتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣: ٥٠]^(١).

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في قوله -تعالى-: « يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ » إلى الغيبة في قوله -تعالى-: « إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ».

(١) الدر المصون ٩١/٩.

(٢) راجع رقم (٣١) من الغيبة إلى الخطاب.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في قوله -تعالى-: « يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ » مع ما يفيد من المواجهة والانتباه إلى الغيبة في قوله -تعالى-: « إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا » مع ما فيه من التَّحَقُّق، وحفظت قرينة الرِّبْط المعنى بإعادة اللفظ «النَّبِيُّ»، بإعادة الرِّبْط (المرجع) بلفظه أقوى من إعادة ضميره عليه، لأنَّ لفظه أقوى من الكناية عنه.

وفائدته: مجيئه على لفظ النَّبِيِّ للدلالة على أنَّ الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته.

٣٧- قال -تعالى-: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت ٤١: ١٣].

بلاغياً:

الالتفات في قوله -تعالى-: « فَإِنْ أَعْرَضُوا » خرج الكتاب العزيز من الخطاب في قوله -تعالى-: « قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ » في الآية الكريمة: « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » [فصلت ٤١: ٩]. مع ما في الخطاب من تذكيرهم «بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة»^(١) إلى ضمير الغيبة في « فَإِنْ أَعْرَضُوا ».

(١) البحر المحيط ٤٨٩/٧، والنهر المآذ ٤٨٨/٧ .

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في « قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ » مع ما في الخطاب من المواجهة والإقناع بالحجج الدامغة إلى ضمير الغيبة إعراضاً عن خطابهم، وتسفيهاً لهم وتحقيراً، والله أعلم.

٣٨- قال -تعالى-: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا سَشْتَهِيَهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا أَخْلَدُونَ ﴾ [الزخرف ٤٣: ٧٠-٧١].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في قوله -تعالى-: « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ » إلى الغيبة في قوله -تعالى-: « يُطَافُ عَلَيْهِمْ ».

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من الخطاب في قوله -تعالى-: « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ » مع ما في الخطاب من مواجهة وطمأنينة نفس، إلى الغيبة في قوله -تعالى-: « يُطَافُ عَلَيْهِمْ » لما فيها من التَّحَقُّق، ولو جاء الكلام متطابقاً متسقاً على الأصل لقال: يطاف عليكم.

٣٩- قال -تعالى-: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَعَزَّتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا

يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الجاثية ٤٥: ٣٥].

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب في « ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ » و« وَعَزَّتُمْ » إلى الغيبة في « فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا » « عندما انتهى إلى هذه المثابة التي صاروا إليها، فهم جديرون بإسقاطهم من رتبة الخطاب احتقاراً لهم واستهانة بهم» (١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فخرج من الخطاب في « ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ » و« وَعَزَّتُمْ » مع ما فيه من مواجهة وتقريع واحتقار إلى الغيبة في « فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْئَلُونَ » لما فيها من التحقُّق بما سيصيبهم ويحلُّ بهم.

٤٠- قال -تعالى-: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

وَالْعَصِيَانَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ [الحجرات ٤٩: ٧].

بلاغياً:

التفات من الخطاب في قوله -تعالى-: « حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ » إلى الغيبة

في « أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ».

١ إعراب القرآن وبيانه ١٦٣/٩ .

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في «حَبَبَ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَانَ» الذي يفيد الخطاب الحضور والمواجهة إلى الغيبة في «أُولَئِكَ هُمُ
الرَّشِدُونَ» التي تفيد التَّحَقُّقَ.

٤١- قال -تعالى-: ﴿ أَكْفَارَكُمْ حَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ . أَمْ

يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ [القمر ٥٤: ٤٤].

قراءة العامة: «أَمْ يَقُولُونَ» على الغيبة.

وقرأ أبو حيوة، وأبو البرهسم، وموسى الإسوي: «أم تقولون» على الخطاب^(١).

بلاغياً:

الالتفات من الخطاب «أكفاركم» إلى الغيبة «يقولون» وكذا ما بعده
للغائب^(٢).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فخرج من الخطاب في «أكفاركم» بما
فيها من المواجهة والتعنيف، إلى الغيبة في «أم يقولون» على التَّحَقُّقِ من قولهم.

(١) البحر ١٨٣/٨ ، والدَرْ ١٤٤/١٠ ، ومعجم القراءات القرآنية ٤٠/٧ .

(٢) البحر ١٨٢/٨ .

وقد جاءت قراءة أبي حيوة متسقة متطابقة «أم تقولون» مع «أكفاركم» كأنه قيل: أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزُّبُر. أم تقولون نحن جميع منتصر.

٤٢- قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ بَحْرَىٰ مِنْ تَعْنِبًا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ٥٧: ١٢].

بلاغياً:

الالتفات من ضمير الخطاب في «بشراكم» إلى ضمير الغيبة في «خالدين».

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من الخطاب في «بشراكم» بما فيه من المباشرة والمواجهة والبشرى المفرحة إلى الغيبة في «خالدين فيها» مع ما فيها من التَّحْقُقِ ولأنها من الله -تعالى- وقال أبو حيَّان: «ولو جرى على الخطاب لكان التركيب خالداً أنتم فيها»^(١).

(١) البحر المحيط ٢٢١/٨، والتهر المآذ ٢٢١/٨.

٤٣- قال -تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا

قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ٥٩: ١٩].

- قرأ الجمهور «ولا تكونوا» بناء الخطاب.

- وقرأ أبو حيوة «ولا يكونوا» بياء الغيبة.

بلاغياً:

في قراءة أبي حيوة «ولا يكونوا» التقات من «اتقوا - واتقوا - تعملون» [الآية: ١٨] إلى الغيبة في «ولا يكونوا» [الآية: ١٩].

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة -في قراءة أبي حيوة- فخرج من الخطاب «اتقوا - واتقوا - تعملون» بما فيها من المواجهة والإرشاد والتعلیم إلى الغيبة في «ولا يكونوا» لما في الغيبة من تحقق من أن من نسي الله -سبحانه- فمصيره إلى ما يصير إليهذ الفاسقون.

الفصل الرَّابِع من الخطاب إلى التَّكَلُّم

لا يوجد في الكتاب الكريم شيء منه.

ومثل له بعضهم بقوله -تعالى-: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا
خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

يقول السيوطي: «ومثاله من الخطاب إلى التَّكَلُّم لم يقع في القرآن، ومثل
له بعضهم بقوله: «فاقض ما أنت قاضٍ» ثم قال: «إنا آمنة برينا»، وهذا المثال لا
يصح؛ لأنَّ شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً»^(١).

(١) معترك الأقران ٣٧٩/١ .

الفصل الخامس

من التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ

١- قال تعالى:- ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤٧-٤٨]

- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب، وابن محيصن، والبيهقي، وابن مجاهد: "وَلَا تُقْبَلُ" بالناء من فوق، فالتأنيث للفظ، وهو القياس والأكثر.
- وقرأ سفيان، وقتادة^(١) "وَلَا يَقْبَلُ" منها شفاعاً بفتح الياء ونصب شفاعاً على البناء للفاعل^(٢) (المبني للمعلوم).
- وقرأ الباقر "وَلَا يُقْبَلُ" بالياء من تحت، لأنه مؤنث مجازي، وحسنه الفصل بين الفعل ومرفوعه.

بلاغياً:

في قراءة سفيان وقتادة التفتات فقد خرجا من ضمير المتكلم في "نعمتي - أنعمت - وأني" في الآية الكريمة [٤٧] إلى ضمير الغائب "وَلَا يَقْبَلُ".

نحوياً:

(١) البحر المحيط ١/١٩٠، والكشاف ١/١٦٥، ومعجم القراءات القرآنية ١/٥٤.

(٢) البحر المحيط ١/١٩٠.

في قراءة سفيان، وقتادة "ولا يقبلُ منها شفاعَةٌ" بفتح الياء، ونصب شفاعَة على البناء للفاعل "المبني للمعلوم" والفاعل هو الله -تعالى- عدول عن المطابقة ففيها خروج من ضمير المتكلم في: "أذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ" الذي يفيد الحضور "ويسمى ضمير المتكلم والمخاطب - ضمير حضور- لأنَّ صاحبه لا بدَّ أن يكون حاضراً وقت النطق به"^(١) والمخاطبة والمواجهة إلى ضمير الغائب الذي يفيد التَّحَقُّق والتَّكْيِيد في قوله -تعالى-: "ولا يقبلُ منها شفاعَة". ولو جاء الكلام متطابقاً متسقاً لقال: "ولا أقبَلُ منها شفاعَة".

قال أبو حيان:

"وبناؤه للمفعول أبلغ لأنه في اللفظ أعم، وإن كان يعلم أنَّ الذي لا يقبل هو الله - تعالى- والضمير في منها عائد على نفس المتأخرة لأنها أقرب مذكور. أي: لا يقبل من النفس المستشفعة شفاعَة شافع.

ويجوز أن يعود الضمير على نفس الأولى. أي: ولا يقبل من النفس التي تجزي عن نفس شيئاً شفاعَة هي بصدد أن لو شفعت لم يقبل منها، وقد يظهر ترجيح عودها إلى النفس الأولى؛ لأنها هي المحدث عنها في قوله: "لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ"، والنفس الثانية هي مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة، وظاهر قوله: "وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ" نفي القبول ووجود الشفاعَة"^(٢).

(١) النحو الوافي ٢١٨/١.

(٢) البحر المحيط ١٩٠/١-١٩١.

وقال الزمخشري:

"وقيل: كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا، فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيح فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في "ولا يقبل منها" إلى أي النفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل (أي فدية) ومعنى "وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ" إن جاءت بشفاعة شفيح لم يقبل منها. ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى، على أنه لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها؛ كما لا تجزي عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها." (١)

ويعلق الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي على كلام الزمخشري فيقول: قال محمود - رحمه الله - "هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة... الخ؟" قال أحمد - رحمه الله - "أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها. وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة الله. ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين، وإنما ادخرت لهم. وليس في الآية دليل لمنكريها لأن قوله "يوماً" أخرجه منكرًا، ولا شك أن في القيامة مواطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة، وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها. منها قوله - تعالى - "فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" [المؤمنون: ٢٣: ١٠١] مع قوله: "وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ" [الصافات: ٣٧: ٢٧] فيتعيّن حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتتين متغايرتين:

(١) الكشاف ١/١٦٥

أحدهما محلٌّ للتساؤل، والآخر ليس محلًّا له، وكذلك الشفاعة، وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة، رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة".^(١)

٢- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقَوْمِ ۖ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ ۖ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ ۖ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۖ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ ۖ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة ٢: ٥٤]

بلاغياً:

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما الفرق بين الفاءات؟ قلت: الأولى: للتسبب لا غير، لأنَّ الظلم سبب التوبة، والثانية: للتعقيب؛ لأنَّ المعنى: فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم، من قبل أن الله -تعالى- جعل توبتهم قتل أنفسهم. ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى: فتوبوا، فأتبعوا التوبة القتل تنمّة لتوبتكم- والثالثة: متعلقة بمحذوف، ولا يخلو إمّا أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف، كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإمّا أن يكون خطاباً من الله -تعالى- لهم على طريقة الالتفات. فيكون التقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم"^(٢)

نحوياً:

(١) ترخص الكتاب العزيز في التضام، فحذف فعل الشرط، فكأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم.

(١) كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، مطبوع على هامش الكشاف ١/١٦٥.

(٢) الكشاف ١/١٦٨-١٦٩، والدّر المصون ١/٣٦٧.

(٢) عدل عن المطابقة فانقل من الخطاب من الله -تعالى- والخطاب يفيد الحضور والمواجهة وإظهار المنّ من الله -تعالى- إلى الغيبة التي تفيد التّحقّق والبشرى بالتّوبة، فكأنّه قال: فإن فعلتم ما أمركم به موسى -وقد فعلتم- فتاب عليكم بارئكم.

٣- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ^٤ وَسَزِيدْ^٥ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة ٢: ٥٨]

- ١- قرأ ابن عامر، ومجاهد، والمفضل، وجبله، والزّماري، وشريح: تُغْفَرُ. مبنياً للمفعول بالتاء.
- ٢- قرأ نافع، وأبو جعفر، والحسن، وقتادة والجحدري، وأبو حيوة: يُغْفَرُ. مبنياً للمفعول بالياء.
- ٣- قرأ نافع، وأبو بكر، والجعفي، والأعمش، والحسن: يَغْفِرُ، مبنياً للفاعل^(١) بالياء.
- ٤- قرأ الباقون: نَغْفِرُ. مبنياً للفاعل بالنون.

بلاغياً:

الالتفات في قراءة "يَغْفِرُ" بالياء، مع ما قبله من قوله -تعالى- "وإذا قلنا" ومع ما بعده في قوله -تعالى-: "وسنزيد المحسنين".

(١) معجم القراءات القرآنية ١/٥٩-٦٠.

نحوياً:

- ١- المطابقة واضحة في قراءة "تُغْفِرُ" بالنون، مع ما قبله من قوله -تعالى-: "وإذا قلنا" ومع ما بعده في قوله -تعالى-: "وسنزيد المحسنين".
- ٢- وقراءة التاء، "تُغْفِرُ"، لتأنيث الخطايا، والخطايا: نائب فاعل.
- ٣- وقراءة الياء، "يُغْفِرُ"، لتأنيث الخطايا؛ لأنَّ تأنيثها غير حقيقي، وللفصل أيضاً بـ"لكم".
- ٤- وعدل الكتاب العزيز في قراءة "يَغْفِرُ" مبنياً للفاعل، وهو الله -تعالى- عن المطابقة حيث خرج من ضمير المتكلم المعظم نفسه في "وإذا قلنا" مع ما يفيد من العظمة والحضور والمواجهة، إلى ضمير الغائب مع ما يفيد من التَّحَقُّق، وضمير "يَغْفِرُ" هو الله -تعالى-.

٤- قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
مُعْرِضُونَ ﴾ [البقرة ٢: ٨٣]

- ١- قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابن محيصة والحسن والأعمش "لا يعبدون" بالغيب.
- ٢- وقرأ الباقون "لا تعبدون" بالخطاب.
- ٣- وقرأ أبيُّ وابن مسعود "لا تعبدوا"
- ٤- وقرأ أبيُّ وابن مسعود "لا يعبدوا"

٥- وقرأ ابن مسعود "أن لا تعبدوا"^(١)

بلاغياً:

١- الالتفات في قراءة "لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ"، إذ خرج من ضمير المتكلم في "أخذنا" إلى الغيبة في "بني إسرائيل" لأن لفظه غيبة "وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال إذ فيه الإقبال من الله على المخاطب بالخطاب".^(٢)

٢- وفي "لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ" التفتت من التكلّم إلى الغيبة، وفي هذا الالتفات من الدلالة على عظم هذا الاسم والتفرد به ما ليس في المضمّر، وإيضاً الأسماء الواقعة ظاهرة تناسب أن يُجاورَ الظاهر الظاهر".^(٣)

نحوياً:

١- عدل عن المطابقة:

(أ) مَنْ قرأ بالتاء "تعبدون" فيه عدول؛ إذ خرج من التكلّم في "أخذنا" إلى الغيبة في "بني إسرائيل" لأن الأسماء الظاهرة حكمها حكم الغيبة^(٤). وفي ضمير التكلّم من الخطاب والمواجهة ما هو أدعى لقبول المخاطب الأمر والنهي الواردين عليه^(٥). وفي ضمير الغيبة ما فيه من التحقّق، وفي الاسم الظاهر ما فيه من تخصيص وتعريف.

(١) معجم القراءات القرآنية ٧٨/١-٧٩

(٢) البحر ٢٨٣/١، والنهر ٢٨٢/١.

(٣) الدر المصون ٤٦١/١.

(٤) الدر المصون ٤٥٨/١.

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

"ومن قرأ بالتَّاء بالخطاب حكاية لما خوطبوا به، وليناسب "قولوا للنَّاس" (١).

(ب) ومن قرأ بالياء "يعبدون" فقد راعى المطابقة، لأنَّ "بني إسرائيل" لفظه لفظ غيبة.

٢- وعُدل عن المطابقة أيضاً

(أ) إذ خرج من التَّكْم في "أخذنا" إلى الغيبة في "لا تعبدون إلا الله" إذ لفظ الجلالة -الله- لفظ غيبة.

(ب) "إلا الله" استثناء مفرَّغ لأنَّ ما قبله مفتقر إليه (٢).

(ج) لو جاء الكلام متطابقاً لقليل: "لا تعبدون إلا إيانا" لقوله -تعالى- "أخذنا".

والاسم الظَّاهر أعرف المعارف، وفي هذا العدول "من الدَّلالة على عظم هذا الاسم والتَّفرد به ما ليس في المضمَر، وأيضاً الأسماء الواقعة بعده ظاهرة فناسب أن يجاور الظَّاهر الظَّاهر" (٣).

قال السَّمين الحلبيُّ:

"وجعل أبو البقاء قراءة الخطاب في "لا تعبدون" على إضمار القول. قال: "يقرأ بالتَّاء على تقدير: قلنا لهم: "لا تعبدون إلا الله" (٤) وكونه التفاتاً أحسن.

وفي هذه الجملة المنفيَّة "لا تعبدون" من الإعراب ثمانية أوجه:

(١) إتحاف فضلاء البشر / ١٤٠.

(٢) الدرُّ المصون / ١ / ٤٦١.

(٣) الدرُّ المصون / ١ / ٤٦١.

(٤) التَّبيان / ١ / ٨٣-٨٤.

أظهرها: أنها مفسرة لأخذ الميثاق، وذلك أنه لما ذكر -تعالى- أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إيهام للميثاق ما هو؟ فأتى بهذه الجملة مفسرة له، ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.

الثاني: أنها في محل نصب على الحال من "بني إسرائيل" وفيها حينئذٍ وجهان، أحدهما: أنها حال مقدره بمعنى: أخذنا ميثاقهم مقدرين التوحيد أبداً ما عاشوا. والثاني: أنها حال مقارنة بمعنى: أخذنا ميثاقهم ملتزمين الإقامة على التوحيد، قاله أبو البقاء^(١). وسبقه إلى ذلك قطرب والمبرد.

الثالث: أن يكون جواباً لقسم محذوف دلّ عليه لفظ الميثاق، أي "استحلفناهم" أو؛ قلنا لهم: بالله لا تعبدون، ونسب هذا الوجه لسيبويه^(٢) ووافقه الكسائي والفراء^(٣) والمبرد.

الرابع: أن يكون على تقدير حذف حرف الجر، وحذف أن، والتقدير: أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا، أو: بأن لا تعبدوا، فحذف حرف الجر، لأن حذفه مطرد مع أن وأن، ثم حذف "أن" الناصبة فارتفع الفعل بعدها، ونظيره قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوعى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وحكوا عن العرب: "مره يحقرها" أي: بأن يحقرها، والتقدير: عن أن أحضر، وبأن يحقرها. وأيد الزمخشري^(١) هذا الوجه الرابع بقراءة عبد الله: "لا تعبدوا" على النهي.

(١) التبيان ١/٨٣-٨٤

(٢) الكتاب ٣/١٠٦

(٣) معاني القرآن ١/٥٤

الخامس: أن يكون في محل نصب بالقول المحذوف، وذلك القول حال تقديره: قائلين لهم لا تعبدون إلا الله، ويكون خبراً في معنى النهي، ويؤيده قراءة أبيّ المتقدّمة، وبهذا يتضح عطف "وقولوا" عليه، وبه قال الفراء. (٢)

السادس: أن "أن" الناصبة مضمرة كما تقدم، ولكنها هي وما في حيزها في محل نصب على أنها بدل من "ميثاق" وهذا قريب من القول الأول من حيث أن هذه الجملة مفسّرة للميثاق.

السابع: أن يكون منصوباً بقول محذوف، وذلك القول ليس حالاً، بل مجرد إخبار، والتقدير: وقلنا لهم ذلك، ويكون خبراً في معنى النهي. قال الزمخشري^(٣) كما تقول: تذهبُ إلى فلان تقولُ له كذا، تريدُ الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سُورِع إلى الامتثال والانتهاه فهو يخبر عنه، وتنصُرُه قراءة أبيّ وعبد الله: "لا تعبدوا" ولا بدُّ من إرادة القول، انتهى، وهو كلامٌ حسنٌ جداً.

الثامن: أن يكون التّقدير: "أن لا تعبدون"، وهي "أن" المفسّرة لأنّ في قوله: "أخذنا ميثاق بني اسرائيل" إيهاماً كما تقدّم، وفيه معنى القول، ثم حذفت "أن" المفسّرة، ذكره الزمخشري^(٤). (٥)

(١) الكشاف ١/١٨٦

(٢) معاني القرآن ١/١٢٦

(٣) الكشاف ١/١٨٦

(٤) الكشاف ١/١٨٦

(٥) الدر المصون ١/٤٥٨-٤٦١

٥- قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ [البقرة ٢: ١٥٩]

بلاغياً:

الالتفات من التكلّم في "أنزلنا" و"بيناه" إلى الغيبة في "يلعنهم الله"، للدلالة على إظهار السّخط عليهم، وليكون الكلام أوغل في إنزال اللّعن عليهم وإلحاق الطرد بهم. (١)

نحوياً:

المطابقة تقتضي "نلعنهم" لقوله: "أنزلنا" و"بيناه" ولكنه عدل عن المطابقة فخرج من المتكلّم المعظم نفسه في أنزلنا " و"بيننا"، مما يفيد التكلّم من المواجهة والحضور إلى الغيبة في "يلعنهم الله" التي تفيد التحقّق، وفي إظهار الإسم الشّريف "الله" ما ليس في الضمير. لأنّ الأعلام أشهر المعارف.

٦- قال -تعالى-: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة ٢: ١٧٢]

بلاغياً:

الالتفات من ضمير المتكلّم إلى الغيبة لعظم الاهتمام به سبحانه.

(١) إعراب القرآن وبيانه ١/٢٢٠-٢٢١

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة، فلو جاء الكلام متطابقاً لقليل: واشكروا لنا، فانقل من التَّكْمُ في "رزقناكم" مع في الخطاب من المواجهة والمكاشفة وإظهار فضل المتكلم على المخاطب، ومع ما في "نا" العظمة من دلالة على التَّجِيل والاحترام والتَّفَضُّل إلى الغيبة "واشكروا الله" مع ما فيها من وجوب التَّحَقُّق، وما في إبراز لفظ الجلالة "الله" من الفخامة والإجلال، وما في الأعلام من الشُّهرة، لأنَّ الأعلام أشهر المعارف، وفيها ما ليس في الضمير.

٧- قال تعالى:- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ [آل عمران ٥٥-٥٧]

- قرأ حفص عن عاصم، ورويس "فيوفِّيهم" بالياء.
- وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف "فَنُوَفِّيهِمْ" بالنون. (١)

(١) معجم القراءات القرآنية ٣٧/٢-٣٨

بلاغياً:

الانفتاح على قراءة حفص ورويس، ففيه الخروج من ضمير المنكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع في الفصاحة. (١)

نحوياً:

- قراءة حفص عن عاصم ورويس فيها عدول، إذ خرج من التَّكَلَّمَ "إني ورجاعل- إلى- إلى- فاحكم- فأعذبهم" إلى الغيبة في "فيوفئهم" لما في التَّكَلَّمَ من المواجهة والمصارحة وإظهار الفضل إلى الغيبة لما فيها من التَّحَقُّق.

- قراءة الباقيين جاءت متطابقة في ضمائر التَّكَلَّمَ السابقة إلى ضمير التَّكَلَّمَ المعظم نفسه لما فيه من الفخامة والعظمة والقدرة يقول السمين " ولكن جاء هناك بالمتكلم وحده، وهنا بالمتكلم وحده المعظم نفسه اعتناء بالمؤمنين ورفعاً من شأنهم لما كانوا معظمين عنده. (٢)

وأقول: جاء هناك بضمير التَّكَلَّمَ وحده، ليدل على وحدانيته في الخلق والوفاة والتطهير والرجوع بعد الموت، والحكم الفصل، وعذاب الكافرين، وجاء هنا "فنفئهم" مع المؤمنين العاملين الصالحات، الذين يعظّمونه ويوقّرونه ويؤمنون به ويعملون بما أمر ونهى، جاء بنون العظمة للدلالة على عظّمته ومخاطبتهم بالتعظيم لتناسب الحال الحال.

(١) البحر ٤٧٥/٢

(٢) الدرر ٢١٦/٣.

٨- قال -تعالى-: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء ٤ : ٦٤]

بلاغياً:

"في قوله -تعالى- "بإذن الله" النفات، وهو الخروج من ضمير المتكلم في "أرسلنا" إلى الاسم الغائب." (١)

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فخرج من ضمير العظمة في "أرسلنا" الدال على التكلم، وما فيه من مواجهة، إلى الغيبة في "بإذن الله" وفيه عدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر لما فيه من العظمة والفخامة، والاسم الظاهر حكمه حكم الغيبة، والغيبة وما فيها من التحقُّق. (٢)

٩- قال -تعالى-: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۗ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف ١٢ : ٥٦]

- قرأ ابن كثير، ونافع، والحسن، والشنوبذي، وأبو جعفر، وشيبة: "حيث نشاء" بالنون.
- وقرأ الباقون: "حيث يشاء" بالياء.

(١) النهر الماد ٢/٢٨٢-٢٨٣

(٢) راجع رقم (١٢) من الخطاب إلى الغيبة

بلاغياً:

في قراءة "حيث يشاء" بالياء التفات، ففيه خروج من التَّكَلَّمَ بِـ "تأ" العظمة في "مكناً" إلى الغيبة في "يشاء" إن كان الضَّمير عائداً على الله. أي: حيث يشاء الله. فيكون التفاتاً. (١)

نحوياً:

قراءة الجمهور بالياء "حيث يشاء"

١- الظاهر أنَّ قراءة الياء يكون فاعل يشاء ضميراً يعود على يوسف ومشيبته معذوقة^(٢) بمشيئة الله إذ هو نبيُّه ورسوله.

٢- وإما أن يكون الضَّمير عائداً على الله، أي: حيث يشاء الله. (٣)

في قراءة الياء "حيث يشاء" يعود الضَّمير على الله عدول، إذا خرج من التَّكَلَّمَ في "مكناً" بنون العظمة ومواجهة المخاطبين وإظهار القدرة لله -تعالى- إلى الغيبة في "حيث يشاء" لما فيها (الغيبة) من التَّحَقُّق حيث لا يتمُّ أمر إلا بمشيئة الله -تعالى-.

(١) البحر ٣٢٠/٥

(٢) مختصة.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

١٠- قال -تعالى-: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهْبُونَ ﴿٥١﴾ وَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل : ١٦ : ٥١-٥٢]

بلاغياً:

- ١- الالتفات من الغيبة في قوله -تعالى-: "وقال الله" إلى التَّكَلُّم في قوله -تعالى-: "فإيَّاي".^(١)
- ٢- الالتفات من التَّكَلُّم في "فإيَّاي" إلى ضمير الغيبة في "وله ما في السموات والأرض"

نحوياً:

في العدول من التَّكَلُّم في "فإيَّاي" الذي يفيد الحضور والمواجهة، وما فيها من رهبة، إلى الغيبة وما فيها من تحقُّق لا مرأى فيه ولا جدال.

"قوله: "فإيَّاي" منصوب بفعل مضمر مقدر بعده، يُفسِّره هذا الظاهر، أي: إيَّاي ارهبوا فارهبون، وقدَّر ابن عطية: ارهبوا إيَّاي فارهبون. قال الشيخ^(٢): وهو ذهول عن القاعدة النحويَّة: وهي أنَّ المفعول إذا كان ضميراً منفصلاً، والفعل متعدياً لواحد وجب تأخير الفعل نحو: "إيَّاكَ نَعْبُدُ"^(٣) ولا يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة كقوله:

"إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ"

(١) راجع الالتفات من الغيبة إلى التَّكَلُّم؛ رقم (١٤)

(٢) أبو حيَّان صاحب البحر المحيط

(٣) الفاتحة ١ : ٥

وقد يجاب عن ابن عطية: بأنه لا يقبح في الأمور التقديرية ما يقبح في الأمور اللفظية. (١)

١١- قال -تعالى-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١٧: ١]

- قرأ الحسن "لِيرِيَهُ" بالياء.
- وقرأ العامة بنون العظمة "لنرِيَهُ"
- وفي قراءة للحسن بفتح النون "لنريه" ولعله يعني فتح النون والراء. (٢)

بلاغياً:

الالتفات من المتكلم في "باركنا" و"لنرِيَهُ" إلى الغيبة "إنه هو" إن أعدنا الضمير على الله -تعالى- وهو الصحيح.

وفي قراءة الحسن "لِيرِيَهُ" بالياء من تحت، أي: "الله -تعالى-".

- أ- الالتفات من التكلم في "باركنا" إلى الغيبة في "لِيرِيَهُ".
- ب- الالتفات من التكلم في "في آياتنا" إلى الغيبة في قوله "إنه هو".

(١) الدر المصون ٢٣٦/٤

(٢) مختصر شواذ القراءات ٧٨، ومعجم القراءات القرآنية ٣/٢٠٥.

نحوياً:

عدل عن المطابقة فخرج من ضمير المتكلم المعظم نفسه في "باركنا" و"لِئْرِيه" مع ما فيه من مواجهة وإبراز حقيقة، إلى الغائب في "إنَّه هو" مع ما فيه من تحقُّق. ولو جاء متطابقاً لقل "إنَّني أنا".

وفي قراءة الحسن "لِئْرِيه" بالياء من تحت. أي: الله -تعالى-.

أ- عدل عن المطابقة فخرج الكتاب العزيز من التَّكلم في "باركنا" إلى الغيبة في "لِئْرِيه".

ب- عدل عن المطابقة فخرج الكتاب العزيز من التَّكلم "في آياتنا" إلى الغيبة في قوله "إنَّه هو".^(١)

١٢- قال -تعالى-: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ^ط

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنبياء ٢١ : ٨٠]

- قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وخلف، ويعقوب "لِيُحْصِنَكُمْ" بالياء من تحت.

- وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وشعبة، ورويس، وأبو حنيفة، والجعفي، ومسعود بن صالح، وهارون، ويونس، والمنقري، وشيبة، وابن أبي اسحاق، والمفضل: "لِيُحْصِنَكُمْ" بالنون.

- وقرأ الباقر: "لِيُحْصِنَكُمْ" بقاء.

- وقرأ أبو عمرو، والفقيمي، وشعبة، وابن أبي حماد "لِيُحْصِنَكُمْ"

(١) راجع من الغيبة إلى التَّكلم رقم (١٦).

- وقرأ ابن وثَّاب، والأعمش "لِتُحَصِّنَكُم"
- وقرئ "لِنُحَصِّنَكُم" (١)

بلاغياً:

الالتفات في قراءة "لِيُحَصِّنَكُم" بياء الغيبة، إذ خرج من ضمير المتكلم في "وَعَلَّمَنَاهُ" إلى ضمير الغيبة في "لِيُحَصِّنَكُم"

نحوياً:

- في قراءة: "لِنُحَصِّنَكُم" النون لله -عزَّ وجلَّ-.
- وفي قراءة: "لِتُحَصِّنَكُم" التاء، للصنعة أو لللبوس على تأويل الدرِّع.
- وفي قراءة: "لِيُحَصِّنَكُم" الياء لداود أو لللبوس. (٢) أو الله -تعالى-.

في قراءة "لِيُحَصِّنَكُم" بالياء من تحت، الفاعل الله -تعالى- وفيه عدول، إذ خرج من المتكلم في قوله "وَعَلَّمَنَاهُ" وما فيه من مواجهة ومِنَّة إلى الغيبة في "لِيُحَصِّنَكُم" وما فيه من التَّحَقُّق في علم الله - سبحانه وتعالى- - "أو داود أو التَّعْلِيم أو اللُّبُوس". (٣)

وفي قراءة التَّاء من فوق "لِتُحَصِّنَكُم" الفاعل الصنعة أو الدرِّع وهي مؤنثة، أو اللُّبُوس، لأنها يراد بها ما يُلبَسُ، وهو الدرِّع.

وفي قراءة النون "لِنُحَصِّنَكُم" مطابقة مع "عَلَّمَنَاهُ".

(١) معجم القراءات القرآنية ٤/١٤٤-١٤٥

(٢) الكشاف ٣/١٣٠، والبحر ٦/٣٣٢

(٣) الدر المصون ٨/١٨٧

وفي قراءات تشديد الصاد فالفاعل كسابقاتها غير المشددة الصاد.

١٣- قال تعالى:- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ

ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [الفرقان ٢٥ : ١٧]

• قرأ ابن عامر، وابو عمرو، وحمزة، والكسائي، ونافع، وعاصم، والشنوبذي، وطلحة، والحسن، وشعبة، وخلف. "تَحْشُرُهُمْ". "فَنَقُولُ" بالنون جميعاً.

• وقرأ: ابن كثير، وحفص بن عاصم: "يَحْشُرُهُمْ". "فَيَقُولُ" بالياء فيهما جميعاً.

• وقرأ: نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر: "تَحْشُرُهُمْ" بالنون "فَيَقُولُ" بالياء. (١)

بلاغياً:

الانفتاح في قراءة "تَحْشُرُهُمْ" بالنون، "فَيَقُولُ" بالياء حيث انتقل من النكلم إلى الغيبة.

نحوياً:

* قراءة "تَحْشُرُهُمْ" بالنون، "فَنَقُولُ" بالنون، فيها اتساق، ومطابقة.

* وكذلك قراءة "يَحْشُرُهُمْ" بالياء، "فَيَقُولُ" بالياء، فيها اتساق، ومطابقة.

(١) أتحاف ٣٢٨، والبحر ٤٨٧/٦، والتيسير ١٦٣، والحجة ٢٦٥، وحجة ٥٠٨، والسبعة ٤٦٣، والكشاف ٨٤/٣، والمحتسب ١١٩/٢، والنشر ٣٣٣/٢.

* في قراءة "تَحْشُرُهُمْ" بالنون، "فَيَقُولُ" بالياء، عدول عن المطابقة، حيث انتقل من التَّكْلُم بنون العظمة ولفظ الجمع المتكلم، التي تفيد العظمة والحضور، إلى الغيبة التي تفيد التَّحَقُّق.

١٤- قال -تعالى-: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمَر ٣٩: ٥٣]

بلاغياً:

الالتفات من التَّكْلُم "يا عبادي" إلى الغيبة "من رحمة الله" وإضافة الرَّحْمَةِ إلى الله -تعالى- - التفات من ضمير التَّكْلُم إلى الاسم الغائب لأنَّ في إضافتها إليه سعة للرَّحْمَةِ إذا أُضيفت إلى الله الذي هو أعظم الأسماء؛ لأنَّه العَلَمُ المحتوي على معاني جميع الأسماء ثم أعاد الاسم الأعظم وأكَّد الجملة بإنَّ مبالغاً في الوعد بالغفران. (١)

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة إذا انتقل من التَّكْلُم في "يا عبادي" مع ما فيه من الإقبال عليهم والنداء، إلى الغيبة في قوله: "من رحمة الله" لما فيها من التَّحَقُّق والتَّوَكُّيد وإبراز الاسم الظَّاهر لفظ الجلالة "الله" والاسم "العَلَمُ" أخصُّ المعارف وفيه ما فيه من العظمة والرَّحْمَةِ، ما ليس في الضَّمِير، لو قيل "من رحمتي" ليطابق "عبادي" أو "من رحمته".

(١) البحر ٤٣٤/٧.

قال السَّمِينُ الحَلْبِيُّ:

"قوله: (قُلْ يَعْبادِي) قيل في هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء

حسنة، منها:

إقباله عليهم ونداؤهم، ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها:
الالتفات من التَّكَلُّم إلى الغيبة في قوله: "مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ"، ومنها "إضافة الرَّحْمَةِ
لأجل اسمائه الحسنی، ومنها: إعادة الظَّاهر بلفظه في قوله: "إِنَّ اللَّهَ"، ومنها:
إبراز الجملة من قوله: "إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" مؤكدة بـ "إِنَّ" وبالفصل،
وبإعادة الصَّفَتَيْن اللَّتَيْنِ تَضَمَّنْتَهُمَا الآية السابقة." (١)

١٥- قال -تعالى-: ﴿ حَم ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
مُبْرَكَةٍ ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا ﴿ إِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ﴿
[الدُّخان: ٤٤-١-٦]

- قرأ الجماعة: يُفْرَقُ كُلُّ... حَكِيمٍ.
- وقرأ الحسن، والأعرج، والأعمش، يُفْرَقُ كُلُّ
- وقرأ زيد بن علي: نَفْرُقُ كُلُّ. وَيَفْرِقُ كُلُّ... أَمْراً حَكِيمٍ.
- وقرأ الحسن، والأعمش، وزائدة: يُفْرَقُ كُلُّ

(١) الدرر المصون ٤٣٣/٩-٤٣٤.

- وقرئ: يَفْرُقُ كُلَّ (١).

بلاغياً:

- في قراءة: يَفْرُقُ كُلَّ "التفات من التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ.
- "من ربك" التفتات من التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ.

نحوياً:

- في قراءة "يَفْرُقُ كُلَّ" عدول عن المطابقة إذ انتقل الكتاب العزيز من التَّكَلُّمِ بضمير العظمة -إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ- إِنَّا كُنَّا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا- إِلَى الْغَيْبَةِ في قوله: "يَفْرُقُ كُلَّ" وما فيه من تحقُّق.

- وفي قوله: "من ربك" عدول عن المطابقة ففيه خروج من التَّكَلُّمِ في "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ-إِنَّا كُنَّا- من عندنا إِنَّا كُنَّا- وما في "نا" من العظمة، إِلَى الْغَيْبَةِ في قوله: "من ربك" لَأَنَّ حَكْمَ الْأَسْمِ الظَّاهِرِ حَكْمَ الْغَائِبِ. وما فيه من إيذان بأن الرُّبُوبِيَّةَ تَقْتَضِي الرَّحْمَةَ على المرئيين. ولو جاء متطابقاً مع ما قبله مما تقدم لقال: رحمة منا.

١٦- قَالَ -تعالى-: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

مِن ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴿

[الفتح ٤٨ : ١-٢]

بلاغياً:

الالتفات من التَّكَلُّمِ في قوله -تعالى-: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ" إِلَى الْغَيْبَةِ في

قوله -تعالى-: "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ".

(١) معجم القراءات القرآنية ١٣٥/٦.

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة؛ فانقل من التكلم في قوله -تعالى- "إِنَّا
فَتَحْنَا لَكَ" إلى الغيبة في قوله -تعالى-: "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ". ولو جاء الكلام على
أصل المطابقة والاتساق؛ لقال: لنغفر لك.

"ووجهه أن يفهم السّامع أنّ هذا نمط المتكلم وقصده من السّامع، حضر
أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبيدي في الغيبة خلاف ما
يبيديه في الحضور." (١)

والوجه فيه أنّ المتكلم عند مواجهته للسّامع مواجهة حضور يكون ذلك
أبلغ ففي المواجهة مباشرة وطمأنينة، وإخبار، وعند انتقاله إلى الغيبة أفاد التّحقّق
والإطمئنان وراحة النفس.

١٧- قال -تعالى-: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ ۗ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۗ ﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿ ﴾ [الكوثر ١٠٨: ١-٣]

بلاغياً:

الانفتاح من ضمير المتكلم "أعطيناك" إلى الغائب في قوله: "لربك".

(١) معترك الأقران ١/٣٧٩

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من إسناد الفعل للمتكلّم المعظّم
نفسه "أعطيناك" بصيغة الماضي تحقيقاً لوقوعه. إلى الغيبة "لربّك" ولو جاء
متطابقاً لقال: فصلّ لنا.

وانتقاله إلى، قوله: "ربّك" ففي الإتيان بهذه الصّفة دون سائر صفاته
الحسنى دلالة على أنّه هو المصلح له المرّبّي لنعمه فلا تلتبس كل خير إلا
منه. (١)

(١) الدرّ المصون ١١/١٢٩

الفصل السادس

من التكلم إلى الخطاب

١- قال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَاهُ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۗ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦ : ٧١-٧٢]

بلاغياً:

الانتفات من التكلم في قوله - تعالى - : "وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ" إلى الخطاب في قوله تعالى : "وَأَنْ أَقِيمُوا".

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من التكلم في قوله - تعالى - : "وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" مع ما في التكلم من الإقبال على السامع وحثه وبعثه على الاستماع وما تفيدته المواجهة من إعطاء المخاطب (السامع) فضل عناية وتخصيص بالمواجهة، إلى الخطاب في قوله - تعالى - : "وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ" من مواجهة وعناية. ولو جاء الكلام متساقاً لقال: لنسلم وأن نقيم؛ فتأتي في الفعل الثاني بضمير المنكلم. أو: قيل لنا: أسلموا وأن أقيموا.

"فإن قلت: ما محل "أمرنا"؟ قلت: النصب عطفاً على محل قوله: "إن هدى الله هو الهدى" على أنهما مقولان؛ كأنه قيل: قل هذا القول، وقل أمرنا لنسلم. فإن قلت: ما معني اللام في "لنسلم"؟ قلت: هي تعليل للأمر؛ بمعنى: أمرنا، وقيل لنا: أسلموا لأجل أن نسلم، فإن قلت: فإذا كان هذا وارداً في شأن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فكيف قيل للرَسُول - عليه الصلاة والسلام - "قل أندعو؟" قلت: للاتحاد الذي كان بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، خصوصاً بينه وبين الصديق أبي بكر - رضي الله تعالى عنه.

فإن قلت: علام عطف قوله: "وأن أقيموا ... قلت: على موضع "لنسلم" كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم، وأن أقيموا. أي: للإسلام وإقامة الصلاة"^(١).

"والعرب تقول: أمرتك لتذهب، وأن تذهب. فإن في موضع نصب بالرد على الأمر"^(٢).

٢- قال - تعالى - : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٣٦: ٢٢].

بلاغياً:

الالتفات في قوله: "وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي" وفائدته: "في قوله: "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" [يس: ٣٦: ٢١] دليل على نقص من يأخذ أجراً على شيء من أفعال الشرع التي هي لازمة له كالصلاة، ولماً

(١) الكشاف ٣٦/٢-٣٧، والمحرر ٨١/٦-٨٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٥٦/١، والبحر ١٥٦/٤ و ١٥٨. والدر المصون ٦٨٦/٤-٦٩٠.
(٢) معاني القرآن ٣٣٩/١.

أمرهم باتباع المرسلين في قوله: **قَالَ يَنْقُومِ آتِبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** ﴿٢٠﴾ [يس: ٣٦: ٢٠] أخذ بيدي الدليل في اتباعهم وعبادة الله فأبرزه في صورة نصحه لنفسه وهو يريد نصحهم لينلطّف بهم ويُداريهم، ولأنّه أدخل في إمحاض النصّح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه. ثم أتبع الكلام كذلك مخاطباً لنفسه فقال: **"ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً"** [يس: ٣٦: ٢٣] قاصرةً عن كل شيء لا تنفع ولا تضر فإن أرادكم الله بضرٍ وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يقدرُوا على إنقاذكم، فبدأ أولاً بانتفاء الجاه من كون شفاعتهم لا تنفع، ثم ثانياً: بانتفاء القدرة، فعبر بانتفاء الإنقاذ عنه إذ هو نتيجة^(١).

نحوياً:

المطابقة تقتضي: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون" أو: وما لي لا أعبد الذي فطرنى وإليه أرجع. وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: **"إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ** ﴿٢٥﴾" [يس: ٣٦: ٢٥] ولكنه عدل عن المطابقة فانقل من التكلّم الذي يعني الحضور ومواجهة المتحدّث إليه ومحاولة إقناعه وترغيبه وترهيبه؛ إلى الخطاب في قوله: **"وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"** الذي يعني الحضور وجهاً لوجه مع المتكلّم المتحدّث وما فيه من إصغاء وتنبّه وتفكير "ووجهه حتّى السّامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلّم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة"^(٢).

(١) البحر المحيط ٣٢٨/٧-٣٢٩، والنهر المادّ ٣٢٦/٧، والمثل السائر ٧/٢، والكشاف ١٢/١-١٣، وإعراب القرآن وبيانه ١٩٠/٨.
(٢) معترك الأقران ٣٧٨/١.

٣- قال - تعالى - : ﴿ حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ
 ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الدُّخَانُ ٤٤ : ١-٦].

بلاغياً:

يقول ابن الأثير:

"وعلى هذا الأسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد؛ كقوله - تعالى - : ﴿ حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الدُّخَانُ ٤٤ : ١-٦]. والفائدة ههنا في الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد تخصيص النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالذكر، والإشارة بأنَّ إنزال الكتاب إنما هو إليه، وإن لم يكن ذلك صريحاً، لكنَّ مفهوم الكلام يدلُّ عليه"^(١).

نحوياً:

عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانقل من التَّكْلُم "إِنَّا - أَنْزَلْنَاهُ - إِنَّا كُنَّا - عِنْدَنَا - إِنَّا كُنَّا - إِلَى الْخَطَابِ لِلرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "رَبِّكَ" بما في الخطاب من مواجهة وتخصيص"^(٢).

(١) المثل السائر ٧/٢.

(٢) راجع من التَّكْلُم إلى الغيبة رقم (١٥).

الفصل السَّابع

الالتفات في البنية

١- قال - تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر ٣٥: ٩].

الالتفات في الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي، فقد قال: "فَتَثِيرُ" مستقبلاً، وما قبله "أَرْسَلَ" ماضٍ، وما بعده "فَسُقِنَاهُ - فَأَحْيَيْنَا" ماضٍ. دلالة على التَّحْقُقِ، وكمال القدرة والحكمة، وما لـ "تَا" من العظمة. "وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية؛ كحال تسنغرب أو تهَمَّ المخاطب وغير ذلك" (١).

من حديث الزبير بن العوام في غزوة بدر، فإنه قال: لقيت عبيدة بن سعد بن العاص وهو على فرس، وعليه لامة كاملة لا يرى منه إلا عيناه، وهو يقول: "أنا أبو ذات الكؤوس، وفي يدي عَنَزَةٌ (٢)، فأطعن بها في عينه، فوقع، وأطأ برجلي على خدّه حتى خرجت العَنَزَةُ متعقفةً.

الالتفات: قال أولاً: "لقيت عبيدة" بلفظ الماضي، ثم عدل بعد ذلك إلى التَّكَلُّمِ فقال: "فأطعن بها في عينه"، ولو أراد الكلام متساقاً متطابقاً؛ لقال: فطعنت بها في عينه.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٣١/٨.
 (٢) العَنَزَةُ: أطول من العصا، وأقصر من الرَّمْحِ؛ في أسفلها رُجٌّ كَرُجُ الرَّمْحِ يتوكأ عليها الشيخ الكبير. (ج) عَنَزٌ، وعَنَزَاتٌ.

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خلاصة البحث

١- عدّ جُلّ البلاغيين الالتفات من علم البديع، وهذا يعني أنه تزيين أسلوبِيّ، وعدّه السّكّايّ من علم المعاني، وهو في رأيي أقرب إلى حقيقة الالتفات؛ لأنّ علم المعاني ألصق بالنحو.

٢- إنّ الالتفات - حسب رأي البلاغيين - يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التّكلم، وهذا حسب فهمي لمفهومهم أسلوب من أساليب القول، ولذلك قالوا: "إنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك:

- أحسن تطرية لنشاط السّامع،

- وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد،

- وقد تختصّ مواقعه بفوائد.

أرى أنّ هذا فيه شيء من الحيف للسّامع، لأنّ الأصل في السّامع أن يكون مقبلاً على محدّثه أحسن إقبال، وأن يصغي إليه خير إصغاء؛ ليحقّق مهارة الاتصال التي هي أصل الفهم الصّحيح الواعي. وأما قولهم: "وقد تختصّ مواقعه بفوائد." مع ما في "قد" من إفادة التّقليل والشكّ، إلّا أنّي أقول: إنّ صاحب القول بعدوله قصد عامداً متعمّداً قصداً ما، وغايةً بعينها.

٣- إنّ اتّساق الكلام وتطابقه قد يُسرّع في فهم المعنى، فهو ليس بحاجة إلى إعمال فكر، وإطالة نظر، ولذا فقد يفهم السّامع المعنى بسرعة، ولكن إذا خرج المتكلّم من الاتّساق والمطابقة وبخاصة مخاطبة الشّخص الواحد - وهذا سرُّ العدول - مرّة بالغيبة التي معناها النّحويّ التّحقّق، إلى المخاطبة وما فيها من حضور ومواجهة وتشريف، أو ما فيها من مواجهة وتوبيخ، إلى التّكلم وما فيه

من مواجهة وحضور وتعظيم، فهذه المعاني النحوية تُسبَل على المعنى معنى مقصوداً ومراداً.

٤- ولذا فإنني أرى أن الالتفات نحويّاً: هو عدولٌ عن المطابقة عدولاً قصد به صاحبه مقصداً ما، واعياً ما يريد أن يوصله إلى السّامع، وأنه يضيف معنى جديداً لم يكن ليتحقّق لو جاء الكلام متّسقاً ومتطابقاً.

٥- الالتفات نوعٌ من أنواع الإعجاز القرآنيّ، فيما يخص الآيات نحويّاً؛ لأنّه يظهر جليّاً في تركيب الجمل؛ والعلاقة بين أجزائها نحويّاً.

٦- إنّ دراسة الالتفات تساعد على فهمٍ سليمٍ للقرآن الكريم، وإفهامه.

٧- إنّ فهم معاني النّحو والمطابقة بين الجمل، والعدول عنها يساعد على اكتشاف أسرار نظم القرآن الكريم، وإدراك لجمال أسلوبه.

الكشافات

الكشاف الأول

العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه، والآيات، والسور التي ورد فيها.

الكشاف الثاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم.

الكشاف الثالث

الشواهد القرآنية

الكشاف الرابع

المصادر والمراجع

رَفَع
عبد الرحمن العجّري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الكشاف الأول

العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه
 والآيات والسور التي ورد فيها

من الغيبة إلى الخطاب

رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
١	الفتاحة - ١-	٥-١	٥١	٢٣	الإسراء-١٧-	٦٣	١٠٠
٢	البقرة - ٢-	٢١-١	٦٥	٢٤	الكهف-١٨-	١١٠	١٠١
٣	البقرة - ٢-	٨٣	٦٨	٢٥	مريم-١٩-	٧١	١٠٢
٤	البقرة - ٢-	٨٥	٧٤	٢٦	مريم-١٩-	٨٩-٨٨	١٠٣
٥	البقرة - ٢-	٩٦	٧٦	٢٧	النور-٢٤-	١٠	١٠٤
٦	البقرة - ٢-	١٤٤	٧٧	٢٨	النور-٢٤-	٢٢	١٠٥
٧	أل عمران-٣-	٢٨	٧٩	٢٩	الفرقان-٢٥-	٦٩-٦٨	١٠٦
٨	أل عمران-٣-	٨١	٨٠	٣٠	الشعراء-٢٦-	١١-١٠	١٠٦
٩	أل عمران-٣-	٨٣-٨٢	٨١	٣١	الأحزاب-٣٣-	٥٠	١٠٧
١٠	أل عمران-٣-	١١٥	٨٢	٣٢	سبا -٣٤-	٣٧-٣٤	١١٠
١١	أل عمران-٣-	١٨٠	٨٤	٣٣	الصافات-٣٧-	٣٨-٣٦	١١١
١٢	أل عمران-٣-	١٨٧	٨٦	٣٤	عافر-٤٠-	٢١	١١٢
١٣	النساء-٤-	٧٧	٨٧	٣٥	الزخرف-٤٣-	٧١	١١٣
١٤	النساء-٤-	١٠٧- ١٠٩-١٠٨	٨٩	٣٦	الزخرف-٤٣-	٧٢	١١٣
١٥	المائدة-٥-	٥٠	٨٩	٣٧	محمد-صلى الله عليه وسلم -٤٧-	٢٢-٢١	١١٤
١٦	الأنعام-٦-	٦	٩٠	٣٨	الطلاق-٦٥-	١	١١٥
١٧	الأعراف-٧-	١٤٥	٩٢	٣٩	التحریم-٦٦-	٤	١١٧
١٨	الأعراف-٧-	١٦٩	٩٣	٤٠	الإنسان-٧٦-	٢٢-٢١	١١٨
١٩	الأفقال-٨-	١٤	٩٤	٤١	التين-٩٥-	٧-٤	١١٨
٢٠	التوبة-٩-	١١١	٩٥	٤٢	التين-٩٥-	٧	١١٩
٢١	يونس-١٠-	٢١	٩٦	٤٣	العلق-٩٦-	٨-٦	١٢١
٢٢	هود-١١-	٢٨	٩٧				

من الغيبة إلى التكلم

رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
١	آل عمران-٣-	٤٤-٤٨	١٢٢				
٢	آل عمران-٣-	٨١	١٢٦				
٣	آل عمران-٣-	١٤٩- ١٥١	١٢٦				
٤	آل عمران-٣-	١٩٥	١٢٧				
٥	النساء-٤-	١١٤	١٢٩				
٦	النساء-٤-	١٥٢	١٣٠				
٧	النساء-٤-	١٦٢	١٣١				
٨	الأنعام-٦-	٣٤	١٣٢				
٩	الأنعام-٦-	٩٩	١٣٢				
١٠	الأعراف-٧-	٥٧	١٣٣				
١١	الأعراف-٧-	١٨٦	١٣٤				
١٢	يونس-١٠-	٥	١٣٥				
١٣	النحل-١٦-	٢-١	١٣٦				
١٤	النحل-١٦-	٥١	١٣٧				
١٥	النحل-١٦-	٩٦	١٣٨				
١٦	الإسراء-١٧-	١	١٣٩				
١٧	طه-٢٠-	٥٣	١٤٢				
١٨	النمل-٢٧-	٦٠	١٤٤				
١٩	العنكبوت-٢٩-	٢٣	١٤٥				
٢٠	فاطر-٣٥-	٩	١٤٦				
٢١	فاطر-٣٥-	٢٧	١٤٦				
٢٢	فصلت-٤١-	١١-١٢	١٤٧				
٢٣	الزُحُف-٤٣-	١١	١٤٨				

من الخطاب إلى الغيبة

الصفحة	الآية	السورة ورقمها	رقم مسلسل	الصفحة	الآية	السورة ورقمها	رقم مسلسل
١٨٣	٦٤	الإسراء-١٧-	٢٤	١٤٩	٥	الفاتحة-١-	١
١٨٤	١١٠	الكهف-١٨-	٢٥	١٥١	٧	الفاتحة-١-	٢
١٨٤	٩٣-٩٢	الأنبياء-٢١-	٢٦	١٥٢	٧٤	البقرة-٢-	٣
١٨٦	١٢	النور-٢٤-	٢٧	١٥٣	٨٦-٨٥	البقرة-٢-	٤
١٨٨	٦٤	النور-٢٤-	٢٨	١٥٥	١٣٩- ١٤٠	البقرة-٢-	٥
١٨٩	١٩-١٧	الفرقان-٢٥-	٢٩	١٥٦	١٤٤	البقرة-٢-	٦
١٩٣	١٩٣- ١٩٦	الشعراء-٢٦-	٣٠	١٥٩	١٧٠	البقرة-٢-	٧
١٩٤	٦٠	النمل-٢٧-	٣١	١٦٠	١٣	آل عمران-٣-	٨
١٩٥	٩٣	النمل-٢٧-	٣٢	١٦٢	٨٣	آل عمران-٣-	٩
١٩٦	٢٤-١٦	العنكبوت-٢٩-	٣٣	١٦٥	١٨٧	آل عمران-٣-	١٠
١٩٨	٣٩	الروم-٣٠-	٣٤	١٦٧	٤٣	النساء-٤-	١١
١٩٩	٢-١	الأحزاب-٣٣-	٣٥	١٦٨	٦٤	النساء-٤-	١٢
٢٠٠	٥٠	الأحزاب-٣٣-	٣٦	١٦٩	٣٩-٣٨	المائدة-٥-	١٣
٢٠١	١٣	فصلت-٤١-	٣٧	١٦٩	١٠٩	الأنعام-٦-	١٤
٢٠٢	٧١-٧٠	الزخرف-٤٣-	٣٨	١٧١	٢٦	الأعراف-٧-	١٥
٢٠٣	٣٥	الجاثية-٤٥-	٣٩	١٧١	١٥٨	الأعراف-٧-	١٦
٢٠٣	٧	الحجرات-٤٩-	٤٠	١٧٣	١٧٥- ١٧٦	الأعراف-٧-	١٧
٢٠٤	٤٤-٤٣	القمر-٥٤-	٤١	١٧٤	٢٢	يونس-١٠-	١٨
٢٠٥	١٢	الحديد-٥٧-	٤٢	١٧٧	٤١	الرعد-١٣-	١٩
٢٠٦	١٩-١٨	الحشر-٥٩-	٤٣	١٧٨	٢١-١٩	ابراهيم-١٤-	٢٠
				١٧٩	١	النحل-١٦-	٢١
				١٨٠	١٦-١٥	النحل-١٦-	٢٢
				١٨٢	٦٩-٦٨	النحل-١٦-	٢٣

من الخطاب إلى التَّكَلُّم

لا يوجد في الكتاب الكريم شيء منه. صفحة ٢٠٧

من التَّكَلُّم إلى الغيبة

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
١	البقرة-٢	٤٧-٤٨	٢٠٨	٩	يوسف-١٢	٥٦	٢٢١
٢	البقرة-٢	٥٤	٢١١	١٠	النحل-١٦	٥٢-٥١	٢٢٣
٣	البقرة-٢	٥٨	٢١٢	١١	الإسراء-١٧	١	٢٢٤
٤	البقرة-٢	٨٣	٢١٣	١٢	الأنبياء-٢١	٨٠	٢٢٥
٥	البقرة-٢	١٥٩	٢١٨	١٣	الفرقان-٢٥	١٧	٢٢٧
٦	البقرة-٢	١٧٢	٢١٨	١٤	الزمر-٣٩	٥٣	٢٢٨
٧	آل عمران-٣	٥٥-٥٧	٢١٩	١٥	الدخان-٤٤	٦-١	٢٢٩
٨	النساء-٤	٦٤	٢٢١	١٦	الفتح-٤٨	٢-١	٢٣٠
				١٧	الكوثر-١٠٨	٣-١	٢٣١

من التَّكَلُّم إلى الخطاب

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
١	الأنعام-٦	٧١-٧٢	٢٣٣				
٢	يس-٣٦	٢٢	٢٣٤				
٣	الدخان-٤٤	٦-١	٢٣٦				

الالتفات في البنية

رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم متسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
١	فاطر-٣٥	٩	٢٣٧				

الكشَّاف الثَّاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم

رقم الآية	السُّورَة -رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية	الصَّفْحَة /	السُّورَة -رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية
	(٣) آل عمران			(١) الفاتحة	
١٦٠	من الخطاب إلى الغيبة.	١٣	٥١	من الغيبة إلى الخطاب	٥-١
٧٩	من الغيبة إلى الخطاب.	٢٨	١٤٩	من الخطاب إلى الغيبة.	٥
١٢٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٤٤-٤٨	١٥١	من الخطاب إلى الغيبة.	٧
٢١٩	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٥٥-٥٧			
٨٠	من الغيبة إلى الخطاب.	٨١		(٢) البقرة	
١٢٦	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٨١	٦٥	من الغيبة إلى الخطاب.	٢١-١
٨١	من الغيبة إلى الخطاب.	٨٢-٨٣	٢٠٨	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٤٧-٤٨
١٦٢	من الخطاب إلى الغيبة.	٨٣	٢١١	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٥٤
٨٢	من الغيبة إلى الخطاب.	١١٥	٢١٢	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٥٨
١٢٦	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	١٤٩-١٥١	١٥٢	من الخطاب إلى الغيبة.	٧٤
٨٤	من الغيبة إلى الخطاب.	١٨٠	٦٨	من الغيبة إلى الخطاب.	٨٣
٨٦	من الغيبة إلى الخطاب.	١٨٧	٢١٣	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٨٣
١٦٥	من الخطاب إلى الغيبة.	١٨٧	٧٤	من الغيبة إلى الخطاب.	٨٥
١٢٧	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	١٩٥	١٥٣	من الخطاب إلى الغيبة.	٨٥-٨٦
			٧٦	من الغيبة إلى الخطاب.	٩٦
	(٤) النساء		١٥٥	من الخطاب إلى الغيبة.	١٣٩-١٤٠
١٦٧	من الخطاب إلى الغيبة.	٤٣	٧٧	من الغيبة إلى الخطاب.	١٤٤
١٦٨	من الخطاب إلى الغيبة.	٦٤	١٥٦	من الخطاب إلى الغيبة.	١٤٤
٢٢١	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	٦٤	٢١٨	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	١٥٩
٨٧	من الغيبة إلى الخطاب.	٧٧	١٥٩	من الخطاب إلى الغيبة.	١٧٠
٨٩	من الغيبة إلى الخطاب.	١٠٧-١٠٨	٢١٨	من التَّكَلُّم إلى الغيبة.	١٧٢
		١٠٩			

الكشَّافُ الثَّانِي

الالتفاتات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم

رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفاتات	رقم الآية	الصفحة	السورة-رقمها / نوع الالتفاتات	الصفحة
١١٤	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	١٨٦	١٢٩	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	١٣٤
١٥٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.		١٣٠	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	
١٦٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.		١٣١	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	
	(٨) الأنفال				
٩٤	من الغيبة إلى الخطاب.	١٤			
	(٥) المائدة				
٣٩-٣٨	من الخطاب إلى الغيبة.		١٦٩	من الخطاب إلى الغيبة.	
٥٠	من الغيبة إلى الخطاب.	١١١	٨٩	من الغيبة إلى الخطاب.	٩٥
	(٦) الأنعام				
٦	من الغيبة إلى الخطاب.	٥	٩٠	من الغيبة إلى الخطاب.	١٣٥
٣٤	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٢١	١٣٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٩٦
٧٢-٧١	من التَّكَلُّم إلى الخطاب.	٢٢	٢٢٣	من التَّكَلُّم إلى الخطاب.	١٧٤
٩٩	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.		١٣٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	
١٠٩	من الخطاب إلى الغيبة.		١٦٩	من الخطاب إلى الغيبة.	
	(١١) هود				
٩٧	من الغيبة إلى الخطاب.	٢٨			
	(٧) الأعراف				
٢٦	من الخطاب إلى الغيبة.		١٧١	من الخطاب إلى الغيبة.	
٥٧	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٥٦	١٣٣	من الغيبة إلى التَّكَلُّم.	٢٢١
١٤٥	من الغيبة إلى الخطاب.		٩٢	من الغيبة إلى الخطاب.	
١٥٨	من الخطاب إلى الغيبة.		١٧١	من الخطاب إلى الغيبة.	
١٦٩	من الغيبة إلى الخطاب.	٤١	٩٣	من الغيبة إلى الخطاب.	١٧٧
١٧٦-١٧٥	من الخطاب إلى الغيبة.		١٧٣	من الخطاب إلى الغيبة.	

الكشاف الثاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم

رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية	الصفحة	السورة-رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	(١٩) مريم			(١٤) إبراهيم	
٢١-١٩	من الغيبة إلى الخطاب.	٧١	١٧٨	من الخطاب إلى الغيبة.	١٠٢
		٨٩-٨٨			١٠٣
				(١٦) النحل	
١	(٢٠) طه		١٧٩	من الخطاب إلى الغيبة.	
٢-١	من الغيبة إلى التكلم.	٥٣	١٣٦	من الغيبة إلى التكلم.	١٤٢
١٦-١٥			١٨٠	من الخطاب إلى الغيبة.	
٥١	(٢١) الأنبياء		١٣٧	من الغيبة إلى التكلم.	
٥٢-٥١	من التكلم إلى الغيبة.	٨٠	٢٢٣	من التكلم إلى الغيبة.	٢٢٥
٦٩-٦٨	من الخطاب إلى الغيبة.	٩٣-٩٢	١٨٢	من الخطاب إلى الغيبة.	١٨٤
٩٦			١٣٨	من الغيبة إلى التكلم.	
	(٢٤) النور				
		١٠		(١٧) الإسراء	
١	من الغيبة إلى الخطاب.	١٢	١٣٩	من الغيبة إلى التكلم.	١٠٤
١	من الخطاب إلى الغيبة.	٢٢	٢٢٤	من التكلم إلى الغيبة.	١٦٨
٦٣	من الغيبة إلى الخطاب.	٦٤	١٠٠	من الغيبة إلى الخطاب.	١٠٥
٦٤			١٨٣	من الخطاب إلى الغيبة.	١٨٨
	(٢٥) الفرقان				
		١٧		(١٨) الكهف	
١١٠	من الغيبة إلى الخطاب.	١٩-١٧	١٠١	من الغيبة إلى الخطاب.	٢٢٧
١١٠	من الخطاب إلى الغيبة.	٦٩-٦٨	١٨٤	من الخطاب إلى الغيبة.	١٨٩
					١٠٦

الكشّاف الثّاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم

رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية	الصّفحة	السورة-رقمها / نوع الالتفات	الصّفحة
	(٣٤) سبأ			(٢٦) الشعراء	
١١٠	من الغيبة إلى الخطاب.	٣٧-٣٤	١٠٦	من الغيبة إلى الخطاب.	١١-١٠
			١٩٣	من الخطاب إلى الغيبة.	١٩٦-١٩٣
	(٣٥) فاطر				
١٤٦	من الغيبة إلى التّكلم.	٩		(٢٧) النمل	
١٤٦	من الغيبة إلى التّكلم.	٢٧	١٤٤	من الغيبة إلى التّكلم.	٦٠
			١٩٤	من الخطاب إلى الغيبة.	٦٠
	(٣٦) يس		١٩٥	من الخطاب إلى الغيبة.	٩٣
٢٣٤	من التّكلم إلى الخطاب.	٢٢			
				(٢٩) العنكبوت	
	(٣٧) الصافات		١٩٦	من الخطاب إلى الغيبة.	٢٤-١٦
١١١	من الغيبة إلى الخطاب	٣٨-٣٦	١٤٥	من الغيبة إلى التّكلم	٢٣
	(٣٩) الزّمر			(٣٠) الرّوم	
٢٢٨	من التّكلم إلى الغيبة.	٥٣	١٩٨	من الخطاب إلى الغيبة.	٣٩
	(٤٠) غافر			(٣٣) الأحزاب	
١١٢	من الغيبة إلى الخطاب.	٢١	١٩٩	من الخطاب إلى الغيبة.	٢-١
			٢٠٠	من الخطاب إلى الغيبة.	٥٠
	(٤١) فصلّت		١٠٧	من الغيبة إلى الخطاب.	٥٠
١٤٧	من الغيبة إلى التّكلم.	١٢-١١			
٢٠١	من الخطاب إلى الغيبة.	١٣			

الكشَّاف الثَّاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم

رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفات	رقم الآية	الصفحة	السورة-رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
	(٥٤) القمر			(٤٣) الزُّخْرَف	
١١	من الغيبة إلى التَّكْوَم.	٤٤-٤٣	١٤٨	من الغيبة إلى التَّكْوَم.	٢٠٤
٧١-٧٠	من الخطاب إلى الغيبة.		٢٠٢	من الخطاب إلى الغيبة.	
٧١	من الغيبة إلى الخطاب.		١١٣	من الغيبة إلى الخطاب.	
٧٢	من الغيبة إلى الخطاب.	١٢	١١٣	من الغيبة إلى الخطاب.	٢٠٥
	(٥٩) الحشر			(٤٤) الدُّخَان	
٦-١	من التَّكْوَم إلى الغيبة.	١٩-١٨	٢٢٩	من التَّكْوَم إلى الغيبة.	٢٠٦
٦-١	من التَّكْوَم إلى الخطاب.		٢٣٦	من التَّكْوَم إلى الخطاب.	
	(٦٥) الطَّلَق				
	من الغيبة إلى الخطاب.	١		(٤٥) الجاثية	١١٥
٣٥	من الخطاب إلى الغيبة.		٢٠٣	من الخطاب إلى الغيبة.	
	(٦٦) التَّحْرِيم				
	من الغيبة إلى الخطاب.	٤		(٤٧) مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وسلَّم-	١١٧
٢٢-٢١	من الغيبة إلى الخطاب.		١١٤	من الغيبة إلى الخطاب.	
	(٧٦) الإِنْسَان				
	من الغيبة إلى الخطاب	٢٢-٢١		(٤٨) الفتح	١١٨
٢-١	من التَّكْوَم إلى الغيبة.		٢٣٠	من التَّكْوَم إلى الغيبة.	
	(٩٥) التَّيْن				
	من الغيبة إلى الخطاب.	٧-٤		(٤٩) الحجرات	١١٨
٧	من الغيبة إلى الخطاب.	٧	٢٠٣	من الخطاب إلى الغيبة.	١١٩

الكشاف الثاني

الالتفات (العدول) عن المطابقة في سورة القرآن الكريم

رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفات	الصفحة	رقم الآية	السورة-رقمها / نوع الالتفات	الصفحة
				(٩٦) العلق	
٨-٦			١٢١	من الغيبة إلى الخطاب	
				(١٠٨) الكوثر	
٣-١			٢٣١	من التَّكْلُم إلى الغيبة	

الكشاف الثالث

الشواهد القرآنية

الصفحة	الآية	السورة ورقمها	متسلسل	الصفحة	الآية	السورة ورقمها	رقم متسلسل
٢٨ ، ٢٧	٩	(٣) آل عمران	١٣	٢٢	٧-٢	(١) الفاتحة	١
		(٤) النساء		٦٦	٤-٢		٢
٥٩	٨٦		١٤	٢٥	٥-٤		٣
		(٦) الأنعام		٦٧ ، ٥٩	٥		٤
٣١	٧٢		١٥	٢٩	٧	(٢) البقرة	٥
		(٧) الأعراف					
٢٤	٢٩		١٦	١٨ ، ١٧	٢-١		٦
		(٩) التوبة		٦٣	٦٠		٧
		(براءة)		٢٨ ، ٢٧	٨٣		٨
١٨	٢-١		١٧	٦٩	٨٥		٩
٢٥	١٢٧		١٨	٣١	١٢٥		١٠
				١٠٠	١٣٧		١١
				١٧	٢٣٤		١٢

الكشاف الثالث
الشواهد القرآنية

رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
	(١٠) يونس						
			١٨		(١٧) الإسراء	١	
			١٨، ١٥، ٥				
٢٥	٨١	٣٠	٢٥، ٢٣، ١٩			٢٢	
			٢٩، ١٤		(١٨) الكهف	٧٨	
			٣٠			٨٧	
٣٠	٤٧	٣١					
					(٢٠) طه		
			١٧				
٣٠	٤٩	٣٢			(١١) هود	١٤	
			٢٤			٥٣-٥٤	
٣٠	١١٧	٣٣					
			٣١		(٢٢) الحج	٥٤	
			٥٨			٦٩	
			٢٧، ٢٦			٩٠	
٣٠، ٢٤	٢٥	٣٤					
			٢٥			١٠٣	
٣٠	٣٠	٣٥					
٣٠	٣١	٣٦					
					(١٢) يوسف		
			٥٨			٧٩	

الكشاف الثالث
الشواهد القرآنية

رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
٣٧	(٢٣) المؤمنون	١٠١	٢١٠	٤٥	(٣٦) يس	٢٢	٢٧، ٢٣
٣٨		١١٢-١١١	٣١		(٣٧) الصافات		
٣٩		١١٦-١١٥	٣١	٤٦		٢١	٢٦
	(٢٥) الفرقان			٤٧		٢٧	٢١٠
٤٠		٤٨	٢٨، ٢٧		(٣٩) الزمر		
	(٢٧) النمل			٤٨		٥٣	٢٧، ٢٦
٤١		٨٧	٣٠، ٢٤		(٤١) فصلت		
	(٣٣) الأحزاب			٤٩		١٢-١١	٢٣
٤٢		٩	١٩٩	٥٠	(٤٤) النحان		
	(٣٤) سبأ					٦-١	٢٣
٤٣		١٣	٦١		(٤٧) محمد		
	(٣٥) فاطر			٥١	- صلى الله عليه وسلم -		
٤٤		٩	٢٤، ١٥، ٣٠			٤	٥٨

الكشّاف الثالث
الشواهد القرآنية

رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة	رقم مسلسل	السورة ورقمها	الآية	الصفحة
٥٢	(٥٥) الرَّحْمَن	٣٤-٣٣	٣٠				
٥٣	(٥٦) الْوَاقِعَة	٢	١٠٩				
٥٤	(٦٥) الطَّلَاق	١	٣٩				
٥٥	(٧٥) الْقِيَامَة	٢٤-٢٣	١٨				
٥٦	(١٠٠) الْعَادِيَات	٧-٦	٢٩				
٥٧			٢٩			٨	

كشاف المراجع والمصادر

-١-

*أمسيات قرب قرية دبكانكا؛ نيكولاي جوجول، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، سلسلة شعبيّة تعيد إصدارها دار المدى للثقافة والنشر؛ دمشق، بيروت، بغداد؛ ٢٠٠٦.

*أساس البلاغة؛ الزمخشريّ (جاء الله ابو القاسم محمود بن عمر)؛ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

*أسرار البلاغة؛ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبة القاهرة بمصر؛ ط٢، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

*الأعمال الشعريّة الكاملة، عبد الله رضوان؛ الكندي للنشر والتوزيع، عمان؛ ٢٠٠١.

*إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر؛ أحمد بن محمد عبد الغني الهمدانيّ الشافعيّ، الشهير بالبناء؛ رواه وصححه وعلق عليه محمد الضباع؛ دار الندوة الجديدة؛ بيروت - لبنان. بلا طبعة، بلا تاريخ.

*الاتقان في علوم القرآن؛ تأليف شيخ الإسلام جلال الدّين السيوطيّ؛ المكتبة النّقائيّة؛ بيروت - لبنان، بلا طبعة، وبلا تاريخ.

*إعجاز القرآن، للباقلانيّ؛ تحقيق السيّد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط٣.

*إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدّين الدّرويش؛ دار ابن كثير، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، دار الإرشاد؛ حمص - سورية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

*إعراب القرآن المنسوب للزجاج؛ تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياريّ، وزارة الثقافة الإرشاد القوميّ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة؛ القاهرة؛ ١٩٦٣-١٩٦٥، ثلاثة أقسام.

* إعراب القرآن؛ لأبي جعفر النَّحاس؛ تحقيق د. زهير غازي زاهد؛ رئاسة ديوان الأوقاف؛ إحياء التُّراث الإسلامي - ٢٦-؛ مطبعة العاني؛ بغداد؛ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

* الافتقار إلى الله لبَّ العبوديَّة، تأليف احمد بن عبد الرحمن الصويَّان، ط١؛ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، كتاب البيان ٥٧، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

* الانتصاف فيما تضمنه الكشَّاف من الاعتزال؛ للإمام ناصر الدِّين أحمد محمد بن المنير الإسكندريِّ المالكيِّ، في حاشية الكشَّاف للزمخشريِّ؛ تحقيق عبد الرزَّاق المهديِّ، دار إحياء التُّراث العربيِّ، مؤسَّسة التَّاريخ العربيِّ، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

* إملاء ما من به الرَّحمن، لأبي البقاء العبكريِّ، دار الكتب العلميَّة؛ بيروت، لبنان؛ ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

-ب-

* البحث النَّحويُّ عند الأصوليِّين؛ د. مصطفى جمال الدِّين، دار الرِّشيد للنَّشر، منشورات وزارة التَّقافة والإعلام - الجمهوريَّة العراقيَّة؛ سلسلة دراسات (٢٢٨)؛ ١٩٨٠.

* البيان في غريب إعراب القرآن؛ أبو البركات بن الأنباريِّ؛ تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السَّقا؛ دار الكاتب العربيِّ للطَّباعة والنَّشر بالقاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، المكتبة العربيَّة؛ تصدرها وزارة التَّقافة، الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة، المؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والنَّشر؛ بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة.

* بديع القرآن؛ ابن أبي الأصبع المصريِّ؛ تحقيق د. محمد شرف؛ القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

*البهجة المرضية في شرح الألفية للإمام جلال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، هامش شرح ابن عقيل على الألفية، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، بمصر.

*البديعيات في الأدب العربي، نشأتها - تطورها - أثرها؛ إعداد علي أبو زيد، عالم الكتب؛ بيروت، دمشق، ط ١؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

-ت-

*التبيان في تفسير القرآن؛ تأليف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي؛ تحقيق: أحمد حبيب قيصر العاملي؛ النجف؛ مكتبة القيصر؛ ١٩٦٣م.

*التبيان في إعراب القرآن؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العبري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل؛ بيروت؛ ط ٢؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

*التحفة السنية بشرح المقدمة الأجر ومية، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، تحقيق د. شوكت علي درويش، مكتبة الرشد ناشرون؛ المملكة العربية السعودية - الرياض، ط ٢؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

*التذكرة في القراءات؛ الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون؛ تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة؛ ط ١؛ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

*التعريفات؛ للفاضل العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني؛ مكتبة لبنان - بيروت؛ لبنان، ١٩٧٨م.

*تفسير البحر المحيط؛ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي؛ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* تفسير القرآن العظيم؛ للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، صححها نخبة من العلماء، يطلب من مكتبة الجمهورية العربيّة، بشارع الصنادقيّة بالأزهر بمصر، طبع بدار إحياء الكتب العربيّة؛ عيسى البابي الحلبيّ وشركاه.

* تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، منشورات دار الحكمة، دمشق، بيروت ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* تفسير القرطبيّ؛ الجامع لأحكام القرآن؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، كتاب الشعب، دار الشعب؛ القاهرة.

* تفسير النهر المادّ من البحر، لأبي حيّان، بهامش تفسير البحر المحيط.

* تلخيص البيان في مجازات القرآن؛ تأليف الشريف الرّضيّ؛ تحقيق وتدقيق د. عليّ محمد مقلّد، منشورات دار مكتبة الحياة؛ بيروت - لبنان، ١٩٨٦م.

* تنزيل الآيات على الشّواهد من الآيات؛ شرح شواهد الكشّاف؛ تأليف محمد بن أبي بكر بن داود عبدالرحمن العلوانيّ الحمويّ أبو الفضل المعروف بمحبّ الدين أفندي؛ دار إحياء التّراث العربيّ؛ بيروت - لبنان؛ الطّبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* التّيسير في القراءات السّبع؛ تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدّانيّ، عني بتصحّحه اوتوبرتزل، دار الكتاب العربيّ، بيروت - لبنان، ط ٣؛ نوفمبر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

- ج -

* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ؛ ط ١٢.

-ح-

* الحجّة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه؛ تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم؛ دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ٣؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* حجّة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ط ٢؛ ١٣٩١هـ - ١٩٧٩م.

* حسن التّوسل إلى صناعة التّرسّل؛ شهاب الدّين محمد الحلبي؛ تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف؛ دار الرّشيد للنّشر؛ سلسلة كتب التراث (٨٦)؛ الجمهوريّة العراقيّة، وزارة الثقافة والإعلام (١٩٨٠).

-خ-

* خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب؛ تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السّلام محمد هارون ج ١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٩م، ط ٢، ج ٢، ٣، ٤، دار الكاتب العربي للطباعة والنّشر بالقاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٣٨٩هـ - الموافق ١٩٦٧م - ١٩٦٩م، ج ٥، ٦، ٧؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٣٩٦هـ - ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٦م - ١٣٧٩م والأجزاء السّبعة سلسلة - تراثنا-، ج ٨؛ النّاشر مكتبة الخانجيّ بمصر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م، ج ٩، النّاشر مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ١٠، ١١، النّاشر مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، دار الرّقاعي بالرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م - ١٩٨٣م.

-د-

الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، د. غانم قدوريّ الحمد دار عمّار للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

*الدُّرُّ اللَّقِيطُ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ؛ لِلإِمَامِ تَاجِ الدِّينِ الْحَنْفِيِّ النَّحْوِيِّ، مَطْبُوعٌ بِهَامِشِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ؛ ط ٢/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

*الدُّرُّ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ؛ تَأَلَّفَ أَحْمَدُ بْنُ يُوْسُفِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّمِينِ الْحَلْبِيِّ، تَحْقِيقُ د. أَحَدُ مُحَمَّدِ الْخِرَاطِ؛ دَارُ الْقَلَمِ، دِمَشْقُ؛ ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

*دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي، تَأَلَّفَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ، صَحَّحَ أَصْلَهُ عَلَامَتَا الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ الْأَسْتَاذُ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، وَالْأَسْتَاذُ اللَّغْوِيُّ الْمَحْدَثُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ التَّرْكَزِيُّ الشَّنْقِيطِيُّ، وَوَقَّفَ عَلَى تَصْحِيحِ طَبْعِهِ وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا؛ دَارُ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ؛ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- ر -

- الرُّخْصَةُ النَّحْوِيَّةُ؛ د. شَوَكْتُ عَلِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ دَرُوشِ؛ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي؛ الْعَلَمَةُ السَّيِّدَةُ مُحَمَّدَةُ شَكْرِي الْأَلُوسِي؛ إِدَارَةُ الطَّبَاعَةِ الْمَنْبَرِيَّةِ مِصْرُ؛ دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ؛ بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ؛ ط ٤؛ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- س -

- السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ؛ لِابْنِ مَجَاهِدٍ؛ تَحْقِيقُ د. شَوْقِي ضَيْفٍ؛ دَارُ الْمَعَارِفِ؛ ط ٣.
- سِيرَةُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ، رَاجِعَ أَصُولَهَا، وَضَبَطَ غَرِيبَهَا، وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهَا، وَوَضَعَ فِهَارِسَهَا مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، كِتَابُ التَّحْرِيرِ، الْقَاهِرَةُ؛ ١٣٨٣هـ.

- ش -

- شذا العَرَف في فن الصَّرْف؛ الأستاذ أحمد الحملوي؛ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر؛ ط١٦، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- شرح ابن عقيل على الألفية؛ كمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك؛ طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية؛ لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه؛ بجوار سيدنا الحسين بمصر.
- شرح الأشموني على ألفية بن مالك؛ المسمى "منهج السالك إلى ألفية بن مالك" حققه محمد محيي الدين عبد الحميد؛ دار الكتاب العربي؛ بيروت - لبنان، ط١؛ المحرم الحرام ١٣٧٥هـ - أغسطس ١٩٥٥ م.
- شرح شواهد المغني؛ تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ ذيل بتصحيحات وتعليقات العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي؛ وقف على طبعه وعلق حواشيه أحمد ظافر كوجان؛ لجنة التراث العربي.
- شرح اللُّمع، ابن برهان العكبري؛ تحقيق د. فايز فارس، السلسلة التراثية - ١١ - الكويت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- شرح المفصل؛ ابن يعيش؛ عالم الكتب - بيروت.

- ص -

- صحيح أبي عبد الله البخاري؛ بشرح الكرمانلي؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت - لبنان؛ ط٢؛ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- ض -

- الضمائر في اللغة العربية؛ د. محمد عبد الله جبر؛ دار المعارف؛ ط١؛ ١٩٨٣ هـ.

- ع -

- العلامة الإعرابية بين ورش وحفص؛ د. شوكت عليّ عبد الرّحمن درويش؛ دار يافا العلميّة؛ عمان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة؛ ط ١؛ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف أبي عليّ الحسن بن رشيق، القيروانيّ، الأزديّ؛ حققه، وفصلّله، وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد؛ دار الجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة؛ بيروت، ط ٤، ١٩٧٢م.

- ف -

- فتح الباري بشرح البخاريّ؛ تأليف الحافظ شهاب الدّين أبي الفضل العسقلانيّ؛ المعروف بابن حجر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر؛ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

- ق -

- القطع والأنتاف؛ تصنيف أبي جعفر النّحاس؛ تحقيق د. أحمد خطّاب العمر، مطبعة العاني؛ بغداد، ط ١؛ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- ك -

- الكتاب؛ كتاب سيبويه؛ أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون ج ١، ط ١؛ دار القلم، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ج ٢؛ دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر بالقاهرة؛ ١٣٨٨ هـ - ج ٣؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب؛ ١٩٧٣م، ج ٤؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب؛ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ج ٥؛ الهيئة المصريّة العامّة للكتاب؛ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل؛ تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الرّمخسريّ الخوارزميّ، تحقيق عبد الرزّاق المهديّ؛ دار إحياء

التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان؛ ط ٢؛ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها؛ لمؤلفه أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت - لبنان؛ ط ٢؛ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- ل -

- لسان العرب؛ دار صادر؛ بيروت؛ ٨٤/٢؛ مادة لفت.
- اللغة العربية معناها ومبناها؛ د. تمام حسّان؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣ م.
- اللعم في العربية؛ لأبي عثمان بن جنّي؛ حققه فايز فارس؛ دار الكتب الثقافية؛ الكويت.

- م -

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ تأليف أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلّي؛ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد؛ المكتبة العصرية؛ صيدا - بيروت.
- مجاز القرآن؛ صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي؛ عارضه بأصوله وعلّق عليه د. محمد فؤاد سزكين، الناشر مكتبة الخانجي بمصر.
- مجموع الأدب في فنون العرب؛ تأليف الشيخ ناصيف اليازجي اللبّاني؛ رتبته على نمط جديد الأستاذ لبيب جريديني، طبع في المطبعة الأمريكية في بيروت، ط ١٢؛ ١٩٤٥ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ تحقيق المجلس العلمي بفاس؛ من الجزء الأول إلى الجزء العاشر ١٣٩٥ هـ - ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٧٥ م - ١٩٨٧ م، والمجلس العلمي بمكناس؛ من الجزء الحادي عشر إلى الجزء الثالث عشر ١٤٠٨ هـ - ١٤٠٩ هـ

الموافق ١٩٨٨م - ١٩٨٩م، والمجلس العلمي بتارودانت من الجزء الرابع عشر إلى الجزء السادس عشر ١٤٠٩ هـ - ١٤١١ هـ الموافق ١٩٨٩م - ١٩٩١م؛ مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ المملكة المغربية.

• مختار الصّحاح؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي؛ دار الكتب العلميّة - بيروت.

• مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع؛ لابن خالويه؛ عالم الكتب، بيروت.

• المزهري في علوم اللّغة وأنواعها؛ للعلامة عبد الرّحمن جلال الدّين السيوطي؛ شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، وعليّ محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم؛ دار إحياء الكتب العربيّة؛ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

• مشكل إعراب القرآن؛ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي؛ تحقيق د. حاتم صالح الضّامن؛ مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع؛ بيروت؛ ط٢؛ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.

• المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرافعي؛ أحمد بن محمد بن عليّ المقرّي، المكتبة العلميّة - بيروت.

• مصحف إفريقيا؛ القرآن الكريم برواية الدّوري عن أبي عمرو، دار مصحف إفريقيا؛ الخرطوم - السّودان.

• مصحف الجماهيريّة؛ برواية الإمام قالون؛ والرّسم العثمانيّ على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الدّاني؛ أشرفت على إعداده وطباعته ونشره جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة؛ طرابلس - الجماهيريّة العربيّة الليبيّة الشعبيّة الاشتراكيّة العظمى.

• المصحف الشّريف الحسنيّ المسبّع، القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة؛ الرّباط - المملكة المغربيّة؛ عام ١٤١٧ هـ.

• مصحف المدينة النّبويّة؛ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم؛ مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف؛ المدينة المنورة.

• معاني القرآن؛ الأخفش الاوسط، تحقيق د. فايز فارس؛ ط٢؛ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

• معاني القرآن، لأبي زكريّا يحيى بن زياد الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد عليّ النّجار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط٢، ١٩٨٠.

- معاني النحو؛ د. صالح فاضل السامرائي؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ جامعة بغداد؛ ١٩٨٦ - ١٩٨٧م
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ تحقيق علي محمد البجاوي؛ دار الفكر العربي.
- معجم القراءات القرآنية؛ مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء؛ د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها؛ تأليف د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب؛ مجدي وهبة، وكامل المهندس؛ مكتبة لبنان - بيروت؛ ١٩٧٩م.
- معجم النقد العربي القديم؛ د. أحمد مطلوب؛ وزارة الثقافة والإعلام - دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٩م، بغداد.
- المعجم الوسيط؛ قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات؛ وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون؛ مجمع اللغة العربية؛ بالقاهرة؛ المكتبة العلمية - طهران.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، القاهرة؛ ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- مفردات ألفاظ القرآن؛ الراغب الأصفهاني؛ الدار الشامية؛ بيروت؛ ط١؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الموفي في النحو الكوفي؛ للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي؛ شرحه بتعليقات توضح غوامضه ومقاصده محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- مختارات من كتاب جوامع الدعاء من القرآن والسنة، تأليف الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي، صوت الأزهر.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع؛ لابن خالويه؛ عالم الكتب؛ بيروت.

- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها؛ لأبي الفتح عثمان بن جني؛ تحقيق على النجدي ناصف وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية؛ ١٣٨٦هـ - ١٣٨٩هـ.
- مغني اللبيب في كتب الأعراب؛ لجمال الدين ابن هاشم الأنصاري؛ حققه وعلّق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله؛ راجعه سعيد الأفغاني؛ دار الفكر - بيروت؛ ط٥؛ ١٩٧٩م.

- ن -

- النحو الوافي؛ عبّاس حسن؛ دار المعارف بمصر؛ ج١؛ ط٤، ج٢؛ ط٣، ج٣؛ ط٣، ج٤، ط٢.
- النثر في القراءات العشر؛ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، صححه وراجعته علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
- نهاية الأرب في فنون الأدب؛ تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر؛ السّفر السابع.

الفهرس

٩-٥	كلمة لا بدّ منها
٣٣-١١	الباب الأول
	الالتفات
	الفصل الأوّل
١٥-١٣	الالتفات لغة واصطلاحاً
٣١-١٥	أقوال العلماء في الالتفات
٣٣-٣٢	ملاحظات على أقوال العلماء
٤٨-٣٥	الباب الثاني
	المستوى النحويّ
	الفصل الأوّل
٣٩-٣٧	المعنى وأنواعه
	الفصل الثّاني
٤٣-٤٠	النّظام النّحويّ
	الفصل الثّالث
٤٥-٤٤	القرائن المعنويّة
	الفصل الرّابع
٤٨-٤٥	القرائن اللّفظيّة
٢٤٠-٤٩	الباب الثالث
	أنواع الالتفات
	الفصل الأوّل
١٢١-٥١	من الغيبة إلى الخطاب

	الفصل الثَّاني
١٤٨-١٢٢	من الغيبة إلى التَّكَلُّمُ
	الفصل الثَّالث
٢٠٦-١٤٩	من الخطاب إلى الغيبة
	الفصل الرَّابِع
٢٠٧	من الخطاب إلى التَّكَلُّمُ
	الفصل الخامس
٢٣٢-٢٠٨	من التَّكَلُّمُ إلى الغيبة
	الفصل السَّادس
٢٣٦-٢٣٣	من التَّكَلُّمُ إلى الخطاب
	الفصل السَّابِع
٢٣٧	الالتفات في البنية
٢٤٠-٢٣٩	خلاصة البحث
٢٦٨-٢٤١	الكشَّافات
	الكشَّاف الأوَّل
٢٤٦-٢٤٣	العدول (الالتفات) عن المطابقة حسب أنواعه، والآيات، والسُّور التي ورد فيها
	الكشَّاف الثَّاني
٢٥٢-٢٤٧	الالتفات (العدول) عن المطابقة في سور القرآن الكريم
	الكشَّاف الثَّالث
٢٥٦-٢٥٣	الشَّواهد القرآنيَّة
	الكشَّاف الرَّابِع
٢٦٨-٢٥٧	المراجع والمصادر
٢٧٠-٢٦٩	الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

